



عام 1951م



عام ورودہ بعلبک 1932م



عام 1963م

المهاجر العاملي
الشيخ حبيب آل إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المهاجر العاملي الشيخ حبيب آل إبراهيم

سيرته

أعماله

مؤلفاته

شعره

الشيخ د .
جعفر المهاجر

مَسْرَدُ الْمَوْضُوعَاتِ

- المقدمة 12 - 8
- راموز الصفحتين الأولى والأخيرة من نسخة الأصل للكتاب (حديث النعم) 14 - 13
- الفصل الأول : السيرة الأولى** 45 - 19
- 1 - أسرته 22 - 21
- 2 - نشأته 27 - 22
- 3 - الرحلة الأولى إلى النجف الأشرف 32 - 27
- 4 - العودة الأولى إلى الوطن 34 - 33
- 5 - الرحلة الثانية إلى النجف 38 - 35
- 6 - في مدينة الكوت 40 - 39
- 7 - في مدينة العمارة 41 - 40
- 8 - العودة النهائية إلى الوطن 42 - 41
- 9 - في بعلبك 45 - 42
- 10 - وفاته 45
- الفصل الثاني : أعماله في حقل التبليغ والارشاد** 112 - 47
- أولاً : دحره الحملة التبشيرية على جنوب العراق 72 - 49
- (تمهيد) 49
- أ - تاريخ موجز لحركات التنصير في العراق 50 - 49
- ب - طبيعة التبشير 51 - 50
- ج - جنوب العراق ورد فعله على الحملة التبشيرية 52 - 51
- 1 - من الكوت إلى العمارة 53
- 2 - في العمارة 76 - 53
- ثانياً : في بعلبك 87 - 77
- ثالثاً : في وسط وشمال سورية 91 - 87

- رابعاً : في السّاحل السوري وما والاّه 95 – 91
- أ – البعثة الدّراسيّة العلويّة إلى النّجف 107 – 95
- ب : جولاته الكبرى في ربوع العلويين وما ترتّب عليها من نتائج تاريخيّة 108 – 112
- الفصل الثالث : أعماله في الميدان النهضوي 139 – 113
- (تمهيد) 116 – 115
- 1 – أعماله في العمارة 117
- 2 – أعماله في بعلبك ومنطقته 126 – 117
- 3 – في السّاحل السوري 128 – 126
- أ – سعيه لإنشاء ثانويّة شرعيّة 131 – 128
- ب – تأسيسه الجمعيّة الخيريّة الإسلاميّة الجعفريّة في اللاذقيّة ودورها
- التاريخي 134 – 131
- ج – المؤتمر الأوّل للجمعيّة 135 – 134
- د – المؤتمر الثاني للجمعيّة 139 – 135
- الفصل الرابع : في الميدان العام 158 – 141
- (تمهيد) 151 – 150
- أولاً : توجّهاته ومواقفه السياسيّة 149 – 143
- (تمهيد) 143
- أ : منظوره لعمل الفقيه في الميدان السياسي 145 – 144
- ب : مع " حكومة الشرق العربي " في " دمشق " 149 – 145
- ثانياً : أعماله في التقريب بين المذاهب الإسلاميّة 158 – 150
- (تمهيد) 151 – 150
- أ : تصنيفه كتاب " الحقائق في الجوامع والفوارق " 156 – 152
- ب : مع " دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة " 162 – 157
- الفصل الخامس : مُصنّفاته 185 – 165

170 – 167 (تمهيد)
171 1 – مُصنّفات مرحلة النجف
175 – 172 2 – مُصنّفاتُ مرحلة العِمارة
185 – 175 3 – مُصنّفات مرحلة بعلبك
257 – 187 <u>الفصل السادس : شعره</u>
208 – 189 1 – شعرُ الشباب
211 – 209 2 – مقطوعاتٌ نادرةٌ من أيّام العِمارة
257 – 213 3 – شعره المُوجّه / الوظيفي
260 – 259 ختام
265 – 261 مكتبةُ البحث
282 – 267 مُلحقٌ بالكتاب : وثائقٌ وصُورٌ

الصُور

269 - طلاب مدرسة الهدى الأولى في بعلبك
270 - الشيخ في جمعٍ من أعيان بعلبك
271 - مع السيّد أبو الحسن الإصفهاني في بعلبك سنة 1365هـ
272 - أيضاً
273 - مع السيّد محمد هادي الميلاني في مشهد
274 - في العمارة سنة 1378هـ/1958م مع حفيديه
275 - بعلبك في وداع الشيخ
276 - صورتان للاحتفال بأربعينه في بعلبك
277 - السيّد محمد تقي الحكيم يُلقى كلمته في الاحتفال نفسه
277 - في منزله في بعلبك وسط جمعٍ من الضيوف

الوثائق الملحقة بالكتاب

- 278 رسالة شرعية جماعية من عدد من علماء بلنجف يهنؤون الشيخ بالعيد
- 279 من مسودة كتابه " منهج الحق " بخطه
- 280 من مسودة عدد من أعداد مجلة " الهدى " بخطه
- 281 القانون الأساسي والنظام الداخلي لـ " المكتبة المحمدية " في العمارة
- 282 القانون الأساسي لـ " الجمعية الخيرية الجعفرية " في اللاذقية
- 283 اقتباس من إحدى الصحف : " وثبة مباركة للعلويين في اللاذقية "
- 286 اقتباس آخر على العلويين
- 288 اقتباس آخر على الموضوع نفسه
- 289 اقتباس من إحدى الصحف على زيارة الشيخ للاذقية
- 290 المرسوم التشريعي بتنظيم التزيي بالزي الديني للجعفرين
- 292 القرار التنفيذي عن المفتي العام للمرسوم نفسه
- 293 مقدمة كتبها الشيخ بخطه لكتاب تربوي
- 95-294 صدى الحفل التكريمي بالصحف الذي أقيم في بعلبك بذكره الثلاثون

وثائق وصُور في متن الكتاب

- 17..... راموز الصفحة الأولى من نسخة الأصل لكتابه " حديث النعم "
- 18 راموز الصفحة الأخيرة للكتاب نفسه
- 33 الشهادة الأولى للشيخ من أستاذه شيخ الشريعة الإصفهاني
- 45 إجازة الشيخ للسيد المرعشي
- 71 الرسالة الجماعية لأهل العمارة يطلبون عودة الشيخ
- 74 كتاب السيد أبو الحسن الإصفهاني لأهل قانا
- 101 البعثة العلوية إلى النجف
- 103 كتاب السيد الحكيم بشأن الطلاب العلويين
- 111 الشيخ مع أعضاء " الرابطة العلوية " في طرابلس
- 120 مرسوم الإجازة لمدارس الهدى
- 161 الشيخ يخطب في بعلبك ببيان " دار التقريب "
- 164 كتاب من " دار التقريب " إليه
- 178 من مسودة الجزء الثالث من كتابه " فصول الكلام " بخطه

المقدمة

(1)

منذ زمن غير قصير ، كنتُ أمّني النفس بأن أنصرف إلى وضع كتابٍ على سيرة وأعمال كبيرٍ ، لي شرفُ الانتساب إليه ، وله عليّ فضلُ الأبوةِ و التربيّة والرعاية ، هو جدّي الشريخ حبيب رضوان الله تعالى عليه . اعتقاداً مني بأن في سيرته وأعماله ما ينبغي أن يكون قدوةً للعاملين على مثل ما عمل عليه ، ونجح فيه أيما نجاح . ممّا ينبغي أن يُعرفَ وأن يكون سُنّةً حسنةً ، وأن لا يضيع في دروب الزمان . وما كان يحولُ بيني وبين أمّنيتي ' إلا كثرةُ المشاغل ، من جهة ، أضيفُ إلى ذلك رغبةً مكتومةً لديّ بأن يتولّى هذا العمل شخصٌ ليس لديه مثل ما لديّ من رابطةٍ حميمةٍ بصاحب السيرة ، من جهةٍ أخرى . لأنني أعرف من خبرتي بصنوف السّير وكتّابها ، أن هؤلاء لا يكونون أحراراً حين يكتبون على ذويهم . ذلك أنهم يُغالَبون ، وغالباً تغلبهم ، رغبةً طبيعيّةً لديهم في أن يقدّموهم بصورةٍ مُشوّذةٍ . والسيرة كالصورة ، إمّا أن تكون مُطابقةً تماماً لأصلها أو لا تكون . وما من وسَطٍ بين الاثنين .

حتى جاء يومُ التقيتُ فيه في مدينة " قم المقدّسة " إحدى لقاءاتي الكثيرة بالأخ العزيز البحاثة المحقّق الشيخ رضا مُختاري . وكما يحدثُ دائماً في كلّ لقاءٍ يجمعنا ، دار الحديثُ على همومنا المُشتركةِ وأعمالنا وخططنا في البحث والتصنيف . وأثناء الحديث عرضَ لمشروعٍ تعملُ عليه المؤسسة التي يُديرها " كتابشناسي شيعه " . يقضي بكتابة ونشر سِير مائةٍ من نخبة الأعلام ، منهم الشيخ رحمت الله تعالى عليه . و رغب إليّ بأن أتولّى كتابة سيرته من المشروع الكبير . وطبعاً رحبتُ بالفكرة . واستمهلتته إلى ما بعد الانتهاء من عملي آنذاك في كتابي (أعلام الشيعة) .

بعد عدّة أشهر زارني في منزلي في " بعلبك " وفدً من أهل مدينة " العمارة " في جنوب " العراق " . وهي المدينة التي كانت ميدان إنجاز الشيخ التاريخي في مقارعة ودحر الحملة التنصيريّ البووتستانتية ، التي نظّمها الاحتلال الإنكليزي آنذاك لـ " العراق " ، ابتغاءً تأسيسيّ رأس جسرٍ ثابت له في جنوبها " وفي المنطقة المُسامتة له من " إيران " . وفقاً للسنة الاستعماريّة الثلاثيّة المعروفة : المُبشّر ، الجندي ، التاجر . وكان يقدمهم الصديق العزيز الدكتور مُخلص الحجّية ، رئيسٌ ومؤسسُ " جامعة الحضارة الإسلاميّة " . وهو من أهـل " العمارة " أصلاً . ولكنه شاء أن يجعلَ من نفسه مواطناً عالمياً ، فأسس الجامعة المذكورة بفروعها الكثيرة . بعد أن رغبوا إليه في أن يوصلهم إلى أحد أفراد أسرة الرجل الذي يدينون له بأنه أنقذهم من الشرّ الهام ، الذي كان الاسد تعمار الإنكليزي يعمل على أن يجعل منهم وقوداً له . تحذو الزائرين رغبةً قويّةً لديهم ، بأن يُعرف بأنهم ، حتى بعد مرور زهاء ثلاثة أرباع القرن من الزمان على خروج الشيخ من بلدهم ، فإنه ما يزالون يذكرون أعماله الباهرة في منطقتهم بالعرفان والتقدير ، يتوارثون التذكير بها جيلاً عن جيل . وفي أثناء اللقاء طلبوا إليّ هم أيضاً أن أضع كتاباً على سيرة الشيخ وأعماله ، كي يكون برسم الأجيال القادمة فلا ينسون . خصوصاً في ظلّ الوضع البالغ العنف الذي كان " العراق " ، وخصوصاً جنوبه ، يرزح تحته آنذاك . ومن المعلوم أنه في ظلّ وضع كهذا ، فإن الذاكرة الجماعيّة تتحوّل نحو اتجاهاتٍ جديدة ، مُنتزعةً من مُعاناتها الحاضرة . وتنسى ماضيها القريب . وأبدوا استعداداً تاماً لكلّ ما يلزم في هذا السبيل . وما من حاجة إلى القول أنني قد تأثرتُ تأثراً بالغاً بهذه البادرة النبيلة .

لكن أمراً حصل أثناء اللقاء ضاعف من تأثري . ذلك أن الأخ الشيخ مُختاري اتصل هاتفيّاً من " قم " ، مُذكراً بملكتاب العتيد ، وسائلاً أين وصل العملُ فيه . وعندما أخبرته بالوفد الحاضر وغرضه وأطروحاته هلّ للمصادفة وقال إن هذا سببٌ إضافيٌّ لمنح العمل الأولويّة التي يستحقها .

هكذا دارت فكرة هذا الكتاب . بدأ فكرةً تُراود كاتبه . واستمرّ رغباتٍ تتقاطعُ ، وانتهى عزمًا مسوقاً بعزائم التقنّ على ضرورة . أرويهما ليس على سبيل العرّض ولا الاستعراض . بل لأنني أزعّم أن الكتاب كائنٌ حيّ . يبدأ حملاً في الأذهان والنوازع ، ثم يكون وليداً تُكتب له الحياة بقدر ما يستحق . ومن هنا فإن قصته جزءٌ منه . أو هكذا ، على الأقلّ ، ما يحسن أن يكون .

(2)

بُغيتي في الفصول والصفحات الآتية ، أن أضع لصاحب هذه السيرة سيرةً حديثةً على أكبر قدر من الشمول والدقة تنيحة لي المعلومات المتاحة . وأن تكون عناصرها مركّبةً بأكبر قدر من الحياد تسمح به النفس البشرية . ثم بيان أعماله . ما كان منها في الميدان العملي ، ورمى منه إلى أداء رسالته ، بوصفه فقيهاً مُبلّغاً ، وأيضاً بوصفه فقيهاً عاملاً على النهوض بشعبه وتحريره من عوامل التخلف . وما كان منها في الميدان الفكري - الثقافي من مؤلفاتٍ وإنتاجٍ إبداعي ، فنُعرّف بمؤلفاته مؤلفاً مؤلفاً ، ونجمع ما تناثر من شعره الممتاز ، خصوصاً وأنه لم يُجمع حتى الآن .

إن كتابة السيرة هي فنٌّ تركيبّي تشكيلي ، أشبه ما يكون بالعمارة . ليس المُهم فيه فقط المواد التي يستعملها الكاتب / المعمار وهو يُشكّل ، أي يمنح المواد شكلاً وهيئةً . بل المُهم أيضاً ، وربما الأكثر أهميةً ، هو كيف يُركّب تلك المواد . لأن التركيب هو الذي يمنح المواد معنىً ضمن السياق العام . في التركيب يبدو تمكّن الكاتب ، و أيضاً يبدو حيادُه أو تحيّرُه .

من هنا ، فإن العبء الذي يُلقيه العملُ على الكاتب المسكون بهاجس الحياد ، إذ يكون موضوعه من تربطه به صلة حميمة ، هو عبءٌ مضاعف . يفرض عليه أن يُراقب نفسه ، وهو يركّب المعلومات التي بين يديه ، مُراقبةً صارمةً . فلا ينجرّ بالميل البشري الطبيعي إلى تجميل صورة من يكتب عليه ، لتبدو أكمل وأحسن ممّا هي في الواقع . لكن هذه الصلة نفسها ، من الجهة الأخرى ، قد يكون لها وجه إيجابي مُساعد . إذ تكون باباً وطريقاً إلى الحصول على معلومات ووثائق ، ما كان الكاتب ليحصل عليها بالسهولة التي يسرتها له العلاقة القريبة . وعملنا في هذه السيرة هو أنموذج ساطع على هذه الملاحظة .

(3)

عاش الشيخ في الفترة الانقلابية التي شهدت ما يُسمّى بالحرب العالمية الأولى . وما نتج عنها من انهيار الامبراطورية العثمانية ، وتقسيم أملاكها الشاسعة بين الدول الأوروبية والاستعمارية ، وفقاً لاتفاق مُسبق بينها . بالنسبة لما يخص سيرته من هذا الحدث الانقلابي وتداعياته ، فقد وقع وطنه " جبل عامل " في حصّة الدولة الفرنسية . أمّا مهجره وموطن

دراسته وأبرز أعماله فيما بعد ، " العراق " ، فقد وقع في حصّة الدولة البريطانيّة ، كل ذلك تحت شعار (الانتداب) المُناقق . وغنيّ عن البيان ، أن هذه الأحداث ، الآخذ بعضها برقاب بعض ، كان لها أكبر الأثر على جُزئيات سيرته . وحكمتُ كافة مواقفه وأعماله . وعليه فإننا ، فيما سيأتي سنوليها العناية التي تستحقها ، ونحن نُركّب عناصر تلك السيرة . وسنعمل كل ما في وسعنا للربط بين هذه الأحداث ، بوصفها الوعاء التاريخي للسيرة ، وبين مُختلف أعماله وإنجازاته ، بوصفه داعيةً مُبلّغاً ، وبوصفه رائداً نهضويّاً ، وبوصفه كاتباً ومُصنفاً وشاعراً . وفي هذا فإنه أنتج كتاباتٍ نثريةً مُوجّهة ، كما نظم شعراً مُوجّهاً هو الآخر . هكذا ، فإن التصنيف الفنّي لأعماله كافة بين نثر وشعر ، يلتقيان ويتقاطعان عند الغاية الوحيدة التي منحها كل لحظة من حياته المديدة . ألا وهي همومه التبليغيّة والنهضويّة .

أعتقد أن القارئ قد بدأ الآن يلمح الإشكاليات التي سيكون علينا أن نعالجها في فصول . وعلى كلّ حال فهذا أنا أخصها فيما يلي :

- 1 - السيرة الأولى . أي الأحداث البارزة في مسيرة حياته من الولادة حتى الوفاة .
- 2 - أعماله في حقل التبليغ والإرشاد .
- 3 - همومه وأداؤه النهضويّ .
- 4 - توجّهاته ومواقفه السياسيّة .
- 5 - مصنّفاته في مختلف الموضوعات . وسُرفق ذكر كل مُصنّف منها بما تيسّر من معلومات عنه ، بما يُغني معلومات القارئ المطلعة .
- 6 - شعره . وسننشُر ما عثرنا عليه منه ، بما فيه قصيدتيه الملحميّتين : " المولد " و " الغدير " مع أنهما نُشرتا باعتنائه . ثم أنني أع دتُ نشرهما في المجموع المُنتخب من أعماله ، الذي أعددتُه في سياق أعمال المؤتمر الذي عق دتُه بالتعاون مع " المستشارية الثقافيّة للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة في لبنان " ، بمناسبة الذكرى الثلاثين لوفاة . ومع ذلك فإنني سأُعيدُ نشرهما الآن ، وذلك لروعتهما ، أولاً ، ثم لنُدرة نسختهما . أمّا باقي شعره ، فهو إمّا موزّع في صفحات كتبه ، وإمّا مكتوب على قصاصات مُنفردة وغيرها . وعلى كلّ حال ، فهو لم يُجمع ويُنشر . ومن هنا تأتي ضرورة جمعه ونشره في هذا الكتاب .

من الضروري أن نُشير في ختام هذا التصنيف لموضوع الكتاب ، إلى أن أكثر هذه الحقول والبياديين تتقاطع فيما بينهما . فالعمل التبليغي قد يكون نهضويّاً أيضاً ، والعكس

صحيح . كما أن مُصنّفاته وبعض شعـره على الأقلّ قد وُضعت لأغراض تبليغيّة – نهضويّة . فالتصنيف إذن شكليّ بحثٌ ، أي أننا إنما اعتمدناه فقط لتسهيل البحث .

(4)

بالنسبة لمصادر الكتاب فوّج اعتمدنا ثلاثة مصادر مباشرة ، هي :
 – الأول : سيرته الذاتية التي كتبها تحت عنوان " حديث النعم " ، ونشرناها مُحققةً عن نسخة الأصل المحفوظة عندنا . وهي تُغطّي سنوات حياته منذ بدء الطلب ، حتى عودته الثانية إلى " النجف الأشرف " . أي أنها ، من أسف ، لا تعرض لسيرته وأعماله في مدينة " العمارة " ثم في " لبنان " و " سوريّة " . والظاهر أنه انصرف عن متابعة كتابتها بسبب انشغاله الكامل بمُقارعة الحملة التبشيريّة في جنوب " العراق " . وسنُثبت راموز نسخة الأصل بعد هذه المقدّمة .

– الثاني : ما تحدّث به عن نفسه ، بطريقةٍ أو أخرى ، في كتبه .

– الثالث : مجموعة من الوثائق الخطيّة المحفوظة لدينا . سننشر صورة ضوئيّة للهامّ منها في مكانه المناسب من الكتاب .

يُضافُ إليها ما وعته ذاكرة الكاتب ، أو ما رواه عمّن رآه أو سمعه من أصفياء الشـيخ وعارفيه . خصوصاً أثناء مُرافقتله في زيارته الأخيرة لمدينة " العمارة " شهرَ رمضان 1378هـ / 1958م .

والحمد لله رب العالمين

بعلمك في 21 شوّال 1430

9 تشرين الأول 2009

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الحمد لله مبدئ الخلق ومنتهم ومبيد الملوك ومعيدهم
 كتب آثارهم واحصى أخبارهم وحد آجالهم لا يسئنا خزون ساعة ولا
 يستقدرون ان في ذلك موعظة وذكرى لاولى الالباب
 وصلى الله على نبينا وشفيقتنا سيد الخلق اجمعين محمد صلى الله عليه وعلى آله
 وعترته الغر واليامين ووعلى انبيائه والمرسلين من عباده الصالحين
 وكرام ملائكة المقربين ما كثر الجديان وتعاقب الملوك ومالاح فجر واضاً
 صبح صلوة ترفع بها شأنهم وترغم انفسنا منهم من الانس والمجن اجمعين
 الى يوم الدين

اما بعد فقد قال سبحانه وهو اصدق القائلين ارشاداً الى الواجب
 شكره وتبنيها على مواضع فضله وبره

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ

بعنا على نتائج السعادة من الاعمال ولو اقم ^{فقال} سبحانه الرحمن من كريم الاقوال

علاهو

الفصل الأول

السيرة الأوليّة

- 1 - أُسْرته
- 2- نشأته
- 3 - الرحلة الأولى إلى النجف الأشرف
- 4 - العودة الأولى إلى الوطن
- 5 - الرحلة الثانية إلى النجف
- 6 - في الكوت
- 7 - في العمارة
- 8 - العودة النهائية إلى الوطن
- 9 - في بعلبك
- 10 - وفاته

بُغيتنا في هذا الفصل أن نبني سيرةً حَدِيثِيَّةً كاملةً موثقةً لصاحب السيرة . نروي فيها بالتوالي التاريخي مراحل حياته مرحلةً مرحلةً . مصدرنا الرئيس إليها ما تحدّث به عن نفسه في كتابه (حديث النعم) . الذي سبقت الإشارة إليه في مقدمة الكتاب . وسنتحدّث عنه بتفصيلٍ أوفى في الفصل المُخصَّص لمصنفاته . مع إغناء ما في هذا المصدر الرئيس بما نعرفه من تفاصيلٍ لما ذكره مُجَمَّلاً هناك .

1- أُسْرَتُهُ

الشيخ حبيب بن الحاج محمد بن حسن بن إبراهيم بن حسن ياسين (1) .

و " ياسين " الاسم الذي ختمنا به ما نعرفه من سلسلة نسبه ، هو عَلَمٌ على أُسْرَةٍ كبيرة . ترتفع بأصولها البعيدة إلى قبيلة همّدان اليمانيّة ، التي عُرفت بولائها الخالص لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) ثم من بعده لابنه الإمام الحسن (عليه السلام) . بارحت منازلها في " الكوفة " على أثر انهيار المشروع السياسي الذي قاتلت من أجله مع الإمامين . واتجهت إلى " الشام " . لتتنزل مدينة " حمص " ووسط " سورية " ، وثلاث قُرى في " الغوطة " المُطيفة بـ " دمشق " هي : " عين ثرما " و " صنعاء " الدارسة و " حُجّراء " التي تُعرَف اليوم بـ " حَجّيرة " . وفي جبال الظنّيين ، في شمال " لبنان " . وتُعرَف اليوم بـ " الضنّيّة " . وفي أطراف " بعلبك " ، أي في الجبال العالية شرق المدينة ، وفي القريتين المُجاورتين لها : " إيعات " في شمالها و " تمنين " في غربها . وأخلاف المهاجرين الهمدانيين ما يزالون في هاتين القريتين . ومنهم آل ياسين في " تمنين " . فرغ من هذه هاجر إلى " جبل عامل " ونزل قسماً منهم قرية " مجدل سلم " ، وما يزالون فيها . في حين نزل فرغٌ آخر قرية " حنويح " (2) . ومنه أُسرة صاحب السيرة . وإذا أخذنا في الاعتبار أن الجدّ الرابع للشيخ كان يحمل اسم الأسرة الأصلي ، فيمكننا أن نُقدّر أن هجرة فوع " حنويه " قد حصلت قبل

(1) ذكر الشيخ نسبه هذا في كتابه الإسلام في معارفه وفنونه ، ط. مطبعة العرفان، 1369، السنة: 233/3.

(2) جعفر المهاجر : التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية ، ط . بيروت 1413 هـ / 1992 م / 72 وما

زهراء المائة سنة من مولد الشيخ . لكن هذا الفرع اكتسب في وطنه الجديد اسماً جديداً ، كما يحصل كثيراً مع تبدل الوطن ، هو " آل إبراهيم " ، نسبةً إلى والد جدّ الشيخ . ثم غلب على قسم منها لقب " سقسوق " . وما يزال الشطر الأكبر من الأسرة يحمل هذا اللقب . ثم تحوّل الاسم أخيراً إلى " المهاجر " ، بسبب خطأ في القيود الرسمية أثناء إحصاء رسمي . حيث كان الشيخ أثناءه في " العراق " . فكُتِبَ في الحقل المُخصَّص أنه مُهاجر ، في مقابل مُقيم . وكان أن ضُمَّتْ هذه الصفة خطأً إلى اسمه . وبذلك اكتسبتْ عائلتنا فقط هذا الاسم . والطريفُ أن من إخوته من لا يزال يحمل اسم " إبراهيم " ، في حين يحمّلُ الباقون اسم " سقسوق " . ومع ذلك فقد ظلّ يؤثر طيلة عمره الانتساب إلى جدّه ، مع الإشارة إلى الاسم الآخر الذي غدا رسمياً . فكان يكتب اسمه دائماً هكذا :

المهاجر العاملي

الشيخ حبيب آل إبراهيم

وهو الاسم الذي أثبتناه تبعاً له على غلاف هذا الكتاب .
 مهما يكن فإن أسرته كانت على شيء من اليسار ، بالقياس إلى عامّة أهل " جبل عامل " الفقراء . تكسب رزقها من العمل في الأرضين الزراعيّة الواسعة التي تملكها . وفيما خلا ذلك فقد كانت أسرةً عاديّةً في كل شيء . لم تُنجب من قبله أحداً من المعارف .

2- نشأته

وُلِدَ في قرية " حنويه " سنة 1304 هـ / 1886م تقريباً . يقول في كتابه (حديث النعم

: (

" وُلِدْتُ في سنة ثلاثماية وأربعة تقريباً بعد الألف

من هجرة سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله أجمعين في بلد

حنويه " (1) .

(1) الشيخ حبيب : حديث النعم ، ط. ضمن مجموع في بيروت 1417 هـ / 1996 م / 29 .

ولقد كانت " حنويه " يوم وُلد فيها قريةً صغيرة ، تستقرّ على رأس هضبةٍ مُرتفعةٍ قليلاً عمّا حولها . شأنَ أكثر قُرى " جبل عامل " . تُشادُ في الأعالي طلباً للسلامة وشئٍ من الأمن . تُحيطُ بها كرومُ الزيتون وبساتين البرتقال وما إليها . أكثرها في ملكِ أسرة الشيخ . ويعمل فيها بصفةٍ أُجراء قسمٌ كبيرٌ من أهل القرية . تتجمّع بيوتها الطينيّة حول مسجد القرية الطينيّ الصغير ، الذي ما يزال على هيئته يوم وُلد فيها الشيخ . ومن تلك البيوت بيتُ الأسرة ، الذي يبعد عن المسجد مسافةً قصيرة . وما يزال ما بقي منه ، بع ما جرى عليه من إضافات بدلت من هندسته الأولى ، يدلّ على ما كانت عليه الأسر من يسارٍ نسبيّ بالقياس إلى أهل القرية . إذ يتميّز عن كل ما حوله من بيوتٍ قديمة بمدخله الحجريّ المُرتفع ، الذي لا يخلو من جمالٍ ومهابة .

وقد وصف الشيخ في كتابه الأنف الذكر القرية وصفاً التي وُلد فيها وصفاً مؤثراً ، أودعه حنينه إليها وإلى أيامه فيها . قال :

" حنويه إحدى بلدان جبل عامل ، التابعة لمدينة صور المعروفة . بل هي منها حسب ما كانت عليه في الأيام الخالية . حيث كان ملكها حيرام ، المعروف قبره بالقرب منها ، المعاصر لسليمان بن داود على نبينا وآله وعليه السلام ، كما نصّ عليه التاريخ . وفيها آثارٌ قديمة تدلّ على عظم عمراتها السابق . وبالجملة هي في أيامنا هذه مُستمكنة على رأس جبل . قد أشرفت على ساحل بحر تيار . بمرأى منها غادي السفن ورائحها . مُحْتَفَةٌ بِمُخْتَلَفِ الأشجار المُحدقة بها" (2) .

لكن الأبعد من كل هذا الوصف الجميل ، وما هو أوثق اتصالاً بسيرة الشيخ ، هو أمرٌ سيُشير إليه في مذكراته بعد قليل . ذلك هو نزولُ عالمِ جليلٍ في القرية ، لأول مرةٍ في تاريخها المعروف فيما يبدو ، على غير توقّعٍ من أهلها . وما ترتّب على نزوله فيها من حركةٍ علميّةٍ قصيرة العمر . ولكنها كانت بمثابة الأساس من سيرة الشيخ . وفرصته التي اهتبلها حتى النهاية .

(2) المصدر السابق نفسه .

ذلك هو الشيخ محمد علي عزّ الدين (3) .

لم يُدرك الشيخ الأيّام التي ازدهرت فيها قريته بحضور الشيخ عز الدين . ذلك أن هذا توفي قبل مولده بثلاث أو أربع سنين . وبوفاته تفرّق شملُ الطلاب الذين تحلّقوا من حوله إبان حياته . وخمد النشاط الذي كان هو قلبه ومُحرّكه . وهذه سنّة من سنن الحياة العلميّة في " جبل عامل " : تزدهر في بلدٍ من بلدانه بوجود عالمٍ قدير فيه . وتخدم بوفاته أو انقطاعه . ومع أن الشيخ إبراهيم بن حسن عز الدين ، حفيد الشيخ محمد علي ، حاول إحياء ما أسس له جدّه في " حنويه " . وأقام فيها دون انقطاع منذ عودته من " النجف " سنة 1308 هـ / 1890م ، حتى وفاته فيها سنة 1333 هـ / 1914م (4) . لكن الظاهر أن الحفيد ما كان له مثل مكانة جدّه العلميّة . ولم ينجح في جذب الطلاب إلى حلقات دروسه . أو لأنه كان " كثير العبادة ، يُحبّ الاعتزال بنفسه " (4) .

هي ذي الخلفيّة الاجتماعيّة التي انطلق منها الشيخ نحو اختيار نمط حياةٍ مُختلفة عن حياة أسرته . اختياراً لم يبدأه هو ، لأنه كان أصغر سناً من أن يختار لنفسه . وإنما تطلّع إليه أبوه الحاج محمد . الذي كان ولا ريب يُراقب الطور الجديد الذي اتخذته " حنويه " على يد نزيلها

(3) . وُلد في " كفرة " ، قرية في أعالي " جبل عامل " . ودرس على علماء وطنه : علي حسين مروّة في " حدّاثا " ، والسيد علي إبراهيم في " النميريّة " ، وعبد الله نعمة في " جباع " . ثم ارتحل إلى " النجف " ، حيث قرأ على محسن خنفر و خليل الطهراني . وأجازته هذا . ونص إجازته له في أعيان الشيعة . رجع إلى مسقط رأسه ، بعد أن قضى في " النجف " نحو ست سنوات . والتفّ حوله جمعٌ من الطلبة يقرأون عليه . منهم السيد علي محمود الأمين والسيد نجيب فضل الله .

انتقل إلى " حنويه " . وكان لحضوره فيها بركةٌ وحُسنٌ أثر . إذ التفّ حوله جمعٌ من الطلبة ، بحيث جعل من هذه القرية ، التي لم تشهد في تاريخها أي نشاطٍ علمي ، أحد المراكز العلميّة لعدّة عقودٍ من السنين . توفي في " حنويه " سنة 1301 هـ / 1883 م ودُفن فيها .

مصادر الترجمة له : تكملة أمل الأمل / 378 ، شعراء الغري : 9 / 487 ، معجم رجال الفكر والأدب في النجف / 880 ، أعيان الشيعة : 9 / 447 - 50 ، مصفى المقال / 327 ، معجم المؤلفين : 11 / 30 ، موسوعة طبقات الفقهاء : 14 / 769 - 70 ، الذريعة : 3 / 410 و 461 و 11 / 263 و 12 / 257 .

(4) انظر الترجمة له في : حديث النعم / 70-72 . وقد رثاه المؤلف بقصيدةٍ من أجمل الشعر .

سنورد ما انتخبه منها فيما سنورده من شعره .

الشيخ محمد علي . وكان ، شأن كل الآباء ، يتمنى أن ينال ابنه حبيب نصيبه من هذه النعمة الوافدة . وقد وصف الابن ، بكلمات تندّ بالعرفان ، سعي أبيه في هذا السبيل . قال :

" ومُذْ بَلَغْتُ مِنَ الْعَمْرِ مَقْدَاراً نَزْراً ، اخْتَارَ لِي الْوَالِدُ

رَحِمَهُ اللَّهُ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ حَسَنَ مَرَوِّهِ ، مِنْ الْعَائِلَةِ الْمَعْرُوفَةِ فِي

بِلَادِنَا بِالْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ ، الْمُنْتَمِيَةِ بِحَسَبِ مَا نَسْمَعُ إِلَى شَيْخِنَا

الْبِهَانِيِّ قَدَسَ سِرُّهُ . فَاعْتَنَى بِي اعْتِنَاءً حَسَنًا . لَمْ أَزَلْ أُدْرِكُ

إِلَى الْآنَ حُسْنَ صَنْيعِهِ . جَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا . وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ

فِي قَرْيَةِ عَيْنْبَعَالِ ، بِجَانِبِ قَرْيَتِنَا الْمَذْكُورَةِ ، عَلَى قُرْبٍ مِنْهَا .

فَكُنْتُ أَذْهَبُ صَبَاحًا وَأَرْجِعُ مَسَاءً " (5) .

ونفهم من هـ ذا ، بمعونة النصّ التالي ، أن الأب الحنون أدرجه ، على صغـر سنّته ، لدى مُدرّس خاص يُقرئه القرآن العزيز . أو أن الشيخ مروّه كان شيخ كُتّاب . يكسب رزقه من إدراج أولاد الخاصّة إلى نيل قسطٍ من الإعداد . ومعلوم أن مؤسّسة (الكُتّاب) ، إن صحّ اعتبارها مؤسّسة ، كانت في ذلك الأوان البابَ الوحيدَ المُشرع ، لمن يهّمهم الأخذُ بيَدِ أبنائهم إلى عالم المعرفة .

كانت الخطوة التالية بعد تعلّم القراءة هي إحسان الكتابة . وهذه تولاها شيخٌ من آل

خاتون في " حنويه " ، التي ما يزال بعض أبنائها يقطنونها حتى اليوم . ونذكر بالمناسبة أن

هذه الأسرة هي أعرق الأسرات العلميّة في " جبل عامل " . ما فتئت تُنجب العلماء منذ ما

يُناهز الخمسة قرون حتى اليوم . وآخرهم في " حنويه " المرحوم الشيخ علي خاتون ، الذي

توفي شاباً منذ عدّة سنوات في حادثة سقوط طائرة في " إفريقية " . والشيخ يقول في أستاذه

الشيخ إبراهيم خاتون أنه " كان حسن الخط جداً " (6) . والظاهر أنه أخذ خطّه الجميل عن

أستاذه هـ ذا .

بعد أن أتمّ التأهيل المطلوب ، حسب التقاليد الدراسيّة المعمول بها في ذلك الزمان . اتجه

إلى دراسة علوم العربيّ . وقد وصف هذه المرحلة وصفاً على شئ من التفصيل في مذكراته .

(5) المصدر نفسه / 29 .

(6) نفسه / 30 .

يقفُ بنا على التقاليد الدراسية المعمول بها آنذاك في " جبل عامل " . خصوصاً وأنه وصفُ نادر . قال :

" ثم ابتدأتُ بالاشتغال بالعلوم العربية في بلدنا المذكور . وقد انتظمتُ بها عقود محافل الاشتغال والتدريس . [.] ثم لم يمض على ذلك مدةً من الزمن ويسيراً من السنين ، حتى انفصمتُ عروة تلك المحافل ، وتشتتت مجتمعاتُ تلك الأندية . ولم يبقَ إلا نزرٌ من الطلاب ، وقليلٌ من المتشاعلين . يترددون في بعض الأسابيع دون بعض من البلدان القريبة والمحال الدانية . وأخذ العلم في النباطية وشقرا من بلدان جبل عامل دوراً حسناً ورقياً راقياً . فانصرفتُ لذلك عن الاشتغال . وانقطع عليّ النظرُ في ذلك الهدى . وأشغلتني الزمان بفارغ . سنيناً معدودات اختلسها مني الدهرُ بئس بخص . وكنتُ فيها من الزاهدين " (7) .

مما لا ريب فيه أن الوعاء الزمني لهذا النص ، هو الفترة التي كان فيها الشيخ إبراهيم عز الدين عالم القرية وما والاها . ومنه نعرف أنه نجح أول أمره في إحياء ما فتر بوفاة جدّه الرائد ، بحيث " انتظمتُ بها عقود محافل الاشتغال والتدريس " . ولكنه ، لأمر ما ، عجز عن المحافظة على هذا الإنجاز . والظاهر أنه انصرف عن التدريس ، مؤثراً الاهتمام بنفسه . وإلى هذا ألمح الشيخ في الترجمة التي علّقَ قها له حيث قال : " كثير العبادة . يحبّ الاعتزال بنفسه . ويكره مخالطة أبناء الدنيا والتواضع لهم " (8) . وهذا كلامٌ صريحٌ في أنه هو الذي انصرف عن الناس ، ومنهم طبعاً تلاميذه ، ولم يتواضع لهم ولم يمنحهم من وقته وجهده . وليسوا هم الذين انصرفوا عنه . ونفهم من لحن النص إجمالاً برَمَ الشيخ بسلوك الشيخ إبراهيم الضيق . فلم يذكره في عداد أساتذته . في حين ذكر مَنْ هو أدنى منه بكثير ، مقروناً بالعرفان والتقدير .

(7) أيضاً / 30 .

(8) أيضاً / 70 .

لذلك السبب انقطع الشيخ عن الدراسة مدّة طويلة ، وصفها ذلك الوصف المؤثر، الذي يندُّ بالحسرة والندم . والظاهر أن مدّة الانقطاع هذه طالت ما يزيد على العشر سنوات . لم يرَ فيها غير " سنيين معدودة اختلسها مني الدهرُ بثمانِ بخس " . والظاهر أيضاً أنه انصرف أثناءها إلى مثل ما يعمل فيه أقرانه . ففي " حنويه " حتى اليوم بستانٌ مزروع بمختلف الأشجار المثمرة ، يتناقل الناس أنه من عمل يد الشيخ حبيب . ولذلك فهم يُحيطونه بالعناية وبما يُشبه التقديس ، بوصفه أثراً نفيساً لأعرفٍ من أنجبته بلدتهم . ممّا يُذكرنا بالكرم الشهير الذي غرس أعنابه الشهيد الثاني في " جُباع " .

3- الرحلة الأولى إلى النجف الأشرف

بتاريخ " الثاني عشر من شهر ربيع الأول من شهور سنة ثمانية وعشرين بعد الألف والثلاثماية " (9) الموافق 1910 / 3 / 23 م ، كان قد أتمّ تجهيز نفسه للسفر إلى " النجف الأشرف " في طلب العلم . هنا أيضاً رأينا أثر عناية ورعاية والده ، كما رأينا في بدو دراسته . وكما سنراه في مفصلٍ قادمٍ من مفاصل حياته . وقد وصف الشيخ هنا سعي والده في هذا بكلماتٍ قليلة ، ولكنها تبيّن بالعرفان قال : " فقام والدي قدس الله نفسه بأمرٍ قياماً لم يُسبق إلى مثله " (10) .

كان الشيخ آنذاك في الرابعة والعشرين . وكان قد تزوّج بابنة عمته . وأنجبا ابناً سمّاه محمد تقي . لم تطل به الحياة ، غير بضع أشهر ، ثم توفي في " النجف " . وقد وصف الشيخ الطريق الذي سلكه وصولاً إلى " النجف " وصفاً على شئ من التفصيل ، وهو الذي لم يغادر قريته الصغيرة ومحيطها من قبل . نكتفي من ذكره بهذه الإشارة . لكننا ونحن نقرأ مذكراته في هذا رأينا ه يصِف سفره الطويل بلغةٍ باردة ، فكأنه يتحدّث عن شخصٍ آخر . بيد أنه ما إن وصل به الوصف إلى ذكر إشرافه على قباب مرآقد الأئمة (عليهم السلام) ، في " الكاظمية " و " كربلاء " و " النجف " ، حتى رأينا لغته تنتفض، وتتحول إلى لغةٍ مختلفةٍ تمام الاختلاف . لغةٍ دافئةٍ حميمة ، تضحّ بالحماسة والتأثر . فكأنه ضاربٌ في رمضاء صحراء ،

(9) أيضاً / 30 .

(10) أيضاً / 30 .

أشرف منها على واحةٍ ظليّة . فهاهو يتهلّل حبوراً مُستبشراً بما سيلقاه من ظلّ وريّ .
قال :

" وبعدها أشرقتُ شمسُ قبابِ الكاظميّة فكربلا
فالنّجف الأشرف على ساكنيهم السلام والتّحيّة . بيوتُ أذن الله
أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه . يُسبّح له فيها بالغدوّ والآصال
رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقام الصلاة .
ثمّثل لك مهابط الأتوار من شريف تلك المراقد ، بما ضربتُ
عليها من قباب الذهب المُتقدّمة . أمامها شامخات المنابر ،
بملايس العسجد كأعمدة النور . وما يغدو ويروح بأفنانها ، لا
يخاف ظلماً ولا هضماً ، من مُقدّسي رجال الدين ، وأيّمة
العلم ، وكرام الزائرين . مع ما أوى إليها أمناً من جمّ الحمام
المطمئن . جنة الخلد بما فيها من الملائكة المُسبّحين ، وكرام
عباده الصالحين " (11) .

هذه صورةٌ تآزر في رسمها الدهشة والشوق . أخال أنها ، على تفصيلها المُدهش ،
قد نظمتها عينُ كاتبها ، المأخوذة بما تراه ، في لحظات . فجاءت بهذا الغنى الوصفي . مـن
" قباب الذهب " إلى " شامخات المنابر " إلى " مُقدّسي رجال الدين " حتى إلى " الحمام
المطمئن " . فكأنها عناصر تجمّعت في ختام الفقرة بعبارةٍ أخّاذة ، تُفصح عن مكنون كاتبها :
" جنة الخلد " .

ما إن استقرّ المقام بهذا القادم من " جبل عامل " في جنة خُلدته حتى " أدرج إلى العلم
إدراج الواله " (11) . والدّرَج والإدراج يعني هنا أن يُرتّب أمر دراسته بنفسه . ذلك أن
الدراسة والتدريس في " النجف " كان وما يزال أمراً شخصياً . ما من نظام مكتوب ، يفوض
موادّه وبرنامجه على المنتظمين في سلك تلك الحركة الكبيرة ، التي تدور في مساجدها وحلقاتها
الدراسيّة . وإنما يتمّ ترتيب كلّ شئٍ منها ، بين الطالب وبين مَنْ اختاره هو ليكون أستاذه .
هذا إذا كان ثمة هناك من مُقتضٍ لترتيبٍ ما .

ذلك أن الدراسة هنالك من مرحلتين رئيسيتين :

- الأولى : السطوح . وعمادها دراسة عدد من الكُتب في العلوم الأدبية ، أي النحو والتصريف والمعاني والبيان والبديع ، ثم المنطق ، ثم الفقه وأصوله . وهذه يجري الاتفاق بشأنها بين الطالب وأحد الأساتذة ، أن يهنحه وقتاً مُعيناً وده أو مع عدد غير مُحدّد من الطلاب .
- الثانية : الخارج . وهي حصراً في الفقه وأصوله . وفيها يُلقى الأستاذ اجتهاداته وما انتهى إليه رأيه على مَن يحضر حلقة درسه . وليس على الطالب سوى أن يحضرو ويستمع ، دون أن يكون مُطالباً بأي التزام . وقد درج بعض كبار المُدرّسين ، على أن يختم كل درس بأن يُفسح لطلابه وقتاً ، يدور فيه النقاش بينهم على ما أُلقي عليهم ، على مسَمَعٍ منه . وفي نهاية السعي يمنح المُبرّزين منهم إجازةً بالاجتهاد ، إن كانوا من أهله .
والشيخ يقول في مُذكراته :

" فمن ثم وفق لي سبحانه من الأساتذة من ارتاحت إليه نفسي . من جهابذة الفضل وأوعية العلم والكمال . وهم كثيرون . وأكثر من استفدتُ منه تدریساً وتدريباً ، فقهاً وأصولاً ، الشيخ الجليل الشيخ عبد الكريم شـرارة العاملي " (12) .

ولكنه يقول في الترجمة التي علّقها لنفسه ، فيما ختم به كتابه " حديث النعم " من تراجم لمن عرفهم ، أنه " قرأ السطوح على الأنوار الهداة المَهديين الشيخ عبد الكريم شرارة ، والسيد

(12) أيضاً / 31 . وهو عبد اللّویم بن موسی شرارة . وُلد في "النجف" سنة 1271هـ/1854م . وقدم إلى وطنه "بنت جبيل" وله سبع سنين . وقرأ المقدمات وكتاب معالم الدين والقوانين على السيد نجيب فضل الله

رجع إلى "النجف" لمتابعة الدراسة . فقرأ كتاب الرسائل على أحمد كاشف الغطاء . ثم حضر الدروس الفقهية العالية لمحمد كاظم الخراساني مدة طويلة . كان أثناءها يدرس كتاب خلاصة الحساب وشرح منظومة السيزواري في الحكمة على السيد محمد حسين الكيشوان .

سنة 1330هـ/1912م رجع إلى وطنه . ولكن مقامه فيه لم يطل ، بل توفي بعد سنتين . وكانت لوفاته المبكرة رنة حزن عامة . وقد ترجم له الشيخ في ختام كتابه حديث النعم ، ورثاه بقصيدة يجدها القارئ ضمن شعره .

شريف شرف الدين (13) ، والشيوخ محمود مُغْنِيَّةَ العاملين (14) " (15) . وهذا يُبَيِّن لنا بعض من عناهم بقوله مُجْمَلًا فيما فات : " وهم كثيرون " .

ثم أنه يقول في سند حديثٍ رواه في خواتيم كتابه نفس هـ : " حدَّثني أستاذنا الكبير الشيخ باقر الجواهري " (16) .

فهؤلاء أربعة من أساتذته في سطوح الفقه وأصوله ، ثلاثة منهم عامليون . والرابع من أسرة نجفية شهيرة .

الغريب أن هؤلاء الثلاثة جميعاً لم تطُل أيامهم بعد رجوعهم إلى وطنهم . بل توفوا فيه عن قريب ، في تواريخ مُتقاربة .

بعد أن أتمَّ مرحلة السطوح في الأصول والفقه ، حضر الأبحاث الفقهية العالية على

(13) السيد شريف بن يوسف شرف الدين . وُلد في قرية "شحر" سنة 1298هـ/1880م . وارتحل مع أخيه الأكبر السيد عبد الحسين سنة 1309هـ/1891م إلى "النجف" . وفيه قرأ لمدة سنة على أخيه . ثم انتقل إلى "سامراء" لمدة . ليعود إلى "النجف" . وكانت أكثر دراسته على أحمد كاشف الغطاء .

سنة 1322هـ/1904م رجع إلى وطنه ، ليقيم في مسقط رأسه مدة سنتين . رجع بعدها إلى "النجف" . وحضر أبحاث محمد طه نجف ، والسيد محمد كاظم اليزدي ، ومحمد كاظم الخراساني . وأخذ علم الرجال والدراية عن علي بن حسين الخاقاني . وحصل على إجازة بالاجتهاد من أستاذه الخراساني . سنة 1331هـ/1912م رجع إلى بلده . ولكن مقامه فيه لم يطُل فتوفي سنة 1335هـ/1916م .

مصادر الترجمة له : بُغية الراغبين : 11/2 ، أعيان الشيعة : 7 / 343 ، تكملة أمل الأمل / 231 ، حديث النعم / 86 - 88 ، نقباء البشر/837-38 ، موسوعة طبقات الفقهاء : 14 / 272-74 .

(14) محمود بن محمد مُغْنِيَّة . وُلد في قرية "طير دبا" في "جبل عامل" . وارتحل إلى "النجف" مرتين ، نال في الثانية إجازات من علمائها . ينقل آغا بزرك عن السيد حسن الصدر في كتابه تكملة أمل الأمل قوله فيه : " من أهل الغور والتحقيق في المطالب العلمية والحقايق الواقعية . قلَّ في معاصريه من العرب من وصل إلى مقامه " . وهذا النص ممَّا حذفه ناشر الكتاب من المطبوعة من تكملة أمل الأمل .

رجع إلى بلاده ، ولكنه هو الآخر لم تطُل أيامه . وتوفي سنة 1335هـ/1916م . (نقباء البشر ط . طهران 1430 هـ بتحقيق السيد محمد الطباطبائي / 322) .

(15) حديث النعم / 80

(16) المصدر نفسه / 69 . ولم نعثر على ترجمة له .

الفقيه والزعيم الجليل شيخ الشريعة الإصفهاني (17) . ونال منه إجازةً صورتها الضوئية في الصفحة التالية .

قال في مذكراته :

" وبعد الفراغ من سطوح الأصول والفقه ، اعتمدتُ في الخارج بحث الشيخ الكبير حجة الإسلام وزعيم الشيعة ، سيّد العلماء الأعلام ، المشتهر بشيخ الشريعة . مدّ الله في أيام حياته الشريفة " (18) .

(17) هو فتح الله بن محمد جواد النمازي . وُلد في "إصفهان" سنة 1266هـ/1849م . وفيها تتلمذ على محمد باقر بن محمد تقي الإصفهاني ، وحيدر علي الإصفهاني ، وأحمد السبزواري ، وعبد الجواد الخراساني . وبدأ يبرز بوصفه مدرساً يتمتع بقدرةٍ بيانيةٍ مملوثة . هاجر إلى "النجف" ، فحضر الأبحاث الفقهية لكل من حبيب الله الرشتي ومحمد حسين الكاظمي . وما عتَم أن غدا من كبار مدرّسي الفقه وأصوله . وتخرّج عليه جمع من العلماء المعارف . من العلماء الكبار الذين أمروا بوجوب جهاد الغزو الإنكليزي لـ "العراق" . ورابط بنفسه في الثغر المواجه للعسكر الإنكليزي في محور "القرنة" . قائد ثورة "العراق" الكبرى على الاحتلال ، المعروفة بـ (ثورة العشرين) ، بعد وفاة الميرزا محمد تقي الشيرازي . وإليه انتهت المرجعية الكبرى للشيعة . توفي في "النجف" على أثر دخول الجيش الإنكليزي إليها ، بعد أن قصف القرى بمدافعه ، ومسجد "الكوفة" بطائراته ، بتاريخ 8 ربيع الثاني 1339 هـ / 1920/12/18م .

مصادر الترجمة له : معارف الرجال: 154/2 ، فوائد الرضوية/345 ، علماي معاصر/123 ، ريحانة الأدب : 206 /3 ، ماضي النجف وحاضرها : 161/1 ، أعيان الشيعة : 391/8 ، نقباء البشر: 849/2 ، معجم رجال الفكر والأدب في النجف/ 767 ، مُصفي المقال / 193 ، أحسن الوديعه : 211/1 ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية / 520 ، تذكرة القبور / 373 ، مكارم الآثار : 1816/5 ، نجوم السما : 280/2 ، مرآة الشرق 1036-59 ، كتابهاي عربي جابي / 77 و694 ، شخصيت أنصاري / 360 ، الأعلام للزركلي : 5 / 135 ، معجم المؤلفين : 52/8 ، الذريعة : في مواطن كثيرة جداً ، انظر فهرست أعلامها / 1063-64 .

(18) حديث النعم / 31 .

سورة الاحقاف

الحق الذي مر من احاديث رجب بعبارة جميع الكائنات ونقل صحاح

التي كتبت في هذه النسخ الكائنات التي اجازها الله في اليت واليت وحسن واعتراف

في الاحاديث التي مر من احاديث رجب بعبارة جميع الكائنات ونقل صحاح

من صحاح الحديث ومناجج الرواية والرواية وحسن ما تم في الاستنباط في الاحاديث

وخاصة في الاحاديث التي مر من احاديث رجب بعبارة جميع الكائنات ونقل صحاح

في الاحاديث التي مر من احاديث رجب بعبارة جميع الكائنات ونقل صحاح

الاخر غير ذلك من رجب في الاحاديث التي مر من احاديث رجب بعبارة جميع الكائنات ونقل صحاح

بعبارة جميع الكائنات التي مر من احاديث رجب بعبارة جميع الكائنات ونقل صحاح

الكامل في الاحاديث التي مر من احاديث رجب بعبارة جميع الكائنات ونقل صحاح

التي مر من احاديث رجب بعبارة جميع الكائنات ونقل صحاح

في الاحاديث التي مر من احاديث رجب بعبارة جميع الكائنات ونقل صحاح

في الاحاديث التي مر من احاديث رجب بعبارة جميع الكائنات ونقل صحاح

في الاحاديث التي مر من احاديث رجب بعبارة جميع الكائنات ونقل صحاح

في الاحاديث التي مر من احاديث رجب بعبارة جميع الكائنات ونقل صحاح

في الاحاديث التي مر من احاديث رجب بعبارة جميع الكائنات ونقل صحاح



4 - العودة الأولى إلى الوطن

خلال شهر ذي الحجة 1333 هـ / كانون الأول 1915م غادر "النجف" متوجهاً إلى وطنه . وذلك بسبب انفجار ما يُسمّى بـ (الحرب العالمية الأولى) . ووصول نارها إلى المنطقة ، على أثر إعلان الدولة العثمانية الدخول في الحرب إلى جانب "ألمانيا" . إذ رأى أن من الأنسب له ولعائلته أن يكون في بلده وبين أفراد أسرته . خصوصاً وأن الدراسة قد اضطرب أمرها في "النجف" للسبب نفسه . فخرج من "النجف" في أوائل شهر ذي الحجة ، حزيناً كاسف البال .

ومما يجدر بنا الوقوف عنده ، قبل أن ندخل هذه المرحلة من سيرته ، أنه ختم مُذكراته على أيامه في "النجف" ، بسرد بعض مطارحاته الشعرية مع عددٍ من أصفائه ، مع أنها خارجة عن السياق ، الذي عودنا الالتزام به . فكأنه يريد أن يستعيد طعمها الطيب قبل أن يُفارق موطن أنسه ، فراقاً لا يدري ماذا سيكون من بعده . وسنقف عليها ضمن شعره .

غادر الشيخ جنةً خُله ، التي أمضى فيها حتى الآن خمس سنوات ، وهو يُنشد :

ليالٍ قصيراتٍ وياليتٍ عمرها يمدّ بعمرٍ فهو غاية ما عندي (19)

وبعد أن زار مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة ، اتجه إلى "الكاظمية" فـ "سامراء" لزيارة المراقد المُطهّرة فيهما . بعدها التقى بأبيه ، الذي خفّ لملاقاته إلى "الكاظمية" . وانطلق الركب المؤلف من خمسة أشخاص : الحاج محمد ، وابنه الشيخ حبيب ، وزوجته الحاجة فاطمة الصائغ ، وابنه الأكبر علي الذي توفي غريباً فيما بعد ، ووالدي الرضيع آنذاك سد ليمان رحمت الله على الجميع ، في عربةٍ تجرّها الخيول ، على الطريق المسلوكة يومذاك ، أي مع نهر الفرات . وفي بعض الطريق بدأت تظهر أعراض المرض على الأب ، ربما بسبب مشقات السفر الطويل ، على كبر سنّه . وما أن وصلوا إلى "مسكنة" ، على الضفة الشامية من الفرات ، حتى أسلم الروح . ففُجع به ، مع وحدته وغياب المُعزّي . فتلبّث أياماً إلى أن فرغ من أمره . تابع بعده السفر باتجاه "حلب" ، ومنها إلى "بيروت" بالقطار الحديد ، وصولاً إلى بلده "حنويه" .

أقام في وطنه زهاء الخمس سنوات . من المحرم 1333هـ / تشرين الأول 1915م حتى

رمضان 1337 هـ / آب 1919 م . شهد أثناءها ويلات الحرب العامّة الأولى ، وما نزل بأهل " جبل عامل " أثناءها من ويلات وكوارث المجاعة العامّة ومظالم العثمانيين الرهيبة . وقد سجّل في مذكراته وصفاً مؤثراً لها . كما قام بنشاط سياسي بارز ، دعماً لـ " حكومة الشرق العربي " في " دمشق " وأميرها فيصل بن الحسين ، الملك فيصل الأول في " العراق " فيما بعد . ولكنه سرعان ما اكتشف ما في سياستها وبعض شرعياتها من مفارقات ، فانصرف عنها . وقد سجّل كل ذلك أيضاً . وسنقف عليه في الباب المُخصّص لتوجهاته وأعماله في الميدان السياسي .

عقد العزم على الهجرة نهائياً إلى " النجف " ، ليقضي فيها ما بقي له من العمر . وقد سجّل ذلك في خواتيم مذكراته .

قال :

" فارقتنا الشام [يعني دمشق] صبيحة يوم السبت راجعين . وكنت ممّن تخلّف في الشام ، وكذلك السيد الشريف عبد الحسين [شرف الدين] . فاجتمعنا به وبالشريف ناصر المدني الحسيني فاتح حلب [.] وكنت قبل ذلك عازماً على الرجوع إلى العراق . لما تبين لي في هذه المدة من أمور الناس ، ومزيد إعراضهم عن الله سبحانه ، وشدة تكالبهم في أمور الدنيا [.] وزادني رغبةً ما تبيّنت من الفتن المُقبلة . فلم أرَ خيراً من الانقطاع إلى الله سبحانه والتفرّغ إلى العلم " (20) .

هكذا ، فما إن رجع من " دمشق " ، حيث شارك في أكثر من لقاء مع الأمير فيصل ، حتى شرع في تقطيع علاقته مع مسقط رأسه ، فباع لكلّ ما آل إليه من تركة والده ، " واستغرب الناس مني ذلك . لما يرونه بظاهر الأمر من صلاح الحال . وإنّي أعلم ما لا يعلمون " (21) . وكان ذلك في أوائل شعبان 1337 هـ / أوائل أيار 1918 م .

(20) أيضاً / 51 .

(21) أيضاً / 52

5 - الرحلة الثانية إلى النجف

بتاريخ 16 رمضان 1337هـ / 14 حزيران 1918م غادر "حنويه" . ليصل إلى "النجف" ، في شهر شوال التالي فيما نُقَدِّر. وما أن وضع قدميه على أرضها حتى تمثل قائلاً :

فألقت عصاها واستقرّ به النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر (21)

ما إن استقرّ به المقام ، حتى انصرف بكلّه إلى متابعة الدراسة ، التي كان قد قطعها قسراً قبل خمس سنين . ف "اعتمدتُ فقهاً وأصولاً بحثي الشيخين الجليلين الأوحديّ ن الشيخ علي الشيخ باقر الجواهري (22) والشيخ أحمد آل كاشف الغطا (23) دام ظلّهما " (2) . والقارئ الحصيف ، الذي تابع معنا ما سبق من سيرة الشيخ ، يلاحظ الآن أنه اختار بحثهما على بحث أستاذه ومُجيزه من قبل شيخ الشريعة الإصفهاني . مع أن هذا كان ما يزال على قيد الحياة آنذاك . ولعلّ السبب في ذلك هو انشغال الأستاذ بإدارة وتنظيم أعمال النضال السياسي والتحضير لجهاد المُحتلّ الإنكليزي . كما ذكرنا في الترجمة التي علّقناها له قبل قليل .

(22) هو حفيد محمد حسن النجفي ، مصنف (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) .

درس على محمّد حسين الكاظمي ، ومحمد طه نجف ، وآغا رضا الهمداني ، وقليلاً على حبيب الله الرشتي . وكانت له حلقة بحث يحضرها جمعٌ من أهل الفضيلة والتحقيق ، وجلّتهم من العرب . وفي هذه الحلقة انتظم صاحب السيرة .

توفي في "النجف" بتاريخ 7 شوال 1340 هـ / أوائل حزيران 1921م . (معارف الرجال ، ط . النجف 1384هـ/1964م : 2 / 129 - 30) .

(23) أحمد بن علي كاشف الغطاء . وُلد في "النجف" سنة 1292هـ / 1875 م وفيها نشأ .

ارتحل إلى "سامراء" وفيها بدأ تحصيله العلمي ، وأقام فيها بضع سنين .

رجع إلى "النجف" فحضر أبحاث الآغا رضا الهمداني ، ومحمد كاظم الخراساني ، واختص بالسيد محمد كاظم اليزدي . وناصره في موقفه السياسي المُعَارِض لـ "المشروطة" ، أي تقييد سلطة الشاه بمجلس شوروي مُنتخَب . وبعد وفاة أستاذه هذا رجع إليه بالتقليد بعض أهل "العراق" .

توفي في "بغداد" بتاريخ 19 / 12 / 1344 هـ / 10 / 7 / 1925 م ، ودُفن في "النجف" في مقبرة أسرته . (معارف الرجال : 1 / 88 - 90) .

بذلك يُنهي ما كتبه من مُذكراته . وختمها بقوله :

" وكان الفراغ من تصنيفه في الخامس والعشرين
من شهر ربيع الأول ، من شهور سنة تسع وثلاثين | بعد
الألف | . بخط يدي . وأنا الأقلّ حبيب المهاجر بن محمد بن
حسن بن إبراهيم العاملي . في النجف الأشرف على ساكنها
السلام " (24) .

هذه المُذكرات تطرح على المُتأمل في مادتها سؤالاً من شقين :

- الأول : لماذا كتبها ، أو فكّر بكتابتها أصلاً ؟

- الثاني : لماذا توقّف عن كتابتها ؟

مُسوّغ السؤالين ، أن الناس إنما يكتبون مُذكراتهم الشخصية ، إمّا شعوراً منهم بأهميتهم
وأهميّة ما عملوه في حياتهم . أي أن لدى القراء المُفترضين حافزاً كافٍ لقراءة ما يكتبونه لهم .
وإمّا لأن من أعمالهم فيما فات من حياتهم ما هو إشكاليّ ، فهم يكتبون ما يكتبون تبريراً لما
أشكّل منها ، وليقولوا للقراء وجهة نظرهم هم فيما فعلوه . ولكننا نعرف أن الشيخ بدأ كتابة
هذه المُذكرات في "النجف" في شهر صفر سنة 1339 هـ / تشرين الثاني 1920م (25) .
وختمها في التاريخ المذكور قبل قليل . أي أنه أمضى في كتابتها شهرين إلا قليلاً . وكان آنذاك
في الخامسة والثلاثين تقريباً . ولم يكن قد أتى من جليل الأعمال ما يُذكر .
أظن أن مفتاح الجواب يكمن في الاسم الذي وضعه لتلك المُذكرات : " حديث النعم " ،
الذي اقتبسّه ، من قوله سبحانه : " وأمّا بنعمة ربك فحدث " (الضحى / 11) ، أي امتثالاً
لواجب شكر الله تعالى .

هكذا ، فما هذه المُذكرات إذن إلا مُجرّد حديث إنس - إن لنفسه ، ذاكراً ومُذكراً نفسه
بنعم الله المتواليّة عليه . وهو الذي وُلد ليكون مُزارعاً ، يجني لقمة عيشه من زراعة الأرض ،
شأن كل أفراد أسرته . فكان من جميل صنّع الله به أن وفقه لأن يكون من أهل العلم . ثم بأن
أخذ بيده للنجاة بنفسه من الانغماس في المشروعات السياسيّة الاستعماريّة ، التي كانت تُحاك

(24) حديث النعم / 52 .

(25) المصدر نفسه / 27 .

للمنطقة ، تحت أسماءٍ مُزيّفةٍ خادعة .

من هنا يغدو مغزى ختام المُذكّرات ، وما ختمها به ، في غاية الوضوح . فهو إذ يضعُ ما بدا له نقطة الختام على حياته ، وكأنها نهاية السعي " فألقت عصاها واستقرّبها النوى " ، بعد أن باع كل ما يملك في بلده ، مع ما يعنيه ذلك من نيّة قطع كل علاقة له به ، و رجوعه إلى " النجف " بنية الهجرة الدائمة إليه ، مُتفرّغاً للعلم والعبادة - ، كل ذلك لأنّه كان يقول ضمناً وعملياً أنه قد وصل إلى أعلى غايات نفسه . ولو ان الزمان تكشّف له في تلك اللحظة عمّا كان يكتمه له ، لربما لم يُفكّر في كتابة تلك المُذكّرات . ولربما أُجّل كتابتها إلى خواتيم حياته . فحدّثنا عن أعماله وإنجازاته الجليلة وعن أسرارها في جنوب "العراق" ، وشرق "لبنان" ، ووسط وساحل "سورية" . ويا ليتّه فعل . لكن الله أمرٌ هو بالغه . ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ومع المديح الذي كاله الش يخُ لأستاذيّ الأخرين ، فإنني أظن أن دراس ته عليهما لم تطل . وعلى كلّ حال ، فإنه ليس فيما وصلنا عنه من وثائق ، أي ذكرٍ لهما أو لإجازةٍ منهما أو من أحدهما . والظاهر أنه تحوّل عن حضور بحثيّهما عن قريب إلى بحث السيد أبو الحسن الإصفهاني (26) .

(26) السيد أبو الحسن بن محمد الإصفهاني . وُلد في قرية " مديسيّة " من أعمال " إصفهان " . وبدأ دراسته في هذه ، ومن اساتذته فيها محمد الكاشي ، ومحمد أبو المعالي الكرباسي . سنة 1308 هـ / 1890م ارتحل إلى " النجف " . وفيها حضر بحث الميرزا حبيب الله الرّشتي ، ومحمد كاظم الخراساني . إلى أن توفي هذا سنة 1329 هـ / 1911م . حضر عليه سبع عشرة سنة . بعد وفاة أستاذه الخراساني تصدّر للتدريس العالي . وكان هو والميرزا محمد حسين النائيني أعلى الأساتذة في "النجف" شأناً . كما كانا كلاهما من مؤيدي دستورية الحكم في " إيران " (المشروطة) . ولهذا أبعدهما السلطات العراقية إلى " إيران " ، بحجة التدخّل في الانتخابات النيابية . وقد جرى لهما استقبالٌ شعبيّ حافل فيها . وبقيا في " قم " مدّة . ثم رجعا إلى " النجف " . بعد وفاة النائيني سنة 1355 هـ / 1936 م انحصرت المرجعية الدينية به .

كان الإصفهاني عالماً إماماً . عُرف ، فضلاً عن مكانته العلمية العالية ، بالحزم والتدبير وحُسن الإدارة . فكان يُتابع شؤون مركزه العالي بنفسه ، حتى في أدقّ التفاصيل . وبيّته شخصياً بالطلبة والمحتاجين . وهو أوّل من نظّم علاقة المرجعية الدينية بالناس في مُختلف الأقطار ، بواسطة فريق من الوكلاء عنه (يتبع)

كان السيّد الإصفهاني آنذاك ، أحد اثنين يتربّعان على قمّة الحركة العلميّة الكبيرة العالقة في " النجف " ، ثانيهما الشيخ محمد حسين النائيني . وكان الاثنان يتكاملان : النائيني رجل تنظير سياسي - اجتماعي مُنقّدم بالنسبة لعصره . أمّا الإصفهاني فقد كان رجل إدارة من الدرجة الأولى ، بحيث يمكن القول أنه رجل دولة . وطبعاً كانا كلاهما ذوّي موقعٍ علمي عالٍ . يحضر حلقتي بحثهما الفقهيّتين العاليتين رجال الصّف الثاني من المجتهدين ومن مُراهقي الاجتهاد .

تلك الخطوة التي أقدم عليها الشيخ يوم انضمّ إلى حلقة درس الإصفهاني ، والتي كانت في بدايتها غير ذات كبير شأن فيما يبدو ، أدّت إلى علاقة متينة جداً بين الاثنين . استمرت زهاء عقدي ونصف من السنين . وكان من تداعياتها ونتائجها ما سنقف عليه بعد قليل من سيرته الحافلة . وكم لمثل هذه البدايات الصغيرة من كبير أثر في حياة الناس . ثم كان من حُسْن تصاريف المقدور بالاثنين ، أن جمعت الأستاذ بتلميذه ، في الأشهر الأخيرة من حياة الأستاذ ، في بلد تلميذه " بعلبك " . إذ قصدتها بناءً على نصيحة الأطباء صيفاً 1365 هـ / 1946 م .

(تابع لما قبله) نشرهم في أنحاء " العراق " و " إيران " و " الهند " و " لبنان " ، ومنهم صاحب السيرة . وهو تقليدٌ يرجع إلى عهد الأئمة (عليهم السلام) .

توفي في " الكاظميّة " ، سنة 1365 هـ / 1946 م ، عائداً من " بعلبك " ، التي قصدتها للاستشفاء بطقسها المعتدل صيفاً . وشيّع جثمانه تشييعاً حافلاً إلى " النجف " .

(مصادر الترجمة له) : أحسن الوديعة / 261 ، أعلام الأدب في العراق الحديث : 333/2 ، أعيان الشيعة : 331 / 2 - 35 ، معجم رجال الفكر والأدب في النجف / 129 ، نقباء البشر / 41 ، مكارم الآثار : 7 / 2585 - 2611 ، المطبوعات النجفيّة / 101 و 144 و 186 و 339 و 380 ، معجم المؤلفين العراقيين : 1 / 60 - 61 ، موسوعة مؤلفي الإماميّة : 2 / 132 - 35 ، أحسن الأثر / 14 - 17 ، معارف الرجال : 1 / 46 ، علماء معاصرين / 193 ، ماضي النجف وحاضرها : 1 / 382 ، تكملة نجوم السما : 2 / 282 ، مؤلفين كتاب جابي فارسي وعربي : 1 / 137 ، موسوعة طبقات الفقهاء : 14 / 31 ، ناصر الحسيني : سراج المعاني در أحوالات سيّد أبو الحسن إصفهاني ، صالح الجعفري : الإمام أبو الحسن الإصفهاني ، مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف / 27 ، رجال إيران : 1 / 24 - 25 ، الذريعة : في مواطن كثيرة ، انظر فهرست أعلامها / 535 - 36 .

6 - في مدينة الكوت

كانت أولى ثمرات هذه العلاقة أن جعل الإصفهاني تلميذه العاملي وكيلاً عنه في مدينة " الكوت " . وذلك سنة 1340 هـ / 1921 م . وكانت " الكوت " يومذاك بلدة صغيرة ، على فرع من فروع نهر " دجلة " . نهضت على أنقاض مدينة " واسط " ، التي بناها الحجّاج بن يوسف الثقفي . ثم اندثرت ودرست فيما اندرس من بلدان " العراق " في الكوارث التالية . ليحلّ محلها حصنٌ عسكريٌ صغير (كوت) ، هو الذي منحها اسمها الجديد - ، إلى بلدةٍ نمت حول الحصن ، من عائلات العسكريين . الذين كان قسمٌ كبيرٌ منهم من الأكراد الشيعة . وغدت البلدة مركزاً لمنطقةٍ واسعة من أهمّ المناطق الزراعيّة في " العراق " . يقطنها بطونٌ وأفخاذٌ قبيلة شمر، التي ترجع بأصولها إلى " نجد " ، وبني ربيعة .

أمضى في " الكوت " مدة خمس سنين . فقد أثناءها ابنه الأكبر الشيخ علي ، الذي توفي غريقاً في " دجلة " . وكان في الثامنة عشرة . في مثل قامة أبيه الفارعة . وكان موضع أمّله لما تحلّى به من ذكاءٍ وانكبابٍ على التحصيل . وقد تأثر الشيخ كثيراً لفقده . وأحفظ عنه أنه قال : " على كثرة من عزّوني بعلي ، فإن حزني لم يسكن إلا بكلماتٍ كتبها إليّ الشيخ هادي كاشف الغطاء ، صاحب (مُستدرك نهج البلاغة) قال فيها : " الله خيرٌ لك من علي ، وخيرٌ لعلي منك " .

لكانت فترة " الكوت " ، من حُسْن تدبير المقادير له . سيكون في أمسّ الحاجة إلى الخبرات التي اكتسبها أثناءها في المهمة التاريخية التي كانت بانتظاره في المنطقة المجاورة . ولو أن امرءاً كان يعرف ما يُخبئه له الزمان ، وكان يُحسّن تجهيز نفسه بأفضل ما يُجّه امرؤٌ نفسه للآتي ، لما فعل خيراً ممّا فعلته له مقاديره ، يوم قادت خطواته إلى " الكوت " ، ليُمضي فيها تلك السنين . ذلك أنه أثناء هذه المدّة بنى علاقات طيبة مع زعماء عشائر المنطقة . كما غدا شخصيّة بارزةً محبوبّة تتمتع بولاءٍ جماهيريٍّ واسع ، لما يتحلّى به من قوّة حضور ، وحلاوة بيان ، وإخلاصٍ ومُتابعةٍ في العمل . فضلاً عن شبابه وهيبته وقامته المديدة وقوّة البدنيّة ومهاراته في الفروسية والرماية . وهذه مهاراتٌ اكتسبها من فترة شبابه الأوّل في وطنه . كان لها تأثيرها البالغ فيما بعد على أفراد العشائر العراقيّة . الذين تفتنهم مظاهر الرجولة . ويميلون بطبعهم ، نظراً لنمط حياتهم الحافل بالنزاعات المحليّة المتواترة ،

إلى تقديرها تقديراً عالياً . ربما يفوق تقديرهم لإنجازاته الحقيقيّة في ميادين عمله الأساسيّة . وحتى وقتٍ غير بعيدٍ ، كان الناس في جنوب " العراق " يتداولون حكاياتٍ وأقاصيص جمّة ، عن مهاراته الفائقة في هذا النطاق . يسوقونها وكأنهم يتحدثون عن بطلٍ من أبطال الحكايات الشعبيّة . التي لا تخلو منها الذاكرةُ الجماعيّة لأبي شعب . والمؤلف يعي في ذاكرته عدداً منها .

7 - في مدينة العمارة

و " العمارة " ، لمن ليس يعرفها ، مدينةٌ في جنوب " العراق " . هي من ريفها الواسع الخصب بمثابة الحاضرة . تعمّره ، أي الريف ، عشيرة البو محمد الكبيرة ، إلى جانب عشائر صغيرة نسيباً ، منها بنو لام وبنو كعب .

ولقد عانت المنطقة إجمالاً من اضطهادٍ مُزمن أيام الحكم العثماني الطويل . ومن ذلك أن الدولة أبتتُ مبدأً تمليك أراضيها الزراعيّة الشاسعة لمن يسكنها والعاملين عليها . مع أنهم أهلها منذ زمن بعيد جداً . بل اعتبرتها أملاكاً أميرية خالصةً . أي ملكاً شخصياً لرأس الدولة الحاكمة ، أي السلطان العثماني . ولهذا فإنها درجتُ على تلزيمها تلزيماً لشيوخ العشائر حصراً ، وليس للمزارعين العاملين عليها . مقابل بدلٍ ماليّ سنويّ . ابتغاءَ ضمان ولائهم . تحت طائلة نزع الالتزام منهم لأيّ سبب . وهي سياسةٌ مختلفةٌ عمّا درجتُ عليه في مناطق أخرى . حيث كانت تمنح أهل الأرضِ وعمّارها صكوك ملكيتها (طابو) . والمعروف أن ليس وراء هذه السياسة التمييزيّة الجائرة ، سوى أن أهلها جميعاً كانوا من الشيعة (27) . وكانت من الأسباب الرئيسيّة لتخلف المنطقة ، حتى بالقياس إلى المناطق العراقيّة الأخرى ، التي كانت كلها في وضع بائس . على الرغم من إمكاناتها الزراعيّة الكبيرة . يُضافُ إليه حرمانها من كافة المؤسسات التربويّة والصحيّة وما إليها .

ذلك الوضع البائس في جنوب " العراق " إجمالاً ، هو الذي عملتُ عليه واستغلّته المؤسساتُ التبشيريّة البروتستانتية ، ذات الإمكانات الماديّة والخبرات ، والمدعومة من قبل

(27) حسن العلوي : التأثيرات التركيّة في المشروع القومي العربي في العراق ، ط . قم ، منشورات

سُلطات الاحتلال. والتي كانت قبل عدّة عقود قد أسّست عدّة مراكز تبشيرية متواضعة في بعض أنحاءه . لم تلق نجاحاً يُذكر . والظاهر أنها لذلك وجّهت اهتمامها إلى تحويل النصارى العراقيين النس طوريين إلى البروتس تانية . ولكن الاحتلال الإنكليزي قل بَ الموقف إلى صالحها . والتقت مراميا م-ع مرامي المُستعمرين الجُدد . فركزت أعمالها على مدينة " العمارة " وريفها البائس . وأسست مستشفى ومطبعة ومكتبة . قدّمت خدمات سخية مُتوّعة غير مسبوقّة لأولئك المحرومين . وطفق مُبشّروها المُجهّزون خير تجهيز ، والذين يُحسنون اللغة العربيّة ، ينشطون بينهم ، ويعقدون الاجتماعات ، ويُنظّمون القناديس . في ظلّ سكوت شيوخ العشائرذوي السطوة ، ولكن أيضاً المغلوب على أمرهم . مع أن ما يجري كان في غير صالحهم . على الأقلّ لأنه ينتزع السُلطة منهم لصالح من يعمل ون على وضعٍ انقلابي ، يترك القادة القبليين وراءه .

سنة 1346هـ / 1927م غادر الشيخ " الكوت " ، ليستقرّ في " العمارة " . واضعاً نصبَ عينيه مهمّةً على حدّ الاستحالة . بالنظر إلى الوضع السياسي العام الذي وصفناه . وبالنظر إلى الإمكانيات اللوجستية الهائلة التي تملكها المؤسسة التبشيرية . فضلاً عن الخطوة المُتقدّمة التي أنجزتها بالفعل ، بحيث أن الشعارات والرموز المسيحية كانت قد غدت أموراً مألوفة منتشرةً على نطاق واسع بين الناس . هي دَحْرُ الهجمة التصيرية ، بعد أن بلغت حدّاً بالغ الخطر . يُهدّدُ بتداعياته بكارثةٍ على غي صعيد ، دينياً واجتماعياً وسياسياً . وخلال خمس سنين من العمل الدائب المُنظّم ، نجح فيما عمل عليه نجاحاً مُنقطع النظير . ولم يترك " العمارة " إلا بعد أن اطمأنّ إلى أن آخر المُبشّرين قد غادرها نهائياً ، وإلى أن مختلف مؤسساتهم قد توقفت عن العمل . وسنفضّل الكلام على هذا كته في موضعه المناسب ، فيما سيأتي إن شاء الله تعالى . وما قصرنا في هذه العجالة ، إلا ما يتعلّق بعنوان الفصل .

8- العودة النهائية إلى الوطن

سنة 1351هـ / 1932م غادر " العمارة " في خطوة شبه مفاجئة . الأمر الذي أثار عجب أهليها . فقد كان في موقع عزّ ، ومكانة عالية ، وتقدير عام . يحظى بولاء ومحبة وطاعة أوسع الجماهير ، جزاءً وفاقاً لإنقاذها من الهوة السحيقة التي كانت تتجّه إليها دون أن تُدرك . وقد أصبح من حقّه الآن أن يرتاح إلى الانتصار الكبير الذي حصل على يده . بعد

سنوات الكفاح الطويلة في أصعب الظروف . وطفق الناس يتساءلون عن السبب أو الأسباب الخفية التي دعته إلى اتخاذ قراره المفاجئ بالمغادرة . في ظلّ إشاعاتٍ تطير ، تقول سبباً أو غيره . سنقف عليها في محلّها المنتظر ، إن شاء الله .

مهما يكن ، فبعد أن قضى بضعة أيام في " النجف " ، ثم عرّج على مختلف مرقد الأئمة (عليهم السلام) زائراً مُودّعاً ، يممّ وجهه شطر مسقط رأسه ، ليستقرّ في " حنويه " في بيت الأسرة ، الذي غدا وما يزال ملك أخيه الأصغر إبراهيم رحمه الله ، المهاجر آنذاك في " سيراليون " غرباً " إفريقيا " .

في تلك الأثناء كانت تدور معركةٌ خفيةٌ ، ولكنها حميمةٌ أيضاً ، بين أهل " العمارة " وأهل " قانا " ، حاضرة المنطقة التي تقع في نطاقها قرية " حنويه " ، على من سيفوز برعاية الشيخ لشؤونه الدينية ولبس تقراره النهائي بينهم . وطفق كلُّ من الطرفين يُراسل السيد الإصفهاني بمطلبه ، بما يزعم أنه من حقّه . وكان أن حرّر أهل " العمارة " رسالةً جماعيةً ، وقعها ما يقرب من المائة من أعيانها وشيوخ عشائرها ، تطالبه بحرارة بالعودة إليهم . يجد القارئ صورةً ضوئيةً عنها فيها سيأتي . وبنتيحة التداول بين الأطراف الثلاثة ، قرّ الرأي على حلّ يُرضي الجميع . قضى بأن يوزّع وقته بين المنطقتين . فيكون في " العمارة " في فصل الشتاء ، وفي " قانا " في الصيف . وكتب السيد الإصفهاني بخط يده رسالةً بما انتهى إليه الرأي مُوجهةً إلى أهل " قانا " ، صورةً ضوئيةً عنها فيها سيأتي أيضاً . ولكن كان للمقادير رأيٌ آخر .

9 - في بعلبك

والرواية المحفوظة تقول أن السرب في استقراره نهائياً فيها يرجع إلى محض التوفيق . ذلك أن " الجمعية الخيرية الإس لامية العاملة " التي أسسها الزعيم ال شيوعي الرائد رشيد بيضون في " بيروت " ، وهي أوّل جمعية شيعية في العاصمة ، درجت ، وما تزال ، على إحياء مراسم عاشوراء باحتفال حاشد ، تُنظّمه في قاعة مدرستها الكبرى " الثانوية العاملة " . وطلبت من الشيخ أن يخطب في المُحتفلين . وكان من حُسن التوفيق أن يشهد الاحتفال بعضُ أهل " بعلبك " ، الذين تأثروا بكلماته . ثم نقلوا انطباعهم إلى أهل مدينتهم . وعلى الأثر زاره وفدٌ منهم طالبين منه أن ينتقل إليها ليكون مُرشدهم الديني . وهكذا كان .

فبعد أن زار المدينة زيارةً قصيرةً مُستطعمًا تحوّل إليها في أوائل السنة التالية . ليقضي فيها ما بقي له من العمر .

كانت " بعلبك " أصعب اختيار يمكن أن يقع علي شخصٍ مثله . انتهى على التوّ من معركةٍ شرسة . خرج منها مهيضاً مُتعباً . فقد كانت حاضرةً لمنطقةٍ واسعةٍ جداً ولكنها مُتخلّفةً بكلّ المعاني . فضلاً عن أنها خالية من المرشدين الدينيين . ممّا ألزمه ، وهو الذي لا يمكن أن يُعصّ الطرفَ عن واجبِ تبليغي ، بأن يوزّع عمله وحضوره على عشرات البلدات والقرى . بل وأضاف إليها فيما بعد الاهتمام بالشيعة الفقراء المعزولين النازلين في القرى المُطيفة بمدينة " حمص " . ثم بالشيعة العلويين النازلين في بعض قرى " حمص " و " حماة " ، فضلاً وأساساً في الجبل المنسوب إليهم " جبل العلويين " . وسنُفصّل الكلام على أعماله ونتائجها في هاتيك المناطق ، في الفصل المُخصّص لأعماله في مُختلف ميادين التبليغ .

في السنة 1372 هـ / 1952 م ، زار مرقد الأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم) في " العراق " و " إيران " . وفي " قم " المقدّسة استجازه السيّد شهاب الدين المرعشي رحمات الله عليه .

(صورة الإجازة في الصفحة التالية . وما سطر أعلاه هو بخط شيخنا الشيخ آغا بزرك رحمه الله)

ربيع 1378 هـ / 1958 م دعاه أحد أصفياؤه الباقيين على قيد الحياة في " العمارة " إلى قضاء شهر رمضان بينهم فلبّى الدعوة . وكان لي شرف مرافقته أثناءه ، حيث كُننتُ آنذاك طالباً في " النجف " . وقد شهدتُ وسمعتُ أثناءها ما لا يزال عالقاً في الذاكرة و راسخاً في الوجدان . ومنه ما اعتبره حتى اليوم من دروس حياتي . ومنه أيضاً مادّةٌ كثيرةٌ ممّا سأرويّه في محلّه الآتي على أعماله فيها .

أختمُ هذه السّيرة الحَدّثيّة برواية قصّة لقائه بأستاذي الجليل الشهيد السيّد محمد باقر الصدر رضوان الله تعالى عليه . لما فيها من مغزى عميق . يتصلُّ اتصالاً وثيقاً بما رميتُ إليه من كُتب هذه السّيرة . سيراه القارئ الحصيف دون أدنى صعوبة .

صيف 1384 هـ / 1964 م زار أستاذنا الشهيد الصدرُ زيارته اليتمية لـ " لبنان " . وتفضّل بتفّدي في منزلي في " بعلبك " إعلاماً بقدومه . تاركاً لي رسالةً مع من استقبله في المنزل ، لغيابي المؤقت عنه ، تقول أنه مُتوجّه إلى مُنتره " رأس العين " القريب . وسارعتُ إلى المكان لأجده جالساً وحيداً مُطرقاً بجانب الشلال الصغير الهابط من بحيرتها . وقد غمس يديه في مائه العذب البارد ، مأخوذاً بجمال المكان وهدوئه ، فيما بدا لي .

تر في شيخنا هجر المهاجر في لؤلؤ ١٣٨٤ ونقره الشريف في الحرم المقدس وكان يوم رده
 بسم الله الرحمن الرحيم بواسطة يواسه يوردا

والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآله الطيبين
 الطاهرين وبعد فقد استجازني السيد الامام العلامة
 السيد ابوالطالب شهاب الدين الحسيني المدعي شبي النجفي دام فضله
 في رواية ما روته عن سمايحي طاب تراهم بواسطة الامام الميرزا
 السيد حسن الصدر والشيخ شريعة الاصفهاني فأخذته ان يريد
 عني كل ما روته عنهم من الكتب الاربعة الشهديب والاشبهار
 والكافي ومن لا يحضره الفقيه وغيرها ما روته من ذلك كما اني
 اخذته ان يردني عني كتبي وتولفاتي جميعها وهي الحقائق وذكر الحجة
 ومختصر تاريخ الاسلام وشهجة الحق ومحمد الشفيع والاصراط المستقيم والقول
 الحق والانتصار والمطالب الهمة واليشير وسبيل المؤمنين وانا مؤمن
 والاسلام في معارفه وفنونه والمجاهرات العاريد والهدى
 وكان ذلك في مدينة قم في لحد يقي الى زيارته شهيد الامام الرضا سلام
 الله عليه وعلى آباءه في النزل الذي اعد لي من قبل السيد الامام آية الله السيد حسين
 البروجردي في يوم الاثنين الرابع من شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٧٤
 هجرية وقد تولى علي محسن ٦٨ سنة وذلك ان تولد في سنة (١٣٠٤) سنة جمالية
 في ان يخدم لي بخير وان يمد في حياة السيد وار جوان لا ينسا لي من دعواته واسد في الاجابة
 في رمضان / ١٣٧٤
 حسب آل ابراهيم
 للهنا جرانعالي

لكرتي سرعان ما تبين لي أن هناك سببٌ آخر لإطراقه إطراقه مُتأمل ، قال لي : " أنا قادمٌ على التوّ من زيارة جدّك ، وما أزال تحت تأثير ما رأيتُ وما سمعتُ . رأيتُ شيخاً على وجهه مزيجٌ من تعبٍ وطمأنينة . وكأنه قضى عمره يتسلّقُ جبلاً صعباً المرتقى . وها هو جالسٌ الآن على قمّة ذلك الجبل . ينتظر الجائزة من ربّه . وهو يعلم علم اليقين أنها ستكون له إذ يلقاه " . وتابع رحمات الله عليه يقول : " لقد كانت جلسّتي القصيرة إليه تجربةً لن أنساها ما حُييت " . قلت له : " ولكنك ربيب النجف ، وابن أسرة بل أسرتين أنجبت علماء كبار . ومَن لكان مثلك لا يجب أن يُفاجأ بشأنٍ من شؤون هؤلاء الكبار " . فأجاب : " لكنّ ما رأيته اليوم مُختلف " .

في مساء اليوم نفسه ، جلستُ إلى الجدّ رحمات الله عليه ، بعد صلاة ال مغرب في مسجده . فقال لي أن السيّد قد زاره . وختم كلامه قائلاً : " سيكون لهذا الرجل شأنٌ عظيم " . كان ه ذا اللقاء ، على قصره ، لحظةً من لحظات الدهر . التقى فيها علّمان فتعارفا فوراً . وقرأ كلُّ منهما الآخر في لحظات كأنما يقرأ في كتاب .

10 - وفاته

صباح 10 ربيع الأول 1384هـ / 12 شباط 1965م وافى الشيخ الأجلّ في " بعلبك " على أنثو نوبةٍ قلبيّةٍ . فشيعه أهلُ المنطقة بتشييعٍ حاشدٍ مُهيبٍ إلى مطار " بيروت " . (لقطتان من التشييع في مُلحقات الكتاب) ومنها نُقول جثمانه الطاهر بطائرةٍ خاصّةٍ إلى " النجف الأشرف " بوصيّةٍ منه . ودُفن في الغرفة السادسة علي يمين الداخل من الباب الجنوبي إلى الصحن الشريف المُحيط بمرقد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) .

الفصل الثاني

أعماله في حقل التبليغ والإرشاد

أولاً: دَحْرُه الحملة التبشيريّة على جنوب العراق

(تمهيد)

أ - تاريخ موجزٌ لحركات التنصير في العراق

ب - طبيعة التبشير

ج - جنوب العراق وردّ فعله على الحملة التبشيريّة

1 - من الكوت إلى العِمارة

2 - في العِمارة

ثانياً : في بعلبك

ثالثاً : في وسط وشمال سوريّة

رابعاً : في الساحل السوري وما والاّه

أ - البعثة الدراسية العلويّة إلى النجف

ب - جولته الكبرى في ربوع العلويين وما ترتّب عليها من

نتائج تاريخيّة

أولاً - دَحْره الحملة التبشيرية على جنوب العراق

(تمهيد)

أ - تاريخ موجز لحركات التنصير في العراق

تبع خروج ما يُسمّى بـ " الشرق الأوسط " من دائرة الحكم العثماني ، الذي ران عليه زُهاء الأربعة قرون ، أن دخلت المنطقة في طور الاستعمار الغربي المباشر . فبمقتضى القسمية الاستعمارية ، التي وُضعت لها الخرائطُ والمُعاهداتُ سرّاً ، يفما كان ما يُسمّى بـ (الحرب العالمية الأولى) ما تزال عالقة ، ونُفِدتُ فعلاً بعد انتهائها ، - وقع " العراق " في حصّة " بريطانيا " ، تحت اسم وشعار (الانتداب) المُنافق .

والاستعمار الغربي حينما يُلقى بثقله على بلدٍ ، فإنه يدخل فيه دخولاً عريضاً ، أي بكامل مؤسّساته السياسية والعس كرية والاقتصادية والثقافية . يتقاطع نشاطها ويتآزر على سياسةٍ واحدةٍ . غايتها زرعُ المستعمر عميقاً في البلد المُستعمر . بحيث يغدو من العسيرانجتائه وقلعه كاملاً من الجذور . وبحيث إذا اقتُلِع منه جانبٌ ، بقي منه جانبٌ أو أكثر ، لينبت ويستشري من جديد . ودائماً كان المُبشّر ، العامل على نشر دين المُستعمر ، عنصراً أساسياً في زرع وتثبيت الاستعمار .

والتبشير المسيحي في " العراق " بدأ أميركياً بروتستانياً . افتتحتهُ عدّة إرسالياتٍ تبشيريةٍ . اختارت العملَ بين المسيحيين الأثوريين والكلدانيين العراقيين في الشمال ، ابتغاءً تحويلهم إلى مذهبها . لعلمها بصعوبة العمل بين المسلمين ، لنفورهم الشديد منهم . بالإضافة إلى أغراض ومَرامٍ سنذكرها لاحقاً . ووفدَ إلى " بغداد " مبشّرون إنكليز تابعون للكنيسة الانكليكانية . وأسّسوا إرسالية عملت بين الأرمن واليهود . أنشأتُ مكتبةً ومطبعةً ومدرسةً للبرين وأخرى للبنات . وافتتحتُ عيادةً خارجيةً ، طوّرتها فيما بعد إلى مس تشفى صغير . ومدّت نشاطها إلى " الحلة " و " البصرة " و " الموصل " ، حيث عملت بين اليهود . ولكنهم أوقفوا كلّ نشاط لهم بعد نشوب ثورة العشرين . بسبب تنامي الش-عور الوطني المعادي لبريطانيا . لتحلّ محلّها " الإرسالية العربية " Arabian mission ، التي تأسّست في ولاية " نيوجرسي " الأميركية . وكانت قد أنشأتُ محطةً أولى لها في " البصرة " .

ومنها انطلقت إلى " العمارة " و " الناصرية " . كما شيّدوا في " البصرة " سنة 1911م " مستشفى لنسج التذكاري " وبعد سنتين كنيسةً . وبعد أن وضعت الحرب أوزارها نقلوا المستشفى إلى " العمارة " . ثم أنشأوا فيها مدرستين حملتا اسم " مدرسة الرجاء العالي للبنين " و " مدرسة الرجاء العالي للبنات " . كان مستوى الدراسة فيهما ا عالياً . ولذلك فقد جذبنا إليهما أبناء الميسورين . ومنها أخذوا طريقهم إلى المراكز المهمة . فضلاً عن كنيسة ومطبعة ومراكز لتوزيع الكُتب التبشيرية ، ومنطقةً معزولة لمعالجة المُصابين بمرض الجُذام . كان يعمل فيها جميعها عشرات المُرسلين ، كلُّ في المجال الذي هُيئ له ودُرّب عليه . وكلّ تلك المؤسسات المتقدّمة ممّا لم تألفه أو تنعمّ بمثله ، تجهيزاً وإعداداً ، مناطق الجنوب العراقي الفقير ، التي كانت في حالةٍ عميمةٍ من التخلف (1) .

ب - طبيعة التبشير

أبداً لم يكن التبشيرُ المسيحي المنظّم عمليةً بريئة . هو دائماً من طبيعةٍ عدوانيةٍ . أسوأ ما فيها أن عملها التخريبي لا يظهر إلا بعد أن تكون قد استحكمت واستشرت . إنها كمرض السرطان ، لا تظهر أعراضه إلا بعد أن يكون أو أن العلاج قد فات . ينبغي أن نفهم العمل التبشيري الجماعي المنظّم إجمالاً على مُستويين :

- الأول : مستوى المُبشّر . وهو ذلك الإنسان ، الآتي من الخارج ، مسكوناً بهاجس تغييريّ . عمله نقلٌ وتبديلٌ وُجدانٌ وضمير الإنسان الذي يعمل عليه إلى موقعٍ آخر . بالنسبة إليه ، نموذجياً ، هذا العمل هو عند صاحبه فعلٌ هدايةٍ إلى ما يعتقد أنه الحقّ . وهو يُسخرُ كلّ ما عنده من حماسةٍ وخبرةٍ لخدمة هذا الهدف المنشود .

(1) استغفدنا ه ذا التاريخ الموجز لحركة التنصير ، البروتستانتية خصوصاً ، في "العراق" ، من مقالة " البروتستانت والانجيليون في العراق " لحارث غنيمية ، المنشورة في مجلة (بين النهرين) العراقية العدد 68 ، وكتاب (الدرّة اليتيمة في تاريخ أسرة غنيمية) ليوسف غنيمية ، تحقيق وتكملة حارث غنيمية ، المطبوع على الحاسوب ، بغداد 1991م ، ومقالة (التبشير البروتستانتية في العراق) ، للدكتور عبد العزيز نوار ، المنشورة في مجلة (الثقافة) العراقية ، عن موقع www.Albayan-magazine.com Iraq file 93 htm ، وتاريخ العراق الحديث لعبد العزيز نوار ، ط. مصر 1388هـ/1968م .

- الثاني : مستوى من وراءه . وهو هنا ، وغالباً جداً ، المُستعمر . الذي يرمي إلى تسخير حماسة المُبشِّر وخبرته باتجاه حفز واستنفار كلِّ تفاعلٍ سلبيٍّ كامن لدى الجماعة التي يعمل عليها . مُستنفراً ، وأحياناً مؤسّساً ، الخصوصيّات العرقية أو اللغويّة أو الدينيّة أو المذهبيّة ، ابتغاءً تحويلها إلى شعورٍ حادٍ بتمييزها عمّن سواها من جماعاتٍ مُساكٍ ، بِنّة ، بَحْكم تلك الخصوصيّة الأصيلّة أو الطارئة . وفي طليعة العوامل السّليبيّة التي يستغلّها ، الخللُ التاريخي في التعامل مع صنوف التنوّع . حيث تعمل الجماعة المسيطرة على إدارة التنوّع القاي م وفق سياسةٍ تهميشٍ . واستضعافٍ ما عداها من جماعاتٍ أخرى .

هكذا يبدو لنا هذا النمط من العمل التبشيري ذا طبيعةٍ مُتناقضةٍ . ففي حين يعمل المُبشِّر كلِّ ما في وسعه ليُقَدِّم نفسه بوصفه حاملَ هدايةٍ ، وعاملاً في سبيل التقدّم ، ناشراً التعليم والعلاج وصنوف المعونات للمحتاجين ، - فإن النتيجة الفعلية لعمله ، في ظلّ التخطيط الاستعماري ، هي تفكيكُ المُجتمع ، وبدءُ مُسلسلٍ صراعاتٍ دمويّةٍ بين العناصر المُكوّنة له . تمضي الأيدي الأجنبية ، التي كانت منذ البداية وراء الإرساليّات ، في تسعيرها بمُختلف الوسائل . وما أنموذج " لبنان " و " السودان " عنّا ببعيد . حيث كانت أعمال الإرساليّات بادئةً لمُسلسلٍ صراعيٍّ دمويٍّ ، ما يزال مُستعراً يحصد الضحايا بالألوف حتى اليوم . إن اختيار الإرساليّات إجمالاً العمَل بين الأقلّيّات الدينيّة والعرقية ، في بداية نشاطها في " العراق " ، من يهود وكلدانيين وأشوريين وسريان وأرمن ، لم يكن فقط لأن فُرص نجاحهم بين المسلمين كانت شريه معدومة ، بسبب نفور هؤلاء الشديد منهم . بل أيضاً لأنهم بمثابة الخاصرة الضعيفة الرّخوة في المُجتمع العراقي . ولذلك فإن أولئك المُبشرين منحوا اهتماماً خاصاً لتدريس لغات الأقلّيّات الخاصّة ، مع أن هذا يتعارض مع هدفهم الأساسي المُعلن ، أي تحويلهم إلى مذهب المُبشّرين ، أي المذهب البروتستانتي . ومع أن أكثر هذه اللغات كانت شبه بائدة . لا نفع يُرجى لأبناء تلك الأقلّيّات من إحيائها . ومن هنا ندرك أن المقصود الحقيقي ليس إلا حفزَ واستنفارَ خصوصيّتهم العرقية والثقافيّة ، وإحياء تمييزها عن باقي مُكوّنات المُجتمع العراقي . على نحو يجعل من التمايز عامل تفكيكٍ بامتياز .

ج - جنوب العراق وردّ فعله على الحملة التبشيريّة

يومَ غادر الحُكمُ التركيُّ " العراقَ " تركه في حالةٍ فظيعةٍ من التخلّف الشامل . بلداً

فقيراً أُمِّيًّا . حتى قيل أنه لولا المركزين الدينيين العلميين ، " النجف " و " كربلاء " ، بالإضافة إلى بعض المراكز الثانوية ، " الكاظمية " و " سامراء " ، لُئسخت اللغة العربية الفصحى من " العراق " .

وبالقياس إلى مناطقه الأخرى ، فقد كانت حالة جنوبه هي الأسوأ ، أو على الأقل من الأسوأ . لا لسبب سوى هويته المذهبية . دائماً تعامل العثمانيون حينما حكموا بعداءٍ فحجٍ سافرٍ مع الشيعة ، ولم يَنَلْ هؤلاء منهم سوى صنوف الاضطهاد والتهميش . ومع ذلك ، ويا للغرابة ، فإن الشيعة هم ، من بين الجميع ، الوحيدون الذين وقفوا معهم وساندوهم وقاتلوا في صفوفهم في أيامهم الأخيرة في " العراق " .

وجنوب " العراق " ، بحاضرتيه " العمارة " و " الناصرية " ، منطقة زراعية خصبة . ولكن أراضيه الشاسعة اعتُبرت أملاكاً أميرية . فكانت تُلزَمُ تليماً من قِبَل الدولة لحفنةٍ من الزعماء العشائريين ، لقاءً بدلٍ ماليٍّ . لِئَظْمَها هؤلاء بدورهم إلى المزارعين ، لقاءً مُقاسمتهم على محاصيلها . بحيث لا يبقى لهؤلاء الفقراء المساكين إلا النزرُ القليل الذي لا يُسرمن ولا يُعني من جوع (2) . وهذا يُلخّص لنا مُجملَ علاقة الدولة بالسرکان . أي من دون أدنى اهتمام منها أو عناية بالحدِّ الأدنى من التقدّمات الحضارية . ومن ذلك أنه لم يكن فيه أي مرافق صحية ، ولا مؤسّسات تعليمية . فتوطّنت فيه أوبئة السّل والملاريا والتراخوما . وسادت الأمية ، فلا تجد فيه قارئاً ، إلا أن يكون من علماء الدين النادرين ، أو من طلبة العلوم الدينية أو أسراتهم ، الذين يشقّون طريقهم في الحوزات العلمية تحت أصعب الظروف ، لافتقارهم إلى السند الاجتماعي .

من هنا ، فإننا لا نرى عجباً في أننا لا نجدُ أي ردّ فعلٍ محليٍّ على ما سَنصِفُه من اكتساحٍ تبشيريٍّ سهلٍ للمنطقة . فكأننا أمام جسدٍ ميتٍ لا حياة فيه . ودائماً كان مقياس الحياة في الأشخاص والمجتمعات بمقدار ردّ فعلها على تسلّل الآخر والطارئ إلى داخلها . ذلك أن أي ردّ فعلٍ مُتوقَّع كان مرهوناً بإرادة الزعماء العشائريين الإقطاعيين ذوي السطوة والنفوذ المُطلق على الناس . ولكن إرادة هؤلاء كانت مرهونةً بدورها لسلطة الاحتلال الانكليزي . التي ورثت عن الحكم التركي تقليدَ تزييم الأراضي لهم تليماً . بحيث يبقون مُرتَهنين لإرادتها

(2) انظر : حنا بطاطو : العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام

الجمهورية ، ط. بيروت 1990م : 1 / 148 وما بعدها .

ويتجنّبون إغضابها ، تحت طائلة نزع الالتزام منهم ساعة تشاء .

1 - من الكوت إلى العمارة

أمّل أن أكون بهذه التمهيدات الثلاثة ، قد هيأتُ القارئ للدخول إلى المرحلة التالية من البحث . حيث سنرافق الشيخ في ميدان عمله الجديد .

والسؤال الأول الذي يطرح نفسه الآن هو : لماذا كان الشيخ ، من بين جميع العلماء الذين تعجّب به م " النجف " وغيرها ، ومنهم من هم من أبناء الجنوب الضحيّة ، أو من الكثيرين الذين يرجعون بأصولهم الأُسريّة إليه ، - الوحيد الذي حمل عبء المُهمّة الكبرى ، وأخذ على عاتقه وحده التصديّ للحملة التنصيريّة التي كانت تُسجّل النجاح تلوّ النجاح ؟ ما من نصّ مُباشر يقول أن المرجع الأكبر في " النجف " آنذاك ، السيّد أبو الحسن الإصفهاني ، هو الذي انتدبه دون غيره للمُهمّة . ولكننا نعرف أن أموراً كهذه لا يُقرّر بشأنها علناً ، خصوصاً في ظلّ الوضع السياسي الذي بات معروفاً عند القارئ . كما أننا نعرف أن السيّد الإصفهاني كان ، بالإضافة إلى مكانته العلميّة ، رجلاً إدارياً وحزماً من الدرجة الأولى . يُتابع أدنى شؤون منصبه الرفيع بنفسه . فكيف والأمرُ يتعلّق الآن بمصير منطقة شاسعة ، تضمّ أكبر كتلة سُكانيّة شيعيّة في " العراق " .

لذلك فإننا نُرجّح أنه هو الذي كان وراء انتقال الشيخ المُفاجئ من " الكوت " ، بعد أن استوطنها زهاء الخمس سنين ، مُيمّماً وجهه شطرَ مدينة " العمارة " غير البعيدة . وما من ريب في أن السيّد الإصفهاني ، وهو من عرفنا كفاءته الإداريّة ، قد أخذ بعين الاعتبار ، إذ انتدبه ، خبرةَ الشيخ بالمنطقة وعلاقاته الواسعة في ها . فضلاً عما يتمتّع به من صفاتٍ وكفاءات . أشرنا إلى بعضها فيما سبق . وسنقفُ عليها بما هو أوفى فيما يأتي إنشاءً الله .

2 - في العمارة

من الواضح أن الإرساليّات البروتستانتية ، حين اختارت " العمارة " لتكون المركز الرئيسي لمشروعها التنصيريّ ، قد انطلقت من معرفةٍ دقيقة بأحوال المنطقة إجمالاً . وأن الترفيدَ قد سبقته دراساتٌ وبحوثٌ على " العراق " وأحواله ، انتهت إلى اختيار جنوبه .

ومن المعلوم أن جنوب " العراق " منطقة ذات حساسية خاصة . فهو قلب الكثافة السكانية الشيعية في " العراق " . بالإضافة إلى أنه يُطل من جهة على وسطه ، ومن جهة أخرى على أكبر مركز للنشيع في العالم : أرض " إيران " وشعبها . بحيث أن أي شيء يحصل في المركز يمكن أن يتداعى بيسير جُهد في جميع الأطراف . كما أنها من منظور اجتماعي ، تُعاني من تخلف فظي-ع . وتشكو من شح عور عبق بالقر وهضم الحرق والإهمال . فضلاً عن حرمان شعبها من أي دور في الحياة السياسية . حيث الإقطاعيون الجشعون الذين ينهبون خيرات أرضه الخصبة وتعب الناس . يستولون أيضاً على إرادة الناس السياسية ، عبر التمثيل السياسي الهزيل ، الذي لجأت إليه السلطة الهاشمية الجديدة ، في ظل الحراب الإنكليزية . حيث تحول الإقطاعيون إلى ممثلين لأهلهم في المجلس النيابي و مجلس الأعيان .

ومن الغريب حقاً ، أن لا نجد في كل ما سجله رجالنا " النجف " في ذلك الأوان ، أدنى إشارة إلى أن أمراً غير عادي كان عالقاً آنذاك في الجنوب . على الرغم من الخطورة البالغة لنشاط المبشرين . وعلى الرغم من أنهم ، أي رجالنا " النجف " ، كانوا على علم به دون أدنى ريب .

لا نستثنى من هذه الملاحظة ، إلا ما أورده أستاذنا الشيخ محمد رضا المظفر رحمت الله تعالى عليه في مذكراته ، التي نشرها الباحث العراقي كامل سلمان الجبوري في مجلته (آفاق نجفية) . وهي مؤرخة بـ 29 شوال 1345 هـ .

قال :

" اجتمعنا اليوم في دار الشيخ عبد الله السبيتي ، ومعا سيد آغا نجفي ، الذي دخل في جمعيتنا جديداً . وكان اجتماعنا لأجل ما أحدثه المبشرون في بلاد العمارة . حيث بلغنا أنه قد دخل النصرانية ما ينيف على الثمانين "

" وبالأخير انجر كلامنا على أن ندرس العلوم التي يمكننا بها أن نكون من المبشرين بالإسلام . وقد صدر القرار في ثلاثة أمور : "

" أ - تشكيل جمعية لأجل تعليم الخطابة . فيلقي في كل يوم خميس وجمعة من كل أسبوع (واحد منا للخميس .

وواحد للجمعة) خطبةً مما تجود به قريحته . "
 ب - " تدریس [یعنی : درس] الردّ علی النصارى
 عند الشیخ محمد جواد البلاغی ادام الله ظلّه . "
 ج : تدریس [أيضاً یعنی : درس] منظومة
 السبزواری . " (3)

وما ندري إلى مَ انتهت خطة المُجتمعين . ولكننا ما نشك في أنها لم تؤدِّ إلى أي نتيجةٍ
 عمليةٍ . لاحظ أنها لم تُصوّب نحو الهدف الحقيقي ، وما هو إلا ضحايا العمل التبشيري . بل
 وكأنها كانت تعمل على إفحام المُبشّرين في ميدان الجدل . ولي لبُعد هذا التصويب عن الهدف
 الحقيقي . ولئن الشیخ المُظفّر تابع العمل في هذا السبيل . فنشر في ما بعد في مجلة
 (الهدى) ، التي سبّقتها الشیخ حبي ب في " العِمارَة " ، فكتب سلسلة من المقالات تحت
 عنوان " كيف يتدرّج الغربيون في هدم المدينة والدين " .
 مهما يكن ، فإنه في وقتٍ ما من السنة 1346 هـ / 1927 م دخل الشیخ حاضرة
 الجنوب . عاقداً العزم فيما يبدو على أن يُنازل وحده تلك الحملة في عقر دارها ، بما فيها من
 عشرات المُبشّرين الخبراء في فنون الدعاية الدينية ، والمُجهّزين بكل ما يلزمهم من مالٍ
 ورجالٍ وأدوات . المُعتضدين بالأطباء والمرّضين والمدرّسين وفنّي النشر والطباعة . وغني
 عن البيان أن هذه البادرة منه بنفسها تدلّ على شجاعةٍ وثقةٍ عاليةٍ بالنفس . خصوصاً وأنه كان
 يعرف جيّداً أنها كانت مدعومةً من سلطة الاحتلال ، ومن ظلّها السلطة الوطنية .
 في كتابه (منهج الح ق) ، وهو أوّل ما كتبه ونشره بعد نزوله " العِمارَة " ، يُبيّن
 الشیخ دخيلةً نفسه حين اتخذ طريقه إليها .
 قال :

" لقد دأب رط البروتس تانيةً بالتحامل على
 المسلمين ، وابتغاء الوقعة فيهم . هذه كتبهم ومجاميعهم
 المتضمنة أنواعاً من الافتراء على المسلمين بما لم يقولوا به .
 وتجاسيره م على قدس القرآن الشريف المُنزّل على محمد

صلى الله عليه وآله ، الخارج عن حدود الآداب ، لاتكاد تخفى
على أحد . ومن راجع الرحلة الحجازية وغي رها من
مؤلفاتهم ، يجدُ صدقَ ما قلناه " .

" لذلك اضطررنا إلى إظهار الحق وتبيان ما هو
الصدق . لنلا نتخذع بكلماتهم ضعفاء البشر . فإنه لم
يقتصروا في ترويجها على التصنيف والتأليف فحسب . فهام
تراهم قد أسسوا في بلدان المسلمين المكاتب ، وبنوا فيها
المستشفيات . وقاموا فيها على منابر الخطابة لدعم أركان
دعائهم ، وترويج مناشير فكرياتهم " (4) .

النصُ غنيٌّ بالمعاني . وأرجو أن يُلاحظَ القارئُ معي ، أن صاحبه يتكلم عن نفسه .
عن فهمه هو لطبيعة العمل التبشيري ، استناداً إلى سلوك المُبشِّرِين أنفسهم . وكأنه كتبه
جواباً على سؤالٍ مُفترَضٍ يقول : لماذا أتيت ؟ او لماذا أنت مُهتَمٌ إلى هذه الدرجة بمُناجزة
هؤلاء ؟ وكأنَّ السائل يستهجنُ ذلك منه ، ما داموا يُقدِّمون خدمات التعليم والعلاج مجاناً لمن
هم في أمسِّ الحاجة إليها . وهذا ، إن صحَّ ، يدلُّ على دهاء ونفاذِ الخطة التي سار عليها
أولئك المُبشِّرون في عملهم . بحيث اكتسبت قبولاً و عطفاً عاماً .
من هنا رأيناها فيما اقتبسناه يُوجِّه عن ايته إلى بيان وجوه الأذى التي ارتكبوها بحق
المسلمين . ابتغاء تصحيح فكرة السائل المُفترَض عنهم . وأن ما أتوا به من وجوه الإحسان
والمعونات ، ليس إلا من قبيل وضعِ قطعة الجبن في المصيدة . مُجرِّدٌ وسيلة إغراء .
المقصود منها ليس تغذية الضحية . وإنما إغراؤها لتقترب منها ، فتقع في الفخ المنسوب .
فيذكرها في أعمالهم من وقاحة ، حيث تحاملوا على المسلمين بقصد الوقعة فيهم . وما فيها من
افتراء ، وعدم مُراعاة لمشاعر من استضافوهم بينهم ، بالكلام " الخارج عن حدود الآداب " .
ينالون به من نبيهم (صلوات الله عليه وآله) . وإنني أذكر أنني في إحدى زياراتي لـ " العمارة " ،
أطلعني أحدُ الأصدقاء هناك على مجموعةٍ من الكُتب التي نشرها المُبشِّرون ، كان ما يزال

(4) النص مُقتبسٌ عن نسخة الأصل من الكتاب بخط المؤلف / 2و1 . لخلو مكتبتنا من النسخة التي

طبعت في العمارة ، المطبعة العمارية 1346 هـ / 1928 م .

يحتفظ بها . وبينها كتاب (الرحلة الحجازية) . وفيه من صنوف النُّيل من النبي ، ما يدلّ على مدى استهانتهم بالناس الذين حلّوا بين ظهرانيهم . بل ويدلّ أيضاً على اغترارهم واستكبارهم إلى حدّ استفزازهم لهم ، بدلاً عن العمل على استمالتهم بكل وسيلة . كما تقضي الحكمةُ وواقعُ الحال .

ويختم الشيخ الفقرتين اللتين اقتبسناهما أعلاه بقوله :

" أفنلأُ إن أظهرنا لهم [أي للمسلمين] الحقيقة .
 أو نُعدّلُ إن أرجعناهم إلى منهج الصّدق . أليس الواجبُ
 على المرء الرافةُ بأبناء جلدته ؟ أليس اللازمُ عليه استنقاذُ
 من يراه مخنوقاً بغمار خطيئته ؟ "
 " ليس الغرضُ من كتاباتنا إلا الدلالةُ على الهدى ،
 والإشارةُ إلى الطرق العُدل . لذلك لا نقولُ إلا ببرهان ، ولا
 نحكمُ إلا بعلم " (5) .

وفي قوله : " أفنلأُ أو نُعدّلُ . . . الخ . " ما يؤكّد ما ذهبنا إليه أعلاه .
 حيث قلنا أنه كان مُطالباً من بعض الناس ببيان سببِ قدومه ، أو علّة مُناجزته للمبشّرين .
 ممّا يدلّ على أن هؤلاء كانوا حين قدومه " العِمارة " قد غدوا مقبولين من عامّة الناس . ممّا
 اضطرّه إلى افتتاح نشاطه فيها بهذا الكلام الذي لا تخفى فيه لهجةُ الاعتذار والتبرير .
 هذا يبيّن دقّةَ موقفِ الشيخ في أيامه الأولى في " العِمارة " . لقد كان عليه أن
 يخوض معركةً هو الطرفُ الأضعفُ فيها بما لا يُقاس ، نظراً إلى عددي وعُدّة خصومه ،
 ودونما سندٍ اجتماعي . بل يمكن القول أن السندَ الاجتماعيّ كان في جانب الطرف الآخر .
 هذا إن لم نذكر السندَ السياسيّ ، المُتمثّل في سُلطة الاحتلال ، وظلّها أي السُلطة الوطنيّة .
 الذي كان ، ولا ريب ، في خدمة خصومه أيضاً . هوذا وضعُ ثلاثيِّ مُعقّد ، قمينٌ بأن يفُتّ من
 عزيمة أقوى الرجال نفساً .

بدأ بأن " استولى " على منبوا أحد مساجد المدينة . يقول في (منهج الحق) :

" واستوليتُ على منبر الخطابة في أحدِ جوامعها " (6) . ونحن نفهم من ذلك أنّ حتى حصوله على هذا الموقع الطبيعي لعالمِ الدين ، الذي لا يمكن أن يُنافسه عليه خصومه ، اقتضى أن يستولي عليه استيلاءً . ومعلومٌ أنّ الاستيلاء يعني التسلّط على الشئ بالقهر والغلبة ، بعد معركةٍ أو تجاذبٍ . وكلام الشيخ لا يقول لنا مَنْ كان خصمه في ذلك . وإن يكن صريحاً في أن الاستيلاء لم يكن طبيعياً سهلاً ، كما تقضي طبيعة الأمور .

من على منبر هذا الجامع الذي استولى عليه استيلاءً ، والذي سيُصبح بعد قليل أشبه بغرفة عمليات يُديرُ منها الشيخُ معركته ، شرعَ يخطبُ في رواده ، مُبيناً الخطرَ الكامن وراء المغريات التي تُقدّمها مؤسّسات المُبشّرين للناس " مسعماً على ذلك أشهراً عديداً " (6) . وشيناً فشيئاً بدأ رواد الجامع الذي يتوسّط المدينة ، وما يزال حتى اليوم يُعرف بالنسبة إليه ، يتكاثرون . ليستمعوا إلى نُدُر هذا القادم الغريب عن بلادهم بالشرّ المُستطير الذي ينتظرهم على يد أولئك الطارئين . ثم بدأت خُطبه تتحوّل إلى الاهتمام بنقد الأفكار التي دأب المُبشّرون على نشرها عن المسيحية ، مُبيناً مأخذه عليها . وكانت كلّ خطبةٍ منها تُطبع في كراس ، تحت اسم (المُحاضرات العِماريّة) ، ليجري توزيعها فوراً على الكافّة (7) .

كانت الخطوة التالية ، بعد أن لمس إقبالَ الناس عليه ، وصار له جُهورٌ واسع ، أن أصدرَ فتوى بحُرمة التعامل مع مؤسّسات المُبشّرين . كان معنى ذلك أنه انتقل من مرحلة الإعداد والدفاع إلى مرحلة الهجوم المُباشر (8) .

لسنا ندري ماذا كان وقع هذه الفتوى ، وماذا كان تأثيرها العملي ، وكيف استجاب الناس لها . وذلك لغياب المُراقبة الذكيّة المُتنبّعة لهذه الأمور وأمثالها ، في الوضع المُتخالف الذي كانت عليه المدينةُ بل والمنطقةُ إجمالاً آنذاك . وقد أصبح القارئ على خُبر به . ولكننا ما نشكّ في أن جمهوراً ضيقاً ، من الذين غدوا مُحيطين بالشيخ ، قد استجابوا لها الاستجابة

(6) أيضاً / 2 .

(7) صدر الكراس الأول منها في شهر ذي القعدة 1346هـ / أيار 1928م . وذلك استناداً إلى التاريخ المسطور على غلافه . ونعرف من ذلك أن الشيخ اجتاز تلك الخطوات المُتعاينة في أشهرٍ معدودات .

(8) استندتُ فيما أوردته في الفقرتين الأخيرتين من معلومات إلى رواياتٍ شفوية سمعتها ممّن شهدها أو سمعها من أبناء مدينة "العمارة" .

الصحيّة ، فامتنعوا عن التعامل مع تلك المؤسسات . ولكننا ما نشكّ أيضاً في أنّ الجمهور الأوسع لم يعلّق عليها كبيراً أهميّة ، أو أنها لم تصل إلى سمعه إطلاقاً . خصوصاً وأنّ تقدّمات تلك المؤسسات ممّا يصعب مقاومة تأثيره .

يصف لنا الشيخ أسلوب عمل المؤسسات التبشيريّة على النحو التالي :

قال :

" قامت الدعاية البروتستانتية على ثلاثة أركان : إغراء الفقراء بالأموال . ونشر فكريّاتهم في الردود على الدين الإسلامي ، بتوسّط مكتبتهم المؤسّسة في العمارة منذ سنين عديدة . وترويج الديانة المسيحيّة على منبر الخطابة ، بواسطة المستشفى الذي بُني بها حديثاً " (9) .

أمّا " إغراء الفقراء بالأموال " فهو أمرٌ معروفٌ من خطّة هؤلاء . أشار إليه حارث غنيمه في مقاله " البروتستانت والإنجيليون في العراق " ، التي سبقت الإشارة إليها وإلى مصدرنا إليها فيما فات . ولكننا نعرف أن من ضروب إغراءاتهم أيضاً كان تنظيم المآدب السخيّة ، خصوصاً في الأرياف الفقيرة . يتلوها دائماً قدّاسٌ مهيب . بما فيه من ألبسة كهونتيّة ثمينة لم تاعة ، وأضواء ساطعة ، ومكبرات صوتٍ تبتّ الموسيقى المصاحبة للصلوات (10) . ممّا لم يشهده أولئك الفقراء المساكين من قبل . ويكون عامل جذبٍ لجموعهم ، يتركهم أزاءها مبهوتين خاضعين لتأثيرها . ومن ذلك ما حدّثني به أحد الأفاضل من أبناء "العمارة" ، أنه بع د إحدى هاتيك المآدب وقفَ كاهنٌ وبجده مصحفٌ رفعه بيده ليراه الحاضرون . ثم انهال عليه تمزيقاً ، دون أن يلقي اعتراضاً من أحد . وممّا يحسن بنا ذكره أن الشيخ أنّب أهلَ " العمارة " فيما بعدُ على ما ارتكبه من صمتٍ مُشين في ذلك الموقف . في قصّةٍ يجدر بنا أن نرويها ، لعلاقتها بما نحن فيه . ذلك أن العالم الشجاع السيّد محسن الأمين ، رحمات الله تعالى عليه ، دعا إلى ترشيد

(9) منهج الحق / 2 .

(10) هذا الوصف المفصّل سمعته من أحد أبناء العمارة ، وكان قد شهدته بنفسه .

شعائراً إحياء الذكرى الحسينية ، وتحريرها من صنوف الاختلاق والتهويل ، ومما لا يليق بالذكرى الجليلة وأصحابها . مما كان سبباً في انفجار خلافٍ واسعٍ . وصلت أصدائه إلى "العراق" . وانقسم الناس هناك بين قلةٍ مؤيدةٍ وأكثريةٍ معارضةٍ . وكان عامةً خطباء المنبر الحسيني من الفريق الثاني .

وكان أن استدعى أحدُ وجهاء "العمارة" خطيباً شهيراً لإحياء ليالي شهر رمضان . فقال من السيد الأمين في كلامه بما لا يحلّ . ومن ذلك أنه نعته بمحسن الأموي . وأنشد :

فيا راكباً إمّا مررتَ بجلقٍ فاتفل بوجه أمينها المُتزنديقِ
ووصل الخبر إلى مسامع الشيخ . فما كان منه إلا أن التفت إلى المؤتمين به بعد أداء صلاة الظهر . وخاطبهم قائلاً : " يا أهل العمارة ، في بلدكم مُزق القرآن وسكتتم . وفي بلدكم شتم السيد محسن الأمين وسكتتم " ، ولم يزد .

في مساء اليوم نفسه حضر الخطيبُ إلى المجلس . وكان يُعقدُ في ساحةٍ عمّامةٍ ، ويحضره الجَمّ الغفير ، فوجدها خاليةً خاويةً لا أحدَ فيها . وعندما سأل عن السبب ، قيل له ، إن الشيخ حبيب قال كيت وكيت . فقاطع الناسُ مجلسك .
وأما " نشرُ فكريّاتهم في الردود على الدين الإسلامي " ، فقد كان في مُقدّمة اهتمامات أولئك ، وأولوه القسطَ الأكبرَ من العناية . وذلك أمرٌ يستدعي العجب ، ويُخالف مُقتضى الحكمة . وكان الأولى بهم ، لو كانوا يعقلون ، أن يدعوا إلى دينهم ، دون الانتقاص من الدين الذي عليه الناس ، تجنباً لاستفزازهم . ممّا قد يؤدّي إلى ما لا تُحمدُ عُقباه بالنسبة إليهم . ولكن يبدو أن أولئك الأميركيين كانوا على جانبٍ من الاغترار بما تحت أيديهم ، والاستهانة بمشاعر الناس ، بحيث نسوا هذه الأمور ، التي هي من أوليات العمل في الظرف الدقيق الذي يعملون فيه (11) .

والشيخ لا يذكر في هذا الباب إلا " مكتبتهم المؤسسة في العمارة منذ سنين عديدة " . ونحن نعرف من مقالة غنيمة ، التي أشرنا إليها أكثر من مرّة ، أن اتخاذ المُبشرين الأميركيين

(11) وقد لأمّ السفيرُ البريطاني المُبشرين البروتستانت على تحدّ بهم الشّرس لمشاعر المسلمين ، لأنهم " ينشرون بسلوكهم الطائش ، الذي يتسم بالتحدي الشغب بين الشعب ، ويُعيقون انتشار المسيحية أكثر ممّا يسهلونه " (ألكسندر آدموف : ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ترجمة هاشم التكريتي ، ط . البصرة 1402هـ / 1982م / 228) .

من "العمارة" قاعدةً أساسيةً لهم ، قد حصل بعد أن وضعت الحرب الأولى أوزارها . أي في حوالى السنة 1920-21 ميلادية . قبل دخول الشيخ المدينة بست أو سبع سنين . ولكننا نعرف أيضاً أنهم ملكوا أيضاً مطبعةً ، أو كل إليها طبع مختلف منشوراتهم . في حين أو كل إلى المكتبة أمر توزيعها . ولقد ذكرنا فيما فات كتابهم (الرحلة الحجازية) ، الذي نالوا فيه من النبي (صلوات الله عليه وآله) بما يخرج عن حدود الآداب . ونذكر الآن كتابهم الآخر (من يشفع فينا ؟) ، الذي عالج فكرة الش فاعة يوم الحساب . ليخلص إلى القول أن محمداً (صلوات الله عليه وآله) لا يصلح للشفاعة ، لأنه هو نفسه بحاجة إلى من يشفع فيه ، ولأنه بشرٌ يخطئ . ويذكرون جملة أعمال يقولون أنها من أخطائه . في حين أن المسيح ربٌ ، لا يمكن وقوعه في الخطأ والخطيئة . وقد ردّ عليه الشيخ بكتابه الشهير (محمد الشفيع) .

أعتقد أن كتاب (محمد الشفيع) من الكتب ذات التأثير التاريخي . عالج فيه مصنفه فكرة الشفاعة من منظور إسلامي . عرض أثناءها لصورة السيد المسيح (عليه السلام) كما يعكسها الإنجيل الراجح . مُستشهداً بنصوصه على أن صورته هناك لا تس مح للمؤمنين بصحتها بالقول أنه هو الشفيع بالمدننين حصراً . في حين أن ما ساقه مصنف (من يشفع فينا ؟) في حق النبي (صلوات الله عليه وآله) هي أوهاً وتخرصات وإسقاطات من منظور ثقافي غربي . وبذلك يكون الشيخ قد كال أولئك المبشرين بمكيالهم وزاد (12) .

انتشر كتاب (محمد الشفيع) انتشاراً هائلاً . وطبع طبعات كثيرة جداً . وكان يتلى في محافل حاشدة . يترأسها شبان أعدهم الشيخ خصيصاً بنفسه الإعداد المناسب ، ليتولوا عرضاً وشرحاً ومناقشة أفكار الكتاب . أعرّف منهم المرحوم السيد عبد المطلب الهاشمي . الذي سيوكل إليه الشيخ فيما بعد أمر إ دارة مجلة (الهدى) . وذلك أمرٌ جديدٌ على المناخ الثقافي الخامد الذي كان قائماً في المدينة . ومن هنا فقد أقبل عليه الناس ذلك الإقبال . وطفقوا يتنافسون في استيعاب ومناقشة أفكار الكتاب . ممّا فتح الباب واسعاً أمام مناقشة سبب تصنيفه ، أي أصل وجود المبشرين ، الذين تسلّوا تحت ستار الإحسان وعمل الخير ، ليصلوا إلى الطعن في مقدّسات وعقائد الناس . ولقد حدّثني المرحوم السيد عباس شبر في شهر رمضان سنة 1378 هـ / 1958 م ، وه هو عالمٌ وأديبٌ وشاعرٌ مُبدع ، وكان آنذاك قاضي "العمارة" ، - أنه أدرك كثيراً من الرجال الذين كانوا يـالون يتذكرون مضامين

من الكتاب تذكّارهم لإبداعِ نفيس . وأقولُ ، إنني مَدِينٌ له بالصورة التي رسمتها للقارئ أعلاه عن التأثير التاريخي للكتاب .

تلك المظاهرة الجماعية ، التي كان مركزها وقلبها كتابٌ يُدافع عن مقدّسات الإسلام في مُقابلِ طعونِ المُبشّرين ، كانت أولى الإماراتِ على النصر السّاحق الذي سيتحقّقُ للشيخِ عن قريبٍ عليهم . لقد ولّت الآن تلك الأيام المشؤومة ، التي كان أولئك الغُزاة الوقحون يسرحون ويمرحون فيها كيف يشاؤون ، دون حسيبٍ أو رقيب . وكأنهم يتلاعبون بجسدٍ ميّتٍ لا حياة فيه ، ولا يملك أن يُدافع عن نفسه . وانفتحت الأعيُن واسعةً على أعمالهم . لقد غدوا الآن تحت رقابةٍ صارمة .

وأما " ترويحُ الديانة المسيحية على منبر الخطابة ، بواسطة المستشفى الذي بُني بها حديثاً " فهو يعني أنه استخدموا حاجة أولئك الفقراء للعلاج اس تخدماً في الغاية من الخسة والدناءة ، حيث يُجبرون المرضى على سماع خُطبهم التبشيرية ، دون أدنى مُراعاة لآلامهم أو لوضعهم الصحيّ . ونُضيفُ إلى هذه المعلومة ما يذكره القنصل الروسي في " البصرة " في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، حيث يقول :

" كانت المُساعدة الطبيّة للسكان المسلمين ، أولى الوسائل التي كان المُبشّرون ا لأميركان يُحاولون الاتصال بواسطتها بالسكان . حيث يقوم الطبيبُ في المستوصف بتلقيق المرضى حقائق تعاليم المسيح قبل أن يُباشِرَ رَفي فحصهم" (13) .

وهذا نصٌّ غنيٌّ بنفسه عن كلّ تعليق .

في هذه الأثناء كان الشيخُ معنياً بتأسيس " المكتبة المُحمّدية " وتزويدها بالكتبِ المُناسبة للغرض من تأسيسها . وخصّصَ كلّ ليلةٍ جمعةً لعرّض ما يطبعه تحت اسم (المحاضرات العِماريّة) من على منبرها . كي يستفيد منها من لم يحضرها في المسجد . وقد عرفنا ممّا فات أنها تدوينٌ للدروس التي يُلقونها من على منبر المسجد الذي كان قد " استولى " عليه . كما أنشأ عيادةً مجانيّةً ، في مُقابلِ المستشفى الكبير للمبشّرين . أوكل أمرها لطبيبٍ شابٍ لبنانيّ مسيحيّ اسمه " أسادور " . وهو اسمٌ يدلّ على أن صاحبه من أصلٍ أجنبيّ ، إيطاليّ

على الأرجح . ولطالما سمعتُ وسمع غيري الشيخُ يُثني على ه ذا الطبيب ، مُشيداً بكياسته ونُبله وإخلاصه وبراعته . وقد ذكره بعد عدّة سنوات بما هو جميل في كتابه (الإسلام في معارفه وفنونه) (14) . ممّا يدلّ على أنه بعد زهاء رُبع قرن كان ما يزال يحمل عنه كلّ ذكرى طيّبة .

في السنوات الثلاث الأخيرة من حياته في " العِمارة " أصدر مجلّة (الهدى) ، التي أوكل أمر إدارتها إلى أحد أبرز معاونيه ، المرحوم السيّد عبد المطلب الهاشمي (1322-1387 هـ / 1904-1967 م) . وهو شابٌ ناب، مُتملئٌ حماساً وغيّةً . صحبَ الشيخَ وعاضده منذ أول يومٍ دخل فيه " العِمارة " حتى آخر يوم . وقد ثابر على إصدار المجلّة مدّة ثلاث سنوات . كانت (الهدى) أثناءها بمثابة مرصّدٍ ، يُراقبُ ويتتبّع أعمال المباشرين وخبائهم ، كاشفاً للملأ حقيقة مقاصدهم ، راداً على افتراءاتهم . فهي ، من هذه الوجّهة ، ذات دور تاريخي أيضاً ، يُكمل عمل (محمّد الشفيع) .

كانت آخر أعماله في سياق خطّته الشاملة ، الاهتمامُ بالشأن التربوي . وقد عرفنا ممّا فات أن الإرساليّات التبشيريّة قد أولتُ هذا المرفق عنايةً خاصّةً ، وأصابتُ فيه نجاحاً فائقاً . أولاً لأنه موضع حاجةٍ ماسّةٍ جدّاً ، بسبب خلوّ المنطقة كلها من أي شكلٍ من أشكال المؤسّسات التربويّة . وثانياً لما لدى المُبشّرين من خبرةٍ قديمةٍ في هذا الباب ، بالإضافة إلى إمكانيّات الكبيرة التي كانت تحت أيديهم . ويبدو أنه في سبيل الإعداد النظري له ذه الخطوة الهامّة وضع كتابه المفقود (نهجُ التدريس الابتدائي) الذي طُبِع في " العِمارة " سنة 1348 هـ / 1928 م (15) . الذي يدلّ تاريخ طبعه على أن تفكيره بهذا المرفق الهام يرجع إلى السنة الثانية من حياته فيها . والظاهر أنه حرّر في هذا الكتاب أفكاره ذات العلاقة بنهجِ تربوي إسلاميٍّ . ولكننا لم نقع على نسخةٍ منه لنستفيد منها في بيان أفكاره في هذا النطاق . ممّا يُفهم منه أن هذا الكتاب لم يُصَبِ حظاً من الانتشار ، شأنُ كُتبه الأخرى ، بسبب موضوعه التقني الضيق ، الذي لا يُهَمّ إلا ذوي الاختصاص فقط . ونحن نعرف أنه بعد سنتين تقريباً أنشأ مدرسةً ابتدائيّةً سماها " مدرسة الهدى " ، ظلّت عاملةً من بعدُ لمدّةٍ طويلةٍ غير

(14) الإسلام في معارفه وفنون ، ط. مطبعة آل إبراهيم في بعلبك 1374 هـ / 1955 م / 38 .

(15) كوركيس عوّاد : معجم المؤلفين العراقيين ، ط. بغداد 1969 م : 1 / 304 . ومحمد هادي الأميني

: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ، ط. النجف 1413 هـ / 1992 م / 878 .

معلومة (16) . وظلّ الاسمَ حيّاً في نفسه . وسنعرّف أنه سيؤسّس في " بعلبك " وقضائها عدداً من المدارس ، حملتُ الاسمَ نفسه . ولا يزالُ بعضها عاملاً حتى اليوم .

هكذا ، فخلال زمنٍ لا يتعدّى السنتين ونيف ، نجح رجلٌ وحيٌّ ، دخل منطقةً شاسعةً ، عازماً على مُناجزة خصمٍ قوي ، دون أن يملك من السلاح إلا مقدرته الخطابية الفائقة وقلمه السيال . ومن ورائهما غضبٌ عارمٌ من أن يرى منطقةً مُسلمةً تُستألب ، خضوعاً لمُخطِّطٍ تحريفي شامل ، يرمي ويعملُ على أن يخدعها عن دينها ، - نجح في أن يبني من حوله جهازَ عملٍ مُتكاملٍ ، في وجهِ المؤسسة التبشيرية المُجهّزة خيرَ تجهيز ، والمدعومة من سُلطةٍ سياسيّةٍ - عسكريّةٍ قادرةٍ بكلّ المعاني . وذلك بالمُثابرة والعمل الدائب المُتواصل . ابتداءً من كرسيٍّ في أحد مساجدها ، وانتهاءً بمؤسّساتٍ مُتكاملةٍ ، مهما تكُن بسيطة ، ولكنها فعّالة ، على الرّغم من فقرها وبساطة تجهزاتها . وذلك درسٌ حقيقٌ بأن يُقرأ ويُستعاد .

ذلك الرجل الذي بدأ بأن استولى استيلاءً على كرسيٍّ في أحد المساجد ، انتهى بأن غدا صاحبَ الكلمة المسموعة ، التي يمتثل لها الكافّة دون تردّد . وفيما رويناه قبلُ من مُقاطعة الجميع لمجلس ذلك الخطيب الذي نال من السيد الأمين ، امتثالاً لتتديد الشيخ بما ارتكب ، دليلٌ ساطعٌ على ذلك . ونُضيفُ الآن قصّةً خلاصتها ، أنه عندما زار الملك فيصل الأول " العِمارة " زيارته الأولى ، قال كلمةً كان أهلها يُردّدونها حتى وقتٍ قري بٍ على الأقل ، قال : " أنا ملكُ العراق ما عدا جنوبه . فالشيخ حبيب هو ملكُ الجنوب " . والقارئ الحصيف الذي رافقنا فيما فات ، يعرف جيّداً أن الملك كان يعرف الشيخَ معرفةً وثيقةً منذ أن كان أميراً على " حكومة الشرق العربي " في " دمشق " .

ولقد شهدتُ بنفسِي ، أثناء تشرّفي بمرافقته في " العِمارة " طيلة شهر رمضان 1378هـ / 1958م ، من صنوف محبّة الناس له ، وحضوره القويّ في نفوسهم ، وطاعتهم التامة له ، ما أعجزُ عن وصفه . ممّا يمكن اعتباره استمراراً لما جعل الملك ينطق بتلك العبارة المُلتبسة . ولكنني إن أنسَمَ الأشياء ، فلن أنسى ما حييت مشهدين منها :
المشهدُ الأول في قرية " على الغربي " على مسافةٍ غير بعيدةٍ من " العِمارة " .

(16) عرفنا ذلك من أن أحدَ مَنْ وقّعوا الرسالة التي سيُجّهها إليه أهل " العِمارة " فيما بعد ، يُناشدونه فيها العودة إليهم ، وصف نفسه بـ " مدير مدرسة الهدى الأهلية " . وسنُوقِفُ على هذه الرسالة لاحقاً إن شاء الله . كما ستكون صورتها الضوئيّة من جملة الوثائق التي سنعرضها فيما يأتي .

ذلك أنه عندما وصل الشيخ إلى " النجف " تلك السنة ، بدعوةٍ من أبناء " العمارة " ،
 قديم وفدٌ من أهلها للسلام عليه ، ومن ثمّ مرافقته إلى بلدهم . فكان أن طلب منهم أن لا يُخطروا
 الناس بموعد وصوله إليها ، كي لا يتجشّموا عناء الخروج لاستقباله . وهكذا كان .
 وعندما وصل الموكب المتّجّه إلى " العمارة " إلى قرية " علي الغربي " غير البعيدة ،
 توقّف في ساحتها للاتصال ببعض أهلها وإخطارهم بقرب وصوله . وتوجّه أحدُ المرافقين
 إلى حيث يوجد جهاز هاتف . وجلس الباقون ينتظرونه في سياراتهم .
 في هذه الأثناء اقترب من السيّارة التي كنّا فيها فتى لا يتجاوز الثالثة أو الرابعة عشرة .
 وعندما رمى بنظره إلى من بداخلها ، بدتْ على وجهه للحظةٍ قصيرةٍ إمراتٌ من يستتجد
 بذاكرته . ثم إذا به يُطلقُ ساقيه للريح ، راكضاً في ساحة القرية ، وهو يصرخ : " ولكُمْ هذا
 شيخ حبيب " . فإذا بحركةٍ مفاجئةٍ تدبّ في القرية الساكنة ، وكأنّ طاقةً خفيةً قد حلتْ فيها :
 أبواب البيوت تُفتَحُ ليخرجَ منها الرجال والنساء . ومن كانوا جالسين في جنباتها أو بالقرب
 من أحد حوانيتها نهضوا واتجهوا مهرولين إلى حيث السيّارة . ولم تمرّ علينا هنيهةً قصيرة
 حتى أظلمت الدنيا علينا أو كادتْ ، بسبب الجموع التي أحاطتْ بالسيّارة التي نستقلّها .
 فأمرنا الشيخ بالنزول . وأحاط به الناس في مشهدٍ لا يُوصَف . ووقفنا نحن جانباً نراقب هذا
 المشهد ، ونحن في أقصى حالةٍ من التأثّر . ولم يسمحوا لنا بمتابعة طريقنا إلا أن بعد أخبرهم
 بعضنا أنه سيبقى عندهم طيلة الشهر القادم . ومع ذلك فإنهم ما إن انطلقنا حتى رأيناهم
 راكضين من خلفنا ، غير مُكترئين بالغبار الكثيف الذي تُثيره عجلات السيارات وهي تنطلق ،
 حتى غابوا عن أنظارنا .

وعندما هدأتْ نفوسنا خطرنا في بلبي فكرةٌ ، جعلتني أتوجّه بالسؤال إلى أحد من كانوا
 يرفقتنا . قلتُ : " ولكن كيف عرف هذا الفتى الشيخ ، وهو الذي لم يُولد إلا بعد سنواتٍ طويلة
 من مُغادرته للمنطقة ؟ " وأجابني الرجل بما مؤداه . إن الجميع هنا يحفظون وجهه عن ظهر
 قلب ، بفضل صورته التي لا يخلو منها بيت .

المشهدُ الثاني في ساحة القرية نفسها بعد شهر .

ذلك أنه بعد أن انقضى شهرُ رمضان ، وخرجنا برفقة الشيخ مُغادرين ، خرجتْ
 المنطقةُ كلها في وداعه . ولقد حدّثني المرحوم الشيخ محمد تقي الفقيه ، رحمات الله عليه ،
 وكان يُقيم آنذاك في " النجف " ، ويتردّد إلى بلدةٍ في المنطقة اسمها " قلعة سيكر " ، تبعُدُ
 عن " العمارة " زهاء المائة كيلو متر ، أنه طلب في اليوم نفسه إحضارَ سيّارةٍ لتنقله من البلدة

عائداً إلى " النجف " ، فقبل له : لن تجِدَ في كلِّ المنطقة سيّارةً واحدةً ، لأنها جميعها خرجتْ في وداع الشيخ حبيب .

خرجنا من المدينة ، وخلفنا رتلًا لا نهايةَ له من السيارات ، وعندما علم الشيخُ أن نيّة الرّاس مُتجهَةٌ إلى مُرافقته حتى " النجف " ، أمر بالتوقّف في ساحة القرية المذكورة . ونزلَ ونزلنا ونزلَ مَنْ كان قريباً بنزوله ، فشكرهم وطلب منهم العودة . ولم يُدعنا لأمره إلا بعد رأوا تصميمه على ذلك . فبدأوا مراسم وداعه .

تلا ذلك مشهدٌ لستُ أجِدُ الكلمات التي تفي بوصفه : آلافُ الناس الذين لم يعد من الممكن وصول سياراتهم إلى مكان التجمّع ، وقد غادروها ، واتجهوا سيراً على الأقدام إلى ساحة القرية ، التي بدأت تضيق بمن فيها . ومن تمكّن منهم من الوصول إلى حيث الشيخ رأيناه يتشبّث به ، وكأنه يريد أن يمنعه من متابعة طريقه . وحانت مني التفاتةٌ إلى أحد من بقي على قيد الحياة من أصفينائه القدامى ، وكان يقفُ بجانبه ، فرأيتُه يُكفكفُ دموعه . ثم إذا به ينطلق في نحيبٍ مُتواصل ، يهتَزُّ معه جسده الضعيف . وسرعان ما سرّتْ عدوى نحيبيه المؤثّر إلى تلك الجموع الغفيرة ، فإذا بها كلها تنتحبُ وتنشج . كان صوتُ النحيب الصادر من تلك الألوف أمراً يفوق الاحتمال . لم يجد الشيخُ أزاءه إلا أن ارتقى دكّة أحد الحوانيت ، وبدأ يخاطب الناس شاكرًا وواعظًا وموصيًا . وأذكرُ أنه ختم كلامه بالقول أن ولاءهم وحبّهم ينبغي أن يكون خالصاً لله تعالى وحده ، ولمن أمرنا بحبّهم وموالاتهم . وكأنه يُريد بهذا الكلام أن يوجّه هذه الشحنة العاطفيّة الهائلة بعيداً عن شخصه إلى حيث تكون أوقع وأجدى وأعوَد .

وعندما انطلقت بنا السيّارة أخيراً مُبتعدةً عن الحجّ مع ، التفتُ لأرى الشيخَ ودموعه تغسلُ وجهه . لقد ضبط نفسه زهاء ساعتين ، وهو يتلقّى تلك العاطفة النبيلة المؤثّرة من شعبه ، ممّا استنفد طاقته على ضبط النفس . ولذلك فإنه ما إن ابتعد عنهم حتى سمح لنفسه بأن تُفرج عمّا هو حبيسٌ بداخلها .

من الضروري أن نلاحظ هنا ، أن الأكثرية الغالبة من هؤلاء الناس ، الذين عبّروا ذلك التعبير السّاطع عن حبّهم وتعلّقهم الفريد بالشيخ ، لم يكونوا قد عرفوه أثناء الفترة التي قضاها يعملُ في بلدٍهم قبل ربع قرنٍ ويزيد . إمّا لأنهم لم يكونوا قد ولدوا بعد . وإمّا لأنهم كانوا إذ ذاك في مُقتبل العمر . فهذه الشحنة العاطفيّة ، التي رأيناها في المشهدين ، تدلّ على الانغراس

العميق لإنجازهِ التاريخي وأعماله ، وليس فقط لشخصه ، في وُجدانهم . وهو الذي أنقذهم م ن الهاوية السحيقة التي كانوا يُجَّهون إليها . فمنحوه في المقابل حباً غير مجذوذ .
هذه الملاحظة تُعيدنا إلى عمود البحث . بعد أن انشغلنا عنه بتتبُّع السياق الذي كان وراء التصريح المُلتبس الذي صدر عن الملك فيصل الأول بحق الشيخ . وستكون لنا عودةٌ إليه فيما سيأتي إن شاء الله .

المهمُّ أنه في نهاية السَّعي ، أفلح المُبشِّرون من المدينة التي أدارت وجهها عنهم . بعد أن ظنوا يوماً أنهم قد استلبوها وملكوا قيادها . ويقول حارث غنيمه في مقالته السَّالفة الذكر ، أن مستشفاهم في " العِمارة " ظلَّ عاملاً يستقبلُ المرضى ، إلى أن أُغلقت أبوابه سنة 1958م (17) . وهي معلومةٌ غير صحيحة بالتأكيد . ذلك أنني في السنة نفسها رأيتُ مستشفاهم هذا بأُمِّ العين . بناءً كبيراً يحتلُّ مُربَّعاً سـكـنياً بأكمله . ولكنه يكاد يختفى وراء الأشجار المُتعرَّشة ، التي أحاطت به من جوانبه الأربعة كلَّها . ممَّا يدلُّ على أنه مهجورٌ منذ مُدةٍ طويلة . وعندما سألتُ مُرافقِي عن هذا البناء أجاب : " هذا بيتُ الشيطان . هذا مُستشفى المُبشِّرين " .

واستناداً إلى الكاتب نفسه ، فإن إحدى الإرساليَّات التبشيريَّة حاولت سنة 1945م مُعاودة نشاطها . فبنَّت " كنيسةً صغيرةً في مدينة العِمارة ، ظلت قائمةً حتى 1959م " (17) . ممَّا يدلُّ على أنهم لم يُصيبوا في عمله م نجاحاً يُذكر . لقد غدت المدينة عصيَّةً على كلِّ أشكال التحريف الرامية إلى تبديل هويَّتها .

في السنتين الأخيرتين من فترة " العِمارة " تابع الشيخُ عمله الرامي إلى تثبيت إنجازهِ التاريخي ، موزعاً حضوره بين مسجده وبين ريف المنطقة وداكرها . وغطى بنشاطه منطقةً شاسعةً تمتدُّ ما بين " الناصريَّة " إلى " البصرة " (18) . وصرَّف جزءاً أساسياً من همته إلى بناء المساجد . حتى لو كانت من القصب ، حيث لا يتيسَّرُ غيره . مع العناية بتجهيزها بمن يتولَّى إقامة الشعائر فيها .

بالنظر إلى كلِّ ذلك ، فقد كان من المُتوقَّع أن يستريحَ إلى ما هو فيه . لكنه اتخذ فجأةً

(17) البروتستانت والإنجيليون في العراق / 7 .

(18) ذكر ذلك ، مع التنصيص على المدينتين باسميهما ، في كراسٍ بخط يده ، ضاع أوله وخاتمته .

بحيث لم تتمكن من معرفة عنوانه .

أبعدَ قرارٍ يمكن أن يخطر بالبال . قرّر مغادرة " العمارة " نهائياً . وغادرها بالفعل في أحد شهور السنة 1351هـ / 1932م ، عائداً إلى وطنه . بعد أن قضى فيها زهاءَ الخمس سنوات . ولقد سألته مرةً ، بعد أن رأيتُ ما هو فيه من جاهٍ عريضٍ أثناء مُرافقتي له في العمارة سنة 1378هـ / 1958م ، عن سببِ مغادرته لها ، فقال لي في الجواب ما مؤداه : " يابني لقد نزلتها لغرضٍ مُحدّدٍ . ولم يعدْ ثمةً من سببٍ لبقائي فيها بعد أن أنجزته " . وغني عن البيان أن " الغرض " المقصود هو القضاء على الحملة التبشيرية . لكنني أتذكّرُ بوضوحٍ تامٍ أن تعبيراتٍ وجهه ، وهو يستمعُ إلى سُوالي ويُجيب عليه ، قالت لي شيئاً آخراً مختلفاً . كما أنني وجّهتُ السؤال نفسه إلى عددٍ من أصفياه فيها ، فلجابوني بأجوبةٍ مُختلفةٍ ، لم يكن من بينها ما يُفنع ويحسنُ السكوتُ عليه .

من الثابت أن وضعه الصحيّ بلغ مرحلةً حرجةً في الفترة الأخيرة من حياته فيها ، نتيجة الإنهاك بالعمل المتواصل . وهو الذي كان مُصاباً منذ الفتوة بأحدِ أشرس أنواع مرض السكرى . وعاش حياته مُلتزماً حُميةً دقيقةً وصارمةً . والمناخ الرطب الحارّ أكثرَ فصول السنة . كما أن عيناه أُصيبتا بداء (التراخوما) المتوطن في جنوب " العراق " . وتلقّى بعد عودته إلى وطنه علاجاً مُكثفاً في " بيروت " ، على يد الدكتور شاهين صليبا . وقد شكره الشيخُ على ما بذله من جهدٍ في شفائه ببيتين جميلين من الشعر . ظلّ الطبيبُ يعرضهما بلوحةٍ مُعلّقةٍ في عيادته . وقد رأيتهما بنفسى سنة 1371هـ / 1951م . ولكم ندمتُ فيما بعدُ على أنني لم أُسجّلهما .

والسببُ الصحيّ سمعته من أكثر من سألتهم من أصفياه المُشار إليهم .

لكنّ ما يدعوني إلى الاعتقاد بوجود سببٍ آخر ، لم يُصرّح به أحد ، إمّا لأنه لا

يعرفه ، وإمّا لأنه لا يُريدُ التصريح به ، أمران :

- الأمر الأول : بعضُ ما في نصّ الرسالة الجماعية ، التي حرّرها له أهلُ " العمارة "

بعد خروجه منها ، يُناشدونه فيها العودة إليهم . وقد أشرنا إليها من قبلُ أكثر من مرّة . وها

نحن نُنثبُ نصّها :

" السلام على سيّدنا ومولانا حُجة الإسلام العلامة

الشهير والمُصلح الكبير الشيخ حبيب المهاجر العاملي دامت

بركاته آمين .

بعد لثم أناملكم الشريفة نرفع لكم

سبيدنا ، نذكرُ لكم ما نحن فيه من الإهمال بعدكم ،
 وعدم وجود المُرشد . حتى بقينا في بحر الحيرة . تحوطنا
 الأخطار . وتحفّ بنا النوايب . في ذلك المُعتَرَك الهائل الذي قلّ
 فيه الناصر ، وصدّ عنه المُساعد . ذلك الخطر العظيم . وأنتم
 آية الله ، وحجّته على عباده ، ورُعاة هذه الأمة ، تُسألون
 غداً عنّا . وقد بقيت أكبادنا تتلظى عطشاً على سلسل
 تعاليمك الدينيّة ، ومشاريعك المحمودة . فاروي [كذا] تلك
 الأكباد الحرّى بإجابة الدعوة . وارحم تلك العيون العبرى من
 شدّة بكانها لفرافكم . لقد بقينا مرضى لا طبيب لنا سواك ، ولا
 حبيب لنا غيرك . أغاثك الله وكفأك شرّ ما تحذر . وأنتم أهل
 الصّحّ الجميل ، والإحسان الجزيل ، وأهل الوفاء والنصيحة .
 فإذا تأخرتم ، وحاشا سجيّتكم ذلك ، لنشكوّنكم غداً عند الله
 ورسوله بانجاز وعدكم وإيفاء عهدكم " .
 " والسلام عليكم وعلى من لديكم من المؤمنين
 ورحمة الله وبركاته " .

يتلو هذا النصّ توقيعات وأختام كثيرة . يبلغ عديدها واحداً وتسعين توقيعاً . بينها
 توقيعات ع ددٍ من كبار رؤساء العشائر في " العِمارة " ومنطقتها ، ومنهم أحد شيوخ
 عشيرة البو محمد ، أكبرُ عشائر الجنوب العراقي ، وابنُ أكبر شيوخها وأعلام شأنها
 ونفوذاً محمد العريبي . فضلاً عن وجهائها ورؤساء محلاتها . ومنهم صاحب " المكتبة
 المُحمّديّة " ، وهي المكتبة التي أنشأها الشيخُ في " العِمارة " ، ومديرُ مدرسة الهدى
 الأهليّة ، المدرسةُ التي أنشأها فيها أيضاً .
 (صورةٌ ضوئيّةٌ للكتاب في الصفحة التالية عن الأصل المحفوظ عندنا) .

من الواضح أن الرسالة مبنية على مُراسلات أو مُخاطباتٍ سابقةٍ بين الشيخ وأهل -
 " العِمارة " ، فَهَيَّ مِنْهَا هُوَ لَاءٌ وَعَدَا مِنْهُ بِالْعُودَةِ إِلَيْهِمْ . مِمَّا يَجِبُ عَلَى أَنْ سَعِيهِمْ لِاسْتِعَادَتِهِ لَمْ
 يَفْتَرِّ . وَهَاهُمْ يَتَقَاضُونَ الْآنَ مَا كَانَ قَدْ وَعَدَ بِهِ ، وَاصْفِين مَا هَمْ " فِيهِ مِنَ الْإِهْمَالِ " مِنْ بَعْدِهِ
 " وَعَدَمِ وَجُودِ الْمُرْشِدِ " ، مُسْتَرْحَمِينَ مُتَوَسِّلِينَ . وَأَنْنَا نُلْفَتُ نَظَرَ الْقَارِئِ إِلَى عِبَارَةِ ذَاتِ
 وَقَعِ خَاصٍ فِي الرِّسَالَةِ ، قَالَتْ : " وَأَنْتُمْ أَهْلُ الصَّفْحِ " سَنَقِفُ عِنْدَهَا الْوَقْفَةَ الْمُنَاسِبَةَ بَعْدَ
 قَلِيلٍ .

هذا كما أننا نعرف من الرسالة التي سطرها المرجعُ السعيدُ أبو الحسن الإصفهاني لأهل
 بلدة " قانا " ، المُجاورة لمسقط رأس الشيخ " حنويه " ، أنه دخّل أو أُدخِل في هذه
 المُراسلات . وأنه طوّل من أهْلِ الْبَلَدَيْنِ " قانا " و " العِمارة " في الوقت نفسه بأن يستقرَّ
 الشيخ عندهم . وأنه توصلَ معهما إلى حلِّ يُرضي الطرفين .
 قال :

" الأشراف الكرام من وجوه قانا ونواحيها أدام الله
 تعالى عزّهم " .

" السلام عليكم أنصار الحق وأعضاء الإسلام
 وأعوان أهله ورحمة الله وبركاته " .

" وبعد . فقد أتاني كتابكم المُتضمّن لطلبكم مني
 جناب علم الأعلام ومصباح الظلام وركن الإسلام ، ولدي الأعزّ
 الشيخ شيخ حبيب دامت إفاضاته " .

" أما إنكم لقد طلبتم علماً عاملاً ، وبراً تقيّاً ، فاضلاً
 هُمَاماً ، مقدّماً حازماً ، سديد الرأي ، ثاقب الفكر ، مُستقيم
 الأمر . لا تأخذه في الله لومة لائم . طلبتم أكثرَ أهْلِ الْعِلْمِ
 عَنَاءً ، وَأَحْسَنَهُمْ بِلَاءً ، وَأَفْضَلَهُمْ جِهَاداً ، وَأَكْمَلَهُمْ هَدْياً
 وَإِرْشَاداً . طلبتم مني يدي العاملة ، وعيني الباصرة ، ولساني
 الناطق ، وحببي الصادق . ولقد أتاني من أهْلِ الْعِمَارَةِ حِينَ
 بَلَّغْتُمْ ذَلِكَ مِثْلَمَا أَتَانِي مِنْكُمْ . وَحَيْثُ أَنَّهُ لَا غِنَى لَكُمْ الْقَطْرَ
 عَنْهُ بغيره . وما كان ينبغي حرمانكم من إفاداته ومنافعه . بل
 أنتم أولى به ممّن سواكم . نُرَجِّحُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكُمْ فِي زَمَنِ

الصيف ، وعندهم في الشتاء . وبذلك اقتنعوا . وسيتكثرون
حركته إليكم بعد شهر رمضان إن شاء الله تعالى . فتوقعوا
وروده ، وانتظروا وفسوده . واعلموا أنه سيف من سيوف
الإسلام ، وركن من أركانه العظام . وأنه من أكابر
المُجتهدين الأعلام " .

" فاس تضيئوا بنوره ، واستقيدوا مصباح هديه
وإرشاده . فإن له في العراق مواقف مشـ هودة ، ومسراع
مشكورة محمودة . خدم بها الإسلام والمسلمين خدمة تُذكر
وتُشكر . فعسى أن يوفق لمثلها عندكم " .
" ولا حول ولا قوة بالله العلي العظيم . والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته "

الأحقر

أبو الحسن الموسوي الإصفهاني (19)

(19) عن الأصل المحفوظ عندنا . و صورة ضوئية للرسالة في الصفحة المقابلة .

من آية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الاحتراف الكرام من وجوه قاتا ونواحيها ادام الله ثقاتي عزهم
 السلام عليكم انصار الحق واعضاء الاسلام واعوان اهلته ورحمة الله وبركاته
 وبعثه فقد اتاني كتابكم المنضبط لطيب من جناب علم الاعلام ومصباح الطلاب
 وركن الاسلام ولقد اعز الشرح شيخي حبيب استاذنا
 اما انك فقد طلبت علما عاملا ويرا ثقا فاضلا وهما ما مقدا ما حازما سيد
 الراي فاقب الفكر صفرم الامر لان اخذه في الله لوجه لائم طيب
 التواصل اهل عنا وعظم بلاء وافضل جهادا واكمل هدايا وارشادا
 طيب من يدى العالمه وعيني الباصه ولساني الناطق وحبيبي
 الصادق ولقد اتاني من اهل الهاء حين بلغهم ذلك مثملا اناني منكم
 وحيث انزلت عنى لذلك العطر عنه بغيره وما كان يقضى حرمانكم من اواحا
 رضانه بل انتم اولي من سواكم تزج ان يكون عندكم في زمن الصفا وعندهم
 في انشاء وتلك انفقوا وسكون حركته اليكم بعد شهر رمضان والى
 فوفقوا ووروده وانظر واوفود واعلم انه سيف من سواف الاسلام
 وركن من اركان العظام وانتم من كابر المجتهدين الاعلام فاستضيوا بغير
 وسفهم ومصباح هدى وارشاده وان له في العراق موافق مشهوره
 وساع مشكورة محروبة عندكم في الاسلام والمسلمين خدمه فذكر وشكر
 حتى ان يوفى لمتها عندكم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
 زكوة الله وبركاته
 الاقر ابو الحسن الموسوي
 الاصفهاني



والرسالتان ، من أسف ، غير مؤرّختين . ولو كانتا لأتى نفعهما لهذه الدراسة أفضل بكثير.

ما يُربينا في هذه الرسالة الجماعية لأهل " العِمارة " قولهم فيها : " وأنتم أهل الصّفح الجميل " . وهو تلميحٌ في قوّة النصّ الصريح على أن إساءة ما قد صدرت من جهةٍ أو شخص ما بحقّ الشيخ ، كانت وراء إقلاعه المُفاجئ منها . فمن الذي أساء إليه ، وكيف ؟
- الأمر الثاني : ما قاله الشيخ في مُقدّمة الجزء الأول من سلسلة (الإسلام في معارفه وفنونه) ، حيث قال :

" كثيراً ما كان يختلج في فكري القيام بعمل أنفع به قومي ، أحملهم فيه على المحجّة البيضاء والصرط المُستقيم . أجمعهم فيع على الورود إلى منهل عذب ، يصدرون منه ملأى القلوب والأفئدة .
ولقد عالجتُ ذلك في العراق . فأنشأتُ بعضَ المدارس . وألّفتُ بعضَ الكتب . وأسستُ مجلة (الهدى) ، التي لم تقوَ على المُداومة أكثرَ من ثلاث سنوات . رغم أنني جلبتُ لها مطبعةً خاصّةً بها . ولكنها العراق تفورُ ، وما أسرع أن تغور " (20) .

والمفهوم من الأمرين معاً ، أن تبدُّلاً أساسياً قد حصل في ماوقفنا عليه من وضعِ الشيخ ، كان وراء الإشكالية التي نعالجها الآن . عبّرَ عنه أهل " العِمارة " بقولهم : " وأنتم أهل الصّفح الجميل " . وأشار إليه هو بقوله " العراق يفورُ ثم يغور " .
أعتقدُ أن مفتاحَ القضية كلها يكمن في كلمة الملك فيصل الأول يومَ زار " العِمارة " ، حيثُ قال : " الشيخ حبيب هو ملك الجنوب " . (21) وهي كلمةٌ ذاتُ حدّين . فهي ، من جهةٍ ، تنزّلُ إلى أهلها ، بأن تمنح شيخها المحبوب لقبَ " ملك " السّامي . ولكنها ، من

(20) الإسلام في معارفه وفنونه ، ط. مطبعة العرفان في صيدا ، 1367 هـ / 1948 م ، الجزء الأول من السنة الأولى / 2 .

(21) وذلك بتاريخ 16/6/1347=1928/11/29. انظر مجلة "الهدى" العِماريّة: السنة الأولى /200.

الجهة الأخرى ، لا تخلو من رنة شكوى من ملكٍ ينافسه على منصبه العالي " ملك " آخر . والمعروف عن فيصل أنه كان يضيقُ صدرًا بأيّ شخصيّة تبرز، ويخشى أن تطغى على شخصيته . ولهذا كان يعمل على عدم إبقاء أي رئيس وزراء في الحكم مدّةً طويلةً ، خشيةً من أن يُصبحَ عنصرًا مؤثرًا في السياسة ، أو صاحبَ شعبيّةٍ واسعة . وهذا ما لم يكن يرغبُ به (21) . فكيف بهذا الرجل الغريب وقد غدا صاحبَ الكلمة المسموعة ، التي يمتثلُ لها الجميع دون تردّد ، في إحدى محافظات مملكته ؟ !

إلا أن ها هنا واقعة لا بُدّ من الإشارة إليها . على الرغم من أنها أتتْ غامضةً وفي غاية الإيجاز . ممّا جعلها ضئيلة النفع لما نُعالجه الآن . هي ما أشار إليه الشيخ في أحد أجزاء كتابه المُتسلسل " الإسلام في معارفه وفنونه " ، حيث قال أن الملك فيصل دعاهُ دعوةً خاصةً إلى داره ، في " بغداد " ولا ريب ، حيث أبدى له غاية الاحترام والتقدير (22) . ولكنه لم يقل متى كان هذا اللقاء ، ولا ماذا دار فيه ، وماذا كان غرضُ الملك منه . على أننا على شبه اليقين من أن ما وصفه الشيخ ، من صنوفِ احترامٍ وتقديرٍ الملك له ، لم يكن هو وحده الغاية والمقصد .

مهما يكن فإن من المؤكّد ، والحالةُ على ما وصفناه أعلاه ، أن لا يقرّ للملك قرارٌ ، دون أن يتخلّصَ من هذا العالم الديني ، الذي فرض نفسه ثقيلًا عليه ، وهو الحديث العهد بنعمة الملك .

هذا ، ولقد سمعتُ تلميحاتٍ من بعض من ذكرتهم في المسألة من أصحاب الشيخ في " العمارة " ، لم أُقدّرْها في حينه حقّ قدرها ، لأنني لم أكُنْ أملكُ تصوّرًا واضحًا لخلفيّةٍ مُمكنةٍ لها ، كهذه التي بيّناها في الفقرة السابقة ، - هذه التلميحات تنسبُ الدورَ الأساسي في دفع الشيخ إلى الخروج ، إلى أحد كبار شيوخ العشائر المحليين . وقد عرفنا ممّا فات أن هؤلاء جميعاً كانوا مُرتَهينين للسلطة الحاكمة ، التي تستطيع أن تنتزع منهم تلميحات الأراضي الزراعيّة ساعة تشاء ، وهي بالتالي تستطيع أن تفرض عليهم ما تُريد . إذ جاء ، ومعه رفاقٌ له من مثله ، ليقولوا للشيخ قولَ مُحبِّ ناصح ، أن هناك مؤامرةٌ تُحاكُ لاغتياله . وأنهم لذلك ينصحونه بالسفر ، لعجزهم عن حمايته ، نظراً لقوّة الخصم . فإذا صحّ ذلك ، وكلّ الملابسات

(21) علاء الحربي : رجال العراق الملكي ، ط. لندن، دار الحكمة 2004م / 16 .

(22) الإسلام السنة الثالثة : 1 / 27 .

تدلّ على أنه صحيح ، فما من شكٍ بعدُ في أن الملك هو الذي دفع أولئك الشيوخ إلى التهويل على الشيخ ونصحه بالسفر . كانت تلك أسلم وسيلةٍ للتخلّص منه بهدوءٍ ، دون إثارة الجماهير . والطريف أن غير واحدٍ من أولئك الشيوخ قد وقّع فيما بعدُ الرسالَةَ الجماعيَّةَ التي سطرها له أهل "العمارة" يطلبون منه العودة . وهكذا أرضوا الملك والجماهير في آن واحدٍ . وهذا ممَّا يُسمَّى في لغةٍ مُحترفي الألاعيب السياسيَّةِ بـ (اللعب على الحبلين) . والعارف بهم أو ببعضهم يمكن ملاحظةُ توقعاتهم في صورة الرسالة المنشورة قبل قليل .

ما من شكٍ في أن تلك المُلابسات وما أدَّت إليه ، قد تركتُ جرحاً عميقاً في نفسه . رأينا بعضَ ندوبه بعد عشر سنوات ، في إشارةٍ سرّيةٍ ضمَّنها قصيدته الغديرية الشهيرة حيث يقول ، بعد أن أشار إلى أعماله في " العمارة " :

ثم انثيتُ لبعلك مُرابطاً دامي الفؤاد مُعذَّبَ الوُجْدان (23)

والمفهوم ، بدلالة السِّياق ، أن المقصود بهذا التلميح ليس إلا ما دُبِّر له ، بحيث يُدفعُ إلى مُغادرة " العمارة " وربما " العراق " نهائياً .

والظاهر أن السفوألُفاجئ قد تمَّ تحت عنوان أنه مؤقت ، يعود بعده الشيخُ إلى قاعدة عمله . وربما كان هذا هو أساس الوعد الذي طالبه أهل " العمارة " في رسالتهم بالوفاء به . مهما يكن ، فإن الشيخ غادر مدينة " العمارة " ، بعد أن قضى فيها خمس سنواتٍ من العمر (1346-1351 هـ / 1927-1932 م) ، ولم يُقدِّر له أن يراها مرَّةً أُخرى إلا بعد ستٍ وعشرين سنة شمسيَّة . أي حتى زارها بطلبٍ من أهلها ، وقضى بينهم شهر رمضان سنة 1378 هـ / 1958 م .

استقرَّ به المقام في " النجف " مُدَّةً ، لا ريب في أنه أطلَع أثناءها السيّد الإصفهانيَّ على مُلابسات خروجه من " العمارة " ، وتذاكر معه في التوجّهات المُستقبلية . أثناء تلك المُدَّة كان أهل " العمارة " يواصلون الاتصال بالمرجع يسرعون عودة الشيخ . ولكن يبدو أن السيّد ، وهو الذي كان على معرفةٍ دقيقةٍ بالوضع السياسي في " العراق " وبرجاله ، ارتأى أن يُغادر الشيخ " العراق " نهائياً . ولذلك فإنه خاطب أهل " قانا " بأن ينتظروا حضوره في موعدٍ مُحدّد ، بعد شهر رمضان / شباط - آذار ، كما ورد في رسالته إليهم . وهكذا كان .

(23) المولد والغدير ، ط. مطبعة العرفان ، صيدا ، لات / 15 . وقد نظمها سنة 1360 هـ / 1941 م .

- ثانياً : في بعلمك

في تاريخ ما ، بُعيد شهر رمضان من السنة 1351 هـ / آذار 1932 م ، رجع إلى وطنه .
ونزل في البيت الذي شهد مسقط رأسه في " حنويه " .

كانت النية ، وفقاً للترتيبات التي أشرف على وضعها الس يد الإصفهاني ، أن يستقر فيها . وقد كانت آنذاك تخلو من عالم دين ، منذ وفاة عالمها الجليل الشيخ محمد علي عز الدين (ت : 1301 هـ / 1883 م) . كما أنها تجاوزت عدداً من الفرى التي تُعاني من المشكلة نفسها ، حاضرتها بلدة " قانا " .

وجديرٌ بنا أن نذكر هنا ، أن المنطقة الساحلية من " جبل عامل " ، وهذه منها ، لم تلتحق في ماضيها البعيد بالحركة العلمية الكبرى ، التي ازدهرت وأثمرت في أعالي " جبل عامل " : " جزين " و " عيناتا " و " ميس " و " جباع " ، إلا متأخرةً . وما ذلك إلا زدهار ، فيما يبدو لنا ، إلا لأن هذه إما أنها بقيت طاهرة من الاحتلال الصليبي ، وإما أنها تحررت في تاريخ مبكر . أما تلك ، أعني المنطقة الساحلية ، فقد كانت آخر ما بقي منه تحت الاحتلال . ومثل هذه التأثيرات البعيدة قد تبدو لغير العارف بالتاريخ وأسراره غير ذات أثر كبير . وهو أمرٌ يُجانب الحقيقة . فهنا أيضاً يصدق القول المأثور : " من سبقك بخطوة ، فقد سبقك كل الطريق " . ولذلك فإنه لم تُنجب من معارف العلماء مثلما أُنجبت تلك . وهذه ملاحظةٌ يعرفها كل من له عنايةٌ بالتاريخ الثقافي لـ " جبل عامل " . وما تبرزه الشيخ حبيب ، وهو أول عالم حنويهي الأصل ، إلا تعبيرٌ عن ذلك الالتحاق المتأخر . وإنما أدلينا بهذه الفذلة التاريخية ، تعقيباً على ملاحظتنا ، أن " حنويه " ومنطقتها كانت خالية من علماء الدين ، يوم رجع الشيخ من " العراق " ليستقر فيها .

أمضى في " حنويه " عدة أشهر . يتجول في جوارها ، مقيماً الش - عائر الدينية حيثما حل ، مُستطلعاً أحوال الناس ، كما هو دأبه دائماً . كما كان يزور " بيروت " لمُتابعة علاج عينيه . ولكنه كان يُع رج أيضاً على ضاحيتها الجنوبية ، ذات الغالبية السكانية الشيعية الفقيرة ، لغرض استطلاع أحوالهم . وكانت يوم ذاك عبارة عن مجموعة من الفرى

والمزارع البائسة ، المنتشرة بين بساتين الحمضيات (البرتقال والليمون وما إليهما) . التي يعتاش سُكَّانها من الزراعة ، وتربية بعض المواشي للانتفاع بألبانها ولحومها .

في إحدى تلك الزيارات التقى بالزعيم الشيعي الصّاعد آنذاك المرحوم رشيد بيضون . وهو من أسرة عريقة ، تنزل بلدة " بنت جبيل " في " جبل عامل " وأيضاً في " دمشق " و " بيروت " . وكان رجلاً طموحاً ، طوى ضلوعه على أحلام نهضوية عريضة . وفي هذا السبيل أُلّف مع عددٍ من أبناء الشيعة " الجمعية العاملة " . ثم قام برحلة واسعة تجول أثناءها بين المهاجرين اللبنانيين في أنحاء " إفريقيا " ، جامعاً التبرّعات لجمعياته الناشئة . ممّا أتاح له أن يُنشئ " المدرسة العاملة " . وهي أول مدرسة شيعية كبرى في " لبنان " . تخرّجت منها أجيالٌ بعد أجيال من أوائل المُتعلّمين الشيعة . كما كان أول من أحيى المجالس الحسينية في " بيروت " ، إحياءً مدروساً بنظامٍ دقيق وتوجّهاتٍ سليمة . ممّا جعل من مجلس " العاملة " في عاشوراء مناسبة وطنية جامعة ، تحضرها مُختلف الطبقات من كافة الأديان والمذاهب ، وتنقلها الإذاعة الرسمية نقلاً مباشراً ، وما يُقال .

في ذلك اللقاء طلب الزعيم بيضون من الشيخ شيخ أن يُشارك بخطبة في مراسم يوم عاشوراء . وصادف ، أو بالأحرى ، كان من تصارييف المقدور ، أن شاهده بعض أهالي " بعلبك " ، من بينهم جدّي لوالدتي المرحوم الشيخ توفيق الصاروط . فتأثروا بما سمعوه من كلام الشيخ . وعلموا أنه عاين لثوّه من " العراق " . ومن هنا بدأ التفكير بدعوته ليُقيم في مدينتهم ، التي كانت تُعاني من خلوّها من عالم ديني . ودارت اتصالات سريعة . فزاروه وحدّثوه بحاجتهم إلى مثله . ثم زار الشيخ المدينة مُستطلعاً أحوالها . اتخذ بنتيجتها القرار بأن يُجيب طلبهم . وهكذا انتقل بأسرته إليها في أوائل السنة 1352 هـ / 1933 م . ليُضي فيها ما بقي له من العمر ، أي زهاء ثلاثٍ وثلاثين سنة .

كانت " بعلبك " آنذاك أصعب خيارٍ يمكن لعالم دين ، باحثٍ لنفسه عن ميدان

عمل ، أن يقيم عليه . خصوصاً وأننا نعرف أن نزيلها الجديد قد أبّ على التوّ من معركة فاصلة . خرج منها ، على الرغم من انتصاره السّاحق والتاريخي فيها ، مريض الجسم مهبط النفس . لما لقيه من كيدٍ لئيمٍ في آخر أيامه فيها . ولكن الشيخ حبيب كان من معدن رجال الثغور ، الذين من ديدنهم أن يتنبّعوا مواضع الخلل ليُصلحوها ، و مواطن الشّ غور ليسدّوها . وهو الذي ترك في ماضي أيامه القريب موقعه المُريح في مدينة " الكوت " ، ليخوض تلك المعركة الشريسة في " العمارة " . والآن هاهو بملء الاختيار يتحوّل إلى " بعلبك " .

وميدانها الصَّعب . مع أنه كان له عن اختياريه هذا مندوحةٌ ، لو شاء ، في بلده وجواره ، وبين أسرته الكبيرة الميسورة . وقد علمنا ممّا فات أنه ، أي بلده ، كان يعتنق وجوده فيه حقاً طبيعياً ، يُطالب به بالحاح .

فعلى الرغم من أن " بعلبك " تُجاورُ بلدةَ " الكرك " ، التي كانت في ماضي أيامها من مراكز العلم الشهيرة ، وأنجبتْ أو تلقّتْ فيها جَمْعٌ من معارفُ العلماء ، فإن تلك لم تعرف في تاريخها الطويل غيرَ ثلاثة علماء . أولهم ابن معقل الحمصي (ت : 644 هـ / 1246 م) ، الذي نزلها قادماً من مدينة " حمص " ، في وسط " سورية " بعد أن حال أمرُ التشييع فيها . فتلميذه ابن مَلِيّ الأنصاري البعلبكي (ت : 699 هـ / 1299 م) (1) . ثم ، بعد زم ان طويل ، السيّد جواد مرتضى العاملي (ت : 1341 هـ / 1922 م) (2) . وطبعاً لا ننسى في هذا التاريخ الشهيد الثاني وعبوره القصير فيها . ولكن ذلك كان أقرب إلى حُكم ضرورة ، لم يستمرّ إلا سنتين ونيف (3) . وجديرٌ بالذكر أن لا واحد من أولئك الثلاثة توفي فيها . فابن معقل توفي في " دمشق " ودُفن فيها . وابن مَلِيّ توفي في " بضعون " في أعالي شحمال " لبنان " ودُفن فيها أيضاً . وقد ضاع قبر الاثنتين . والسيّد مرتضى رجع إلى مسقط رأسه " عيتا الزّطّ " في " جبل عامل " خائبَ الأمل ، بعد أن اقام في " بعلبك " مدّة عشرين سنة (2) ، ليتوفى ويُدفن فيها . نقول هذا ، لما فيه من دليل على أن هذه المدينة لم تكن في كلّ تاريخها مقاماً محموداً لأحدٍ من هؤلاء العلماء وأمثالهم .

يومَ نزل الشيخ حبيب " بعلبك " كانت هذه بلدةً كبيرةً أو مدينةً صغيرةً . لا يزيدُ عديدُ سُكّانها عن الخمسة آلاف بكثير . وقد اعتمدنا في هذا التقدير على كتاب (تاريخ بعلبك) لميخائيل ألوف . وذلك لغياب الإحصاءات الرّسميّة . حيث يقول : " وعددُ سُكّانها [يعني بعلبك] يُناهزُ الخمسة آلاف نفس " (4) . ومع أنه يوجد فاصل زمني طويل ، مقداره نصف قرن تقريباً ، بين كُتُب ه ذه المعلومة في الطبعة الأولى من الكتاب ، وبين نزول

(1) انظر الترجمة لهما في كتابنا : ستة فقهاء أبطال ، ط. بيروت 1415 هـ / 1994 م / 13 - 78 .

(2) انظر الترجمة له في كتابنا : أعلام الشيعة ، تحت الطبع .

(3) انظر الترجمة له في : ستة فقهاء أبطال / 131 - 85 .

(4) تاريخ بعلبك ، ط . بيروت 1904 م / 6 . وهي الطبعة الثانية للكتاب ، وفقاً لما هو مسطورٌ على

الشيخ فيها ، فإنه ما من شكٍ لدينا في أن المدينة لم تنم سُكَّانِيَّاً أثناء تلك المُدَّة نموّاً يُذكَر .
وذلك بسبب الحرب العامّة الأولى ، وما نزل بالناس أثناءها من ويلات ، ومنها المجاعة
العامّة ، التي ذهبت بأعداد كبيرةٍ منهم .

ويؤخِّدُ من المصدر نفسه أن نصف سُكَّانها كانوا من الشيعة (4) . ونحن نظنُّ أن
تنسيبه هذا غير دقيق . وإنما رمى منه إلى استكثار قومه . ثم يقول : " وللشيعة جامعٌ رث البناء ،
عمَّه الأمير يونس الحرفوش سنة 963 للهجرة " (5) . وما من سببٍ لدينا للشكِّ بصحّة وصفه
للجامع . بل ويُضيفُ إلى قوله هذا أن السَّيِّد جواد مرتضى رَمَّمه فيما بعدُ ، أثناء الفترة التي
أقامها في " بعلبك " ، وألحق به مدرسةً ، أي حوزةً دينيةً (6) ، يبدو أن أهل المدينة لم
يُحسنوا الإفادة منها . بدليل أنه لم ينتسب إليها منهم إلا جدنا من جهة الأم الشيخ توفيق
الصارو طرحمه الله .

فهذا كلّه دليلٌ على هوانِ أمرِ الشيعية فيها ، وعلى ضعفِ إقامتهم للش عائرِ الدينيّة ،
وفي مُقدِّمها عمارةُ مسجدهم الوحيدِ فيها . مع أنهم أكثريةٌ عدديّةٌ فيها . ومع أن وجودَ
التشيّع في منطقتها ثم فيها عريقٌ . يرقى إلى القرن الأول للهجرة . حيث المهاجرون الأولون
من الهمدانيين القادمين من " العراق " ، نزلوا بأعدادٍ كبيرةٍ عدّة منازل في جوارها (7) . ثم
أنهم بدأوا حركةً سُكَّانِيَّةً ، انتهت إلى أن غدوا ذوي وجودٍ مُعتدِّ به في القرن السابع
لهجرة / الثالث عشر للميلاد . بحيثُ أنهم نظّموا في بلدهم ، بقيادة عالمهم ابن ملّي ،
المقاومةَ الشعبيّةَ الوحيدةَ التي ناجزتُ المغول (8) . ثم كانوا من بعدُ أمراءها ومالكي
قيادها على عهدِ آلِ الحرفوش . الذين حكموا المدينة وما حولها ثلاثة قرون ونصف تقريباً
(900-1265 هـ / 1495-1850) . لكن فترةَ حكمهم كانت قاسيةً عليها . بسبب النزاعات
المُتوالية التي كان العثمانيون يوقدونها بين أمرائهم . ولكم أحرقت المدينة ونُهبت أثناءها .
بحيث أنها في نهاية حكمهم لم يكن قد بقي من أهلها الكثير . بل تفرّقوا في البلدان . وحتى اليوم

(5) نفسه / 7 . وتاريخ بناء الجامع خطأ . والحقيقة أنه بناه سنة 1028 هـ / 1618 م . كما يشهد الرقيم

المنقوش على جداره الخارجي .

(6) السيد محسن الامين : أعيان الشيعة ، ط . بيروت 1403 هـ / 1983 م : 4 / 266 .

(7) كتابنا : التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسوريّة ، ط . بيروت 1413 هـ / 1992 م / 107 وما بعدها .

(8) ستة فقهاء أبطال / 46 وما بعدها .

فإن شيعة " بعلبك " هم أجلابٌ وجوالي قادمةٌ من مختلف القرى المجاورة . مما كان له اثره على تركيبتها الاجتماعية ، فتركها هشةً غير مُتماسكة .

ذلك الوضع الاجتماعي الهشّ ، بالإضافة إلى هوان أمرشيعتها واستخفافهم بإقامة الشعائر الدينية ، هو ما واجهه الشيخ حبيب يوم نزل المدينة . ناهيك بأن ريفها الشاسع كان يومذاك معموراً بعشائر مُتناحرة مُتقاتلة . تحكّم علاقاتها تقاليدُ الثأر والثأر المُقابِل الراسخة ، في مُسلسلٍ دمويٍّ لا نهايةَ له . الأمرُ الذي جعل مُهمته فيها من أعسر ما يكون . أضف إلى كل ذلك أنه بات الآن العالمَ الدينيّ الوحيدَ ، في منطقةٍ تعمرها مئات القرى والبلدات الشيعية . التي تمتدُّ من أقصى غربيّ " سهل البقاع " عند حدود " جبل عامل " ، حتى أقصى شمال السهل ، عند الحدود الدولية مع " سورية " . كان عليه أن يرفع وحده شؤونها الدينية ، ويُعالج أدواءها الاجتماعية المُتراكمة . وفي رأسها السعيّ بالإصلاح وحجب الدماء واستدراك الفتن ، كلما انفجر القتالُ بين بعض عشائرها .

لقد ألقى على عاتقيه عبئاً ثقيلاً .

ولقد علق بذاكرتي ، ممّا يتصلُ ببؤس الحالة الدينية في المدينة يوم نزلها الشيخ ، حديثٌ سمعته ممّن صحبه ورافق خطاه منذ أوّل يوم .

ذلك أنه ، أي الشيخ ، حثّ الناس على إحياء يوم الغدير ، فاسد تغربوا منه ذلك . بل قال قائلهم أن ذلك بدعةٌ . وأننا لا نعرفُ في الإسلام إلا عيدين اثنين لا ثالث لهما . ممّا يدلّ على أنهم لم يكونوا قد سمعوا به من قبل . ولذلك فإنه أثر التريث . كي لا يحملهم حملاً على ما لا يُلْفون . ممّا قد يؤدّي إمّا إلى أن يأتي الاحتفالُ هزياً ، فيكون تأثيره على عكس المطلوب ، وإمّا أن يكون سبباً لنزاعٍ . وكلاهما أمرٌ غير حسن ، خيرٌ منه التريثُ إلى أن يُمةَ دله بما يُناسب . ومن ذلك أنه في السنة 1360 هـ / 1941 م نظم غديريته الشهيرة (9) ، وكلف أحد الفتيان بإلقائها يوم الغدير من على منبر المسجد . كانت تلك أوّل مرّة تُقامُ فيها مراسمٌ خاصة في " بعلبك " إحياءً ليوم الغدير .

ولقد طال انتظاره من بعدُ مدّة عشرين سنة تقريباً . حتى أحيى العيدَ لأوّل مرّةٍ في

(9) وقد طُبعت مع قصيدته " في المولد النبوي " في كراسٍ مستقل سنة 1360 هـ / 1941 م ، وأعدنا نشرها فيما نشرناه على هامش الندوة التي عقدناها في " بعلبك " في الذكرى الثلاثين لوفاته . ويجدها القارئ فيما سيأتي من شعره .

السنة 1373هـ / 1954م . بعد أن مهّد له على صفحات كتابه المُتسلسل (الإسلام في معارفه وفنونه) . وحتى في هذا . فإنه ساق طرّحه بوصفه اقتراحاً جاء به أحد أهل المدينة . فضلاً عن أنه سابقةٌ كان قد عملَ بها يومَ أن كان في "العراق" ، كما أنها معمولٌ بها فعلاً في " النجف " . وكأنه يريد أن يقول للناس ، أنه لم يجترح الفكرة من عند نفسه اجترأحاً . وهذا كله يدلّ على حذره الشديد ، وهو يحاول أن يأخذ بيدِ هؤلاء إلى الموقع الذي تفرضه عليه وظيفته الشرعيّة ، بوصفه مُرشدًا دينيًا .

قال :

" جاءني ال سيد أديب مرتضى ، أحد أفراد الشبيبة البعلبكية ، يُفاوضني في القيام بحفلة تذكارية لواقعة يوم الغدير ، في عيد الغدير . فحبذتُ ذلك له ، وقلتُ أنني كنتُ أقومُ بهذا في العراق في كل سنة . وها هي النجفُ تقوم بها اليوم . وقد أتتني رسالتان ، إحداهما من هيئة الشعراء الحسينيين ، والأخرى من الشبيبة النجفية . كلٌّ منهما يطلب مني كلمةً في هذا الموضوع . فحقيقٌ بشباب بعلبك أن ينهضوا لذلك (10) .

وجديرٌ بنا أن نلاحظ هنا أن هذا الطرح قد ورد في العدد الصادر في شهر جمادى الثانية من السنة المذكورة . أي قبل موعد العيد بما يزيد قليلاً على الستة أشهر . وكأنه أراد أن يأخذ التمهيدُ وقتاً كافياً لينضج في أذهان الناس .

فهذا أنموذجٌ قابلٌ للتعميم على الوضع المُلتبس ، الذي واجهه الشيخُ أيامَ ه الأولى في " بعلبك " . وهو دليلٌ ساطعٌ على أن هذه المدينة ، على عراقتها في التشيع ، لم تنجح في التكيف مع رموز هويّتها ورسومها ومراسمها على نحوٍ وافٍ ، أو هو على حدّ الوفاء . وما ذلك إلا لأنها لم يُقبض لها في تاريخها الطويل من بين رجالها ، من يلحقها بالمراكز العلمية الكبرى في "العراق" ، مثلما فعلَ رجالُ " جبل عامل" منذ الشهيد الأول ، أو ، على الأقل ، مثلما فعلَ رجالُ بلدة " الكرك " القريبة منها . ومن هنا رأيناها يأخذ بيدِ أهلها على طريق الاندماج الطويل ، على ذلك النحو المُتدرّج الحذر .

(10) الإسلام في معارفه وفنونه ، ط. بعلبك 1373هـ / 1954م المجلد السابع / 155.

واستناداً إلى ما نعرفه من طريقته في العمل ، فإننا نظنّ أنه صرفَ جهدهَ أوّلَ إلى بناءِ تعارفٍ كافٍ مع أهل المنطقة ، التي نزلها دون أن تكون له سابق معرفةٍ بهم ، ولم تكن لهم سابق معرفةٍ به . وعليه فإننا نظنّ أنه أمضى فترةً كافيةً يستطلعُ أحوالها ، ويزور بلدانها وقراها . وما من ريبٍ في أن المُدّة التي أمضاها في هذا لم تكن قصيرةً ، نظراً لاتساع المنطقة ، كما عرفنا . والخطوةُ التاليةُ تدلّ على ذلك .

كانت المُشكلةُ الأولى والكبرى التي واجهها ، على مُستوى المنطقة ، تكمن في اتساعها الهائل كما عرفنا ، مع مسيس حاجة كل بلدةٍ بلدةٍ وقريةٍ قريةٍ منها إلى الرعاية الدينيّة ، التي تقتضي الاتصال المُباشر واليومي بالعالم الديني . ذلك ما جعل مُهمّته فيها مُهمّةً مُستحيلةً الإنجاز . فكيف يتأتّى لشخصٍ وحيدٍ ، مهما بلغ من النشاط وتنظيم العمل ، أن يفي بحاجةٍ مئات القرى والبلدات في الوقت نفسه ؟ !

على هذا فقد رأينا يهتمّ باستحضار مَنْ يُعاونه في العمل الكبير والمُح الذي ينتظره . فسعى حتى أسكن الشيخ موسى (11) ، وهو ابن أستاذه الشيخ عبد الكريم شراره ، في " الهرمل " . وهي مدينةٌ إلى الشمال من " بعلبك " . تبعُدُ عنها ستون كيلو متراً . وكان قد رجع عن قريب من " النجف " . فحصل له على منزلٍ لسُكناه ، وزوّجه من ابنته . كما سعى حتى حصل له على منصب المفتي الرسمي للمدينة ومنطقتها . ولقد كان لوجود هذا العالم البرّ التقي أحمد الأثر في تلك المنطقة الفقيرة النائية . وما يزال أهلها يذكرونه ويذكرون جهوده بينهم بكلّ تقدير .

(11) موسى بن عبد الكريم شراره (1326-1419هـ/1907-1998م) .

وُلِد في " النجف " حيث كان والده بطلب العلم . تعلم الكتابة وتلاوة القرآن العزيز في كُتّاب بلدته " بنت جبيل " . ودرس النحو على موسى مُغنيّه في بلدة " عيناتا " المُجاورة . ارتحل إلى " النجف " ، فدرس على محمد علي قبالان وعبد الكريم مُغنيّه . وأخذ علم أصول الفقه على السيّد حسين الحمّامي ، والفقه على عبد الرسول الجواهري ومحمد حسين الكيشوان . وحضر على السيّد أبو القاسم الخوئي ، الذي كان آنذاك في أوّل مراحل يروزه ، وعلى السيّد جم ال الدين الكلبايكاني . واختصّ به . ونال منه إجازةً بالاجتهاد .

في " الهرمل " اهتمّ اهتماماً عالياً بالتبليغ والارشاد . كما بنى فيها عدداً من المساجد والحسينيّات ، ومدرسةً تخرّج منها أكثر أبناء المدينة . وفيها توفي ودُفن (راجع الترجمة له في كتابنا (أعلام الشيعة) .

وفي الوقت نفسه استحضر الشيخ علي شراره ، نسيبَ الشيخ موسى ، وأسكنه في قرية " النبي أيلًا " ، غرب " بعلبك " . تبعُدُ عنها زهاء الأربعين كيلومتراً . وغني عن البيان أن الشيخ رمى من ذلك التوزيع الدقيق إلى تغطية المنطقة من ثلاثة أطرافها بمن يقوم بمهمة التبليغ والإرشاد فيها . ولكن الشيخ علي لم يثبت للصعاب ، كما ثبت نسيبه . ففقل راجعاً إلى بلده " بنت جبيل " في " جبل عامل " .

لسنا ندري هل تابع الشيخ مساعيه لاستحضار المزيد من العلماء إلى المنطقة ليتولوا معاونته في مهمة التبليغ والإرشاد ؟ أظن ذلك . وإن يكُن من المؤكّد أنه لم يخرج من مساعيه بطائل . والسببُ ، فيما أحسبُ ، هو الصورةُ التي نشرها الشيخ علي شراره في " جبل عامل " ، بعد أن رجع إلى بلده ، عن المنطقة إجمالاً ، وخشونة أهلها ، وقسوة شتاتها ، وما إلى ذلك . ولطالما حدثني ابنه المرحوم مرتضى ، وقد كان من بعدُ قائمقام " الهرمل " ثم " بعلبك " لعدة سنوات ، آخرها السنة 1986م فيما أذكر ، وكان لي جاراً أنسُ إلى أدبه وظرفه ، - أنه يحملُ صورةً قاسيةً عن المنطقة التي آل أمره إلى أن يصبح رئيس إدارتها . وذلك بسبب الأحاديث الكثيرة التي سمعها من والده ، وهو يروي للناس مراراً وتكراراً قصة تجربته في " بعلبك " . وكأنه يتحدث عن مغامرة خطيرة نجا منها بشقّ الأنفس . وإذا عرفنا أن " جبل عامل " كان المصدرَ الوحيدَ المُحتمل ، الذي يمكن أن يُستع ان رجاله في مثل ما كان الشيخ يعمل له ويرمي إليه ، لأمكننا أن نُقدّر الأثرَ السيئَ للدعاية التي نشرها الشيخ علي بحُسن نيّة في أوساط العلماء ، بحيث امتنعوا عن الانتقال إليها والسكن فيها للقيام بواجب التبليغ ، مع أنه كان أكثرَ من ضرورة في تلك المنطقة البائسة بأكثر من معنى .

مهما يكُن ، فقد استقرّ أمر التبليغ والإرشاد الديني في المنطقة ، لعدة عقود من السنين ، على النحو التالي : الشيخ موسى شراره في مدينة " الهرمل " ، مع اعتناؤه بمن يقصده من قراها الجبلية القليلة المتناثرة مُستفتياً أو مُستقضيّاً . أمّا باقي السهل الشاسع - فقد بقي على عاتق الشريخ . وهي مهمة أكثر بكثير من عسيرة . خصوصاً وأننا نعرف أنه لم يكُن ممن يُغضي أو يغضّ الطّرفَ عن نقصٍ يراه أو ضرورة يُدركها .

في سبيل معالجة المُعضل بما هو ممكن ، صرف الشيخ همته إلى السعي والحثّ على ترميم المساجد القائمة في مختلف البلدات والقرى . وقد كان عامتها في حالةٍ جيّدة سيئة . فكان يزور القرية ويحثّ أهلها على ترميم وتجهيز مسجدها ، ويمدّهم بما تحت يده . ثم يحضر افتتاحه بعد إنجاز العمل . مع حرصه على أن يمنح هذه المناسبة طابعاً احتفالياً ، يتكلّم

هو فيه بما يناسب . وقد يشاركة الكلام بعض الشبان أو غيرهم . وهذا سيفتح في القرية وفي اهتمامها بالشأن الديني روحاً جديدة . وربما يكون مقدّمةً وتمهيداً لمبادرات جديدة . وقد يُعيّن لإمامة المُصلّين والأذان في أوقاته من يرتضيه أهل القرية ، وتتوفّر فيه الشروط الشرعيّة من حيث الوثاقة وضبط الصلاة ، بالإضافة إلى شيء من التفقه في أمرها حيث يمكن . وأتذكّر من هؤلاء الأئمة المحليين الشيخ علي أبو سليمان كركبا في قرية "قصرنبا" غرب "بعلبك" ، والحاج أبو صبحي حسن إبراهيم المولى في "حربتا" إلى الشمال منها ، رحمهما الله ، إلى غيرهما وهم عديدون .

إلى ذلك ، فقد نشر حضوره الشخصي ، متنقلاً بين قرىها وبلداتها ، على الرغم من صعبه ، لنُدرة السيارات آنذاك ، فضلاً عن ضعف الإمكانيات الماليّة لديه ، بسبب فقر المنطقة . ومعلوم أن العالم الديني إنما يُنفق على شؤون عمله من الوجوه الشرعيّة . وذلك أمرٌ لم يكن آنذاك مألوفاً أو ميسوراً ، بسبب ما بسطناه من وضع المنطقة وأهلها إجمالاً . من هنا ، فإن ممّا وعته ذاكرتي من أيام الصبا ، أننا لم نكن نراه كثيراً في البيت . وكان بيته لم يكن بالنسبة إليه أكثر من محطةٍ لاستراحةٍ عابرةٍ بين سافرين .

ولقد حدّثني أحد أهل "قصرنبا" من آل الديراني حديثاً ، وصف فيه زيارات الشيخ لبلدهم . أحبّ أن أروي ما وعته ذاكرتي منه ، لِمَا فيه من عذوبةٍ وجمال . فضلاً عن أنه يرضعنا في أجواء العلاقة الحميمة التي قامت بينه وبين الناس ، قال ما مؤداه :

كان من عادته أن يأتينا في فصل الشتاء . حيث يكون أهل القرية المزارعين فارغين . وكانت بيوت القرية آنذاك تقعدُ رأس هضبةٍ عاليةٍ . أي أنها لم تكن قد امتدّت كما هي اليوم جنوباً إلى الشارع الرئيسي . وكان الوصول إليها عسيراً على طريقٍ ترابيّةٍ تمتدّ زهاء الكيلومتر ، فيه عقبةٌ كؤود ، تغدو زلقةً أيام الشتاء ، ممّا يجعل عبور السيارة مُتعدّراً . فكُنّا إذا أخطرنا الشيخ بحضوره ، هيئنا بغلاً لركوبه . وهبط رجال القرية إلى الشارع ينتظرون قدومه . فإذا جاء هبّوا لاستقباله ، وأركبوه البغل ، ومضوا به نحو القرية ، وهم يهزجون ويُنشدون أناشيداً قد هيأوها في الترحيب به والتعبير عن السرور بقدومه . وهم في حالةٍ من الحبور والفرح . وكان الراوي رحمه الله يحفظ بعض تلك الأناشيد . ولكم ندمت فيما بعد على أنني لم أسجلها .

قال ، في الأيام التي كان يُقيم فيها بيننا ، كان يغدو مركز حياةٍ لجميع أهل القرية . لا عمل لهم إلا الجلوس معه ومساءلته والاستماع إليه . الناس معه من المسجد إلى بيتٍ أو غيره .

حتى إذا أراد الرحيل عنه م ، أركبوه البغل ، ومضوا به هابطين وهم يُنشدون أناشيد في توديعه ، وأن لا يُطيلَ الغيابَ عنهم . فلذا هم وصلوا إلى الطريق العام وقف الجميع معه ، في انتظار قدوم سيارَةٍ عابرةٍ تُعيدُ الشيخَ إلى بلده .

هذا الأنموذجُ الحميم والودّيّ من العلاقة بالناس بناه حيثما حلّ . وفيما روبناه فيما فات وفيما سيأتي نماذجٌ أُخرى .

ولقد كان من أوائل الدروس التي تلقّيتها منه في هذا النطاق الأنموذجُ التالي :

كان ذلك بعد عودتي من "النجف" صيفَ السنة 1382هـ/1962م . وكنتُ جالساً في المحلّ التجاري للوالد رحمه الله . وإذا بجمعٍ صاخبٍ من الرجال والنساء يعبرُ الشارع . وما أن رأوني حتى أقبلوا نحوي مُهرولين . فظننتُ للوهلةِ الأولى أن بينهم نزاعٌ ممّا يقصدُ الناسُ علماءَ الدين من أجله مُتقاضين . وما أن استقرّ بهم المقام وبدأوا الكلام ، حتى تبين لي أن كلّ ما في الأمر أن أحدهم قد رأى مناماً ، وهم يبحثون عنّ يُؤوِّ له لهم . فما كان منّي إلا أن شرعتُ في لومهم وتبكيّتهم على هذا الاهتمام المُبالغ فيه بأمرٍ سخيفٍ كهذا . فولّوا خارجين وعلى وجوههم إماراتُ الاستغراب والاستهجان لما لقّيتهم به .

في مساءِ اليوم نفسه ، بعد أداءِ فريضتي المغرب والعشاء بإمامته في المسجد ، استدعاني الشيخُ لمرافقته إلى المنزل . وهناك فوجئتُ به يسألني ، بلهجةٍ لا تخلو من اللوم : " ماذا فعلتَ اليوم ؟ " قلتُ : " لستُ أتذكّرُ أنني فعلتُ ما يستحقُّ اللوم " . قال : " بلى . لقد جاءني أولئك الذين أتوك يطلبون تأويلَ منامٍ رأوه . وردّوا لي ما واجهتَهُم به . وكانوا في غاية الانزعاج وخيبة الأمل " . ثم حكى بإسهاب كيف قصده بعدما فارقوني ، فلصغى إليهم ، على الرغم من معرفته بأن الأمر غير ذي جدوى ، ولا يستحقُّ كلّ هذا الاهتمام . وخلصَ إلى القول ، إنك إذا لم تولهم اهتمامك في هذا ومثله ، بل وفيما هو أقلّ ، فلنهم لن يأتوك حين يجب أن يأتوا . لقد أصغيتُ إلى كلامهم بكامل الاهتمام . واستخلصتُ منه بعضَ ما ينفعم ويحسُن أن يُقالَ لهم . فخرجوا من عندي مرتاحين مُغتبطين . وهم بالتأكيد سيرجعون إليّ حين يُلجُّ بهم ما يجب أن يرجعوا به إليّ ، من أحكامٍ شرعيّةٍ وفضّ خصومات ، وما إلى ذلك . إن علينا أن نستوعب همومَ الناس ، وأن نُعاملهم على قدرِ عقولهم . وليس من حقنا أبداً أن نتعامل معهم طبقاً لما يُمليه علينا مستوانا الفكري والعلمي . وفيما حصل اليوم درسٌ لك ، أرجو أن تكون قد وعيته . وحقاً لقد كان درساً لا يُنسى في التواضع للناس ، وصبرِ النفس معهم ، ووضعِ نفعهم ومحبّتهم ورعايتهم في المقام الأوّل .

على هذا المنوال جرى في عمله التبليغي زهاء خمس عشرة سنة . غدا في نهايتها مرجع العام والخاص . وذلك إنجازاً كبيراً ، في منطقة لم تعرف من قبله عالماً دينياً ذا حضورٍ جماهيري كبير . مثلما حصل ويحصل في " جبل عامل " . وهذا مؤشّر إلى الانقلاب الجذري الذي بدأه على المستوى الاجتماعي . والحقيقة أن المنطقة إجمالاً بدأت على يديه وبجهوده توجهاتٍ جديدة ، تُعكسُ الوضعَ المُتخالفَ الذي كانت عليه ، وما أفرزه من قياداتٍ عشائريةٍ وسياسيةٍ . مضت تُوجّه الأمورَ لما فيه تثبيت حضورها وما تقضي به مصالحها . وسنتحدثُ في الفصل التالي عن جهوده لنشر التعليم فيها .

- ثالثاً : أعماله في وسط وشمال سورية

في السنة 1365هـ/1945م تخميناً ، بدأ وضع الشيعة في مدينة "حمص" وما والاها يُلفتُ انتباهه . والحقيقة أن لهؤلاء قصةً هي من خفايا التاريخ ، وفي الوقت نفسه من غرائب الثبات في أصعب الظروف . ولذلك فإننا سنروي ما نعرفه منها بإيجاز . ومن المعلوم أن المنطقة الشامية عموماً كانت ، بعد الفتح الإسلامي لها وطرُد الروم منها ، موطناً لهجراتٍ عربيةٍ كبيرة . وكانت مدينة "حمص" منزل بني حمير اليمانيين . وهؤلاء كانوا على عهد معاوية عمادَ عسكريه . ومن هنا قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ، في شطربيتٍ من الشعر منسوبٍ إليه :

عبأتُ همدانَ وعبّوا حميرا

ولكن الهجرة الهمدانية الكبرى باتجاه "الشام" ، بُعيد الع ام 41هـ/661م ، أي بُعيد ما يُسمّى بعام الجماعة ، نزلت المدينة ، فيما نزلته ، بأعدادٍ كبيرة . فُحدثتُ انقلاباً أساسياً في هويّتها المذهبية . بحيثُ تحوّلت بسرعة باتجاه التشيع . وغدتُ مدينةً شيعيةً بامتياز في العشر الثامن من القرن الأوّل للهجرة / العشر الأوّل من القرن الثامن للميلاد .

إلا أن دخول السلاجقة في الصورة السياسية للمنطقة في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد ، قلبَ الأمور من جديد باتجاهٍ مُعاكس . وأخذ الشيعة يهجرون المدينة . وفي إطار هذه الحركة السكانية نشأت عشراتٌ من القرى المعمورة بالشيعة في المنطقة شبه الصحراوية المُطيفة بها . ومن أعراف أعلام الشيعة الحمصيين في هذه المرحلة سديد محمود بن علي الحمصي (ح: 583هـ/1187م) ، الذي توفي في "الري" . وأحمد بن معقل الحمصي

(ت : 644هـ / 1246م) . وهو آخرُ فقيهٍ شيعيٍّ حمصي نعرفه . نزل " بعلبك " ، وكان له فيها أحمداً الأثر ، وتوفي ودُفن في " دمشق " (12) .

في فترة البحث كان أخلافُ شيعة " حمص " الأوائل ينزلون عدداً من القرى البائسة حول المدينة . ولم تكن قراهم أكثر من تجمعٍ من البيوت الطينية ذات الشكل الغريب . فهي بالغة الطول ضيقة جداً . وما ذلك إلا لأنها مبنيةٌ ، سقفاً وجدراناً ، بالطين المأخوذ من تراب الأرض . لافتقارهم حتى إلى الخشب الذي يمكن أن يكون دعامةً للسقف . ولذلك فإنهم يعمدون إلى إمالة الجدارين المتقابلين ، بحيث يلتقيان في أعلاه ويتشكل السقف . أما منظر القرية فهو الآخر بالغ الغرابة ، لأنها جرداء تماماً ، لا ترى فيها شجرةً واحدة ، بسبب خلوها من مصادر الماء . وأما داخل البيوت فهو لا يقلُّ غرابةً . إذ كانت مقسومةً عرضياً بحائطٍ منخفض ، يقسم البيت إلى قسمين . أحدهما لسكنى أهله ، والآخر لمواشيهم . وأما مصدر عيشهم فهو من المواشي القليلة التي يقتنونها ، إلى جانب العمل في المدينة (13) .

بدأ اهتمامُ الشيخ بهؤلاء ، على أثر قدوم اثنين من وجهاء الشيعة القليلين آنذاك في " حمص " لزيارته ، هما الحاج محمد رفيق مندو ، وكان صاحب مُحتَرَفٍ في سوق النحاسين في المدينة . والحاج نورالدين السكاف ، وكان يُديرُ محلاً تجارياً فيها . وكان الغرضُ من الزيارة دعوته لزيارة مدينتهم . وطبعاً لبيِّ الشيخُ الطلب كعادته . ثم كانت هذه الزيارة فاتحةً للاتصال بالشيعة في القرى المُجاورة ، اتصالاً استمرَّ من بعدُ عقوداً من السنين . وعبرهم بالشيعة العلويين . مما سنقف عنده في القسم الآتي من الكتاب ، إن شاء الله .

مُذ ذاك دأب الشيخُ على زيارة تلك القرى البائسة . وكان يقضي فيها الأيام ، مُتنقلاً من قريةٍ إلى قريةٍ . يُعلمهم ويشدُّ من عزيمتهم . ومن ذكريات الصبي للكاتب ، أنه عندما كان جدّه يعود من إحدى تلك الزيارات ، كان يتجنَّب الدخول إلى المنزل . بل ينفرد في إحدى غرفاته ، حيث يتحرَّرُ من ملابسه كلّها ، لتؤخذ فوراً إلى حيث تُطهَّر بالماء الغالي ، للتخلّص ممّا علق بها من صنوف الهوامِّ .

(12) للتفصيل والإسناد كتابنا : التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية " ط. بيروت

1413هـ/1992م/91 وما بعدها . وكتابنا " ستة فقهاء أبطال " ط. بيروت 1415هـ/1994م/13 وما بعدها .

(13) استقصدنا هذه المعلومات من أحد سُكان إحدى تلك القرى ، واسمها " أمّ العمّد " . وسنذكره بع د

ومع ذلك فقد كان يحمل هؤلاء تقديراً عالياً . ولطالما سمعته وسمعه غيري يُشيد ببناتهم على عقيدتهم قروناً طويلة ، على الرغم من عزلتهم الكئيبة ، وفقرهم المُدقع ، وتجاهلهم حتى من إخوانهم في العقيدة . ومن ذلك أنهم لم يخرج منهم أثناء تلك الأيام أي عالم دين ، ولم يدخل قراهم البائسة أي واحدٍ منهم . ويقول : هؤلاء ظاهرة عجيبة ، تستحق أقصى التقدير والعناية .

ولقد بادله أولئك الناس حُباً بحُبٍ وتقديراً بتقدير . وأُتيح لي بمحض الصدفة أن ألمس ما يُكنونه له من حُبٍ وتقديرٍ كبيرين . وذلك في الواقعة التالية :

في السنة 1993م تخميناً قمتُ والصدیق العزیز الشیخ محمد سالار ، المس تشار الثقافي آن ذاك للجمهورية الإس-لامية الإيرانية في "دمشق" ، بجولة في مدينة "اللاذقية" وجواره . وفي طريق العودة عرّجنا على المسجد المنسوب إلى خالد بن الوليد في "حمص" لأداء الصلاة (وهو في الحقيقة مسجد خالد بن سعيد بن العاص ، صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، والقبر الذي في المسجد قبره) . وأثناء أدائي الصلاة لاحظتُ أن رجلاً في سنّ الكهولة العالية قد جلس إلى جنبي ، وأخذ ، كلما سئمت له الفرصة ، يتفرّس بوجهي ، وكأنه يحاول بإصرار أن يعرف جليسه . ثم بدأ فحيتاني وسألني : " من أين ؟ " قلتُ : " من بعلبك " قال : " هل تعرف الشيخ سليمان ابن الشيخ حبيب رحمه الله ؟ " قلتُ : " نعم ! " . قال : " كيف هو وكيف حاله ؟ " قلتُ : " هو بخير إن شاء الله تعالى عند رب كريم . لقد توفي منذ بضع أشهر . وهو والدي " . وما أن أتممتُ كلامي حتى انكبّ على رجلي يحاول تقبيلها ، ممّا سدّ بَبّ لي بعَضَ الحَرَج . ونَبّهتُ الرجلَ إلى أن هذه الحركة غير لائقة ، خصوصاً من رجلٍ في مثل سنّه . فقال ما مؤداه : لا تلمني . فأنت قد أحبيتَ في قلبي ذكرى جدك قدس الله نفسه . لقد كان الشيخ حبيب الوحيد الذي يُعنى بنا في عزلتنا القاسية . كان يدخل بيوتنا البائسة ، ويُسأكننا فيها ، ويُشاركنا طعامنا الفقير ، وينام في فراشنا البسيط ، ويُصغي باهتمام تام إلى همومنا ، ويحثنا على إقامة الشعائر وبناء المساجد حتى لو كانت من طين ، ويرفدنا بالقليل الذي في يده . كانت زيارته مصدرَ عزاءٍ كبيرٍ لنا في تلك الأيام العصيبة التي ولّت والحمد لله . ولن ننساه وننسى فضله علينا ما حيينا . ثم جلسنا ومعنا رفيق سفرنا الشيخ سالار نتحدّث في أحوالهم الماضية والحاضرة ، وطالتُ جلستنا من بعد . ومنه أستفدتُ ما ذكرته قبل قليل على وصف قراهم ونمط حياتهم فيها .

من "حمص" وجوارها "وسط" سورية" ، تداعى اهتمام الشيخ باتجاه قريتي "الفوعة" .

و"الفوعة" قرية في شمال "سوريّة" ، غدت اليوم مدينةً أو بلدةً كبيرةً ، تابعةً لمحافظة "إدلب" بحسب التقسيمات الإدارية اليوم . لكن امتيازها الأكبر ، بالنسبة لبحثنا ، أنها أكبر تجمعٍ سُكّانيّ شيعيّ خالصٍ في المنطقة . فضلاً عن أنها ذات حضورٍ قويّ في تاريخ التشييع في وسط وشمال "سوريّة" . إليها لجأ بنو زهرة سادة "حلب" وعلماؤها وقضاتها ونقباؤها ، بعد أن حال أمرُ الشيعة والتشييع في مدينتهم . وفيها عاش عددٌ من أعلام هذه الأسرة في القرنين السادس والسابع للهجرة / الثاني والثالث عشر للميلاد . فأصابت بوجوده م فيها لحظة عزٍ لم تطل .

في فترة البحث ، كانت "الفوعة" قريةً تستقرّ في وسطٍ زراعيّ خصيبٍ ومُنتج . من هنا فقد كانت حال أهلها أفضل بكثير من حال إخوانهم في جوار "حمص" . ولكنهم كانوا مثلهم يشكون من خلوّ بلدتهم من عالم دين يتولّى توجيههم وإرشادهم . على الرغم من تاريخها العريق في التشييع . وآخر عالمٍ ديني منهم نعرفه هو الشيخ تقي شمس الدين الفوعي ، تلميذ الشيخ حسين زغيب اليونيني (ت : 1294هـ/1877م) .

ولقد دأب الشيخ ، كلما كان في "حمص" وجوارها ، على زيارة القرية ليملك فيها مدةً تطول أو تقصر . حيث يرضى بحضوره الشخصي ما يُمكن من شؤون أهلها الدينيّة . على عادته التي جرى عليها ، والتي أصبح القارئ على خُبرٍ بها . ولذلك فإننا ننفهم اهتمامه بأن يكون للقرية عالمها الدينيّ المُقيم .

ولقد رأينا فيما فات كيف عالج حالةً مُماثلةً ، هي حالة مدينة "الهرمل" ، بأن استحضر إليها عالماً دينياً من "جبل عامل" وأسكنه فيها . وبذل له كلّ ما يُمكنه ، لتيسير إقامته فيها . ولكنه في حالة "الفوعة" اعتمد حلاً مُختلفاً . ربما لتعذر الحصول على مَنْ يرضى الإقامة في هذه القرية البعيدة . وذلك بأن تولّى بنفسه تدريس مَنْ وجد فيه الأهليّة والاستعداد من أبنائها ، إعداداً له ليستد حاجة بلده . وهكذا استحضر الشيخ جواد السّتّ رحمه الله إلى "بعلبك" ، وأسكنه في قسمٍ مُلحقٍ ببيته . وبدأ إعدادها بما هو دخیلٌ في الحدّ الضروري من وظيفة الفقيه .

كان الشيخ جواد أديباً وشاعراً مُجيداً ، إلى نكاهٍ وورعٍ وتقوى . ولكنه كان يشكو من ضعفٍ مُزمنٍ في عينيه . وكان حينما قدم إلى "بعلبك" سنة 1367هـ/1948م في حوالى الخامسة والعشرين (وُلد 1341هـ/1922م) . وإنّي لأذكره مُقتعداً زاويةً بعينها من زوايا البيت ، لا يبرحها إلا لضرورةٍ أو فريضةٍ . ولا تراه إلا ويديه كتابٌ درسه ، غير بعيدٍ عن

وجهه إلا بمقدار أصابع مع دودات. وهو يُحرّكه أمام عينيه الضعيفتين جيئةً وذهوباً ، في حركة ثابتة لا تريم ، بحيث يحسبها الوائي آليّة . وكأنه كان يصدرُ فيما تفوّغ له عن شعور قويّ بالمهمّة الجليّة التي تنتظره في بلده .

وقد ذكره أستاذه في كتابه (الإسلام في معارفه وفنونه) ذكراً جميلاً . وأثبت له

قصيدةً في مدحه (14)

المهمّ أنه بعد سنةٍ أو يزيدُ قليلاً ، اصطحبه الشيخُ إلى قريته ، حيث زكّاه لأهلها إماماً لمسجدهم وناقلاً لفتوى مرجعهم . وقد ثابو على ذلك حتى وفاته رحمه الله سنة 1424هـ / 2003 م ، بعد أن أضرّ عدّة سنوات .

- رابعاً : في الساحل السوري وما والاه -

أثناء تلك الجولات في وسطٍ وشمالٍ سوريّة ، بدأت أوضاعُ الشيعة المعروفين بالعلويين تُلفتُ انتباهه . والظاهر أن أوّل اتصالٍ له بهم قد حصل مع من ينزلُ منهم أطرافَ "حمص" و "حمّاه" في السنة 1365هـ / 1945م تقريباً . ثم بدأ من بعدُ يزورهم في معاقلم التاريخيّة في التلال والجبال المُسامتة للساحل السوري . والعلويّون جماعاتٌ كبيرة ، تنتشر ، فضلاً عمّا ذكرناه ، في نواحي "طرابلس" ، من شمال "البنان" . ومن الجهة الأخرى في "الجزيرة الفرانيّة" و "الأناضول" إلى قلب "تركيّة" ، وصولاً إلى "ألبانيا" . ويبلغ عديدهم في هذه جميعها زهاء الثلاثين مليوناً . وهم يُعرفون في "تركيّة" و "ألبانيا" بالبكتاشيين ، نسبةً إلى محمد بن إبراهيم بن موسى الخراساني (ح : أواسط القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد) ، الأكثر شهرةً بين الأتراك والفرس بلقبه (حاجي بكتاش) . وممّا لا ريب فيه أن هذين الاسميّن ، العلويّون والبكتاشيّون ، هما اسمان حادثان . نُقدّر أنّهما لم ينشأ إلا في القرن السابع للهجرة . وأنهم جميعاً لم يكونوا يُعرفون من قبلُ إلا باسم الشيعة . كما أن ممّا لا ريب فيه ، أن هؤلاء جميعاً هم استمرارٌ للانتشار الشيعي الكبير الذي حصل في شمال "سوريّة" وفي "الجزيرة" . ونهضت على قاعدته عدّة إماراتٍ : بنو حمّدان في "الموصل" و "حلب" (317-399هـ /

929-1008م) ، وبنو مرداس في "حلب" (415-472 هـ / 1024-1079 م) ، وبنو عُقيل في "الجزيرة" ثم في "حلب" (380-486 هـ / 990-1093م) . وكلّ هؤلاء كانوا من الشيعة . إلا أن القاعدة الشيعية الواسعة التي قامت عليها تلك الإمارات ، لم تنجح في أو لم تُحافظ على الاتصال الفكري بالمرکز العلميّة الشيعية في "العراق" ، كما حصل لفترة في "حلب" و "طرابلس" ، ثم كما حصل وتنبّت على أيدي أجيالٍ من كبار العلماء في "جبل عامل" . وذلك الفشل إنما يرجع إلى التطوّرات السياسيّة التي تسارعت من بعدُ . وكانت كلّها في غير صالح التشييع . فانعزلوا في أوطانهم القصية . وهذا ، بالإضافة إلى عوامل أُخرى يطول الكلام بالوقوف عليها ، هو الطّرف النموذجي لانحدار الممارسة الدينيّة ، تحت وطأة التهميش السياسي والعزلة المكانية .

في فترة البحث ، كان العلويّون في "سورية" على هامش المجتمع السوري بكلّ المعاني . محرومين أو يكادون من الحقوق السياسيّة . وخارج كلّ أُطر تداول السُلطة . فكأنهم كانوا لا يزالون تحت الحكم العثماني . الذي يعرف القارئ كيف تعامل مع الشيعة في المناطق الخاضعة له . وذلك على الرغم ممّا بذلوه من تضحياتٍ جسام ، في سبيل تحرير وطنهم من الاحتلال الفرنسيّ المُقتنع بالانتداب (15) .

بتاريخ 24 ربيع الأوّل 1365هـ / 1945م خطّ الشيخ عبد اللطيف إبراهيم رحمه الله ، وهو من معارف شيوخ شيعة أهل البيت (عليهم السلام) المعروفين باسم العلويين ، فضلاً عن أنه شاعرٌ أديب ، - رسالةً رقيقةً للشيخ ، افتتحها ببيتين من الشعر ، قال فيهما :
سلامٌ ، وهل يُجدي المَشوقَ سلامٌ إذا ما تئاءت أربُعٌ وخيامٌ
وصادقٌ ودّي في فؤادي أصونه وقد ضاق في التعبير عنه كلامٌ
ثم ذكر أنه اطّلع على كتبيّ الشيخ (الحقائق) و(سبيل المؤمنين) ، وأُعجبَ بما فيهما من " روح خرةٍ كبيرةٍ تشعّ بأنوار الحكمة " . ووجهَ إليه عدداً من الأسئلة ، طالباً منه الإجابة عنها .

وفي الجواب كتب له الشيخُ عدّة أبياتٍ ، على الرّويّ نفسه ، قال فيهما :
عليك سلامٌ الله ما هبّت الصّبا وغردّ فوق الرّقمتيّن حمّامٌ

(15) انظر على المعارك التي خاضوها مع المُحتلّين الفرنسيين طوال ثلاث سنوات وسجّلوا فيها

صفحات عزّ : د. عبد اللطيف اليونس : "ثورة الشيخ صالح العلي" ، ط. دمشق 2005 م .

بلى ليس يُجدي الشائقين سلامهم (إذا ما تناءت أربع وخيام)
ولكنه الوجد المبرح في الحشى وسيماه هل إلا ثنى وسلام
ولقيا قلوب قد تناءت جسومها ولم ينأ عنها مربع ومقام
فباتت تناجيكم بنور صفائها ويُفصح عنها منطق وكلام
لئن صنت حبي مدة وكتمته فهل يبق مكتوماً هوى وهيام

ثم أتبعها بقوله : " لقد ذُكرت لي في حمص . وكم كنت حريصاً على أن أراك . ولكنها الأيام تحول بين المرء وسعادته " . ومن هنا قلنا قبل قليل ، أن صلته بالعلويين بدأت في هذه المدينة . ثم أجاب عن أسئلته سؤالاً سؤالاً ، موزعة على أعدادٍ تاليةٍ من كتابه (الإسلام في معارفه وفنونه) (16) .

أعتقد أن هاتين الرسالتين المتبادلتين وثيقتان تاريخيتان بمعنى من المعاني . وذلك نظراً إلى ما سيطرتب عليهما في المستقبل غير البعيد ، كما سنرى فيما سيأتي إن شاء الله . لقد كاننا فاتحةً لصلةٍ حميمةٍ وطويلةٍ بين الشيخين ، انداحت بسرعةٍ في الوسط العلوي . فكان الجميع يتحركون ، بوعيٍ تاريخيٍّ خارق ، باتجاه إعادة اللحمة إلى ما فصمته عوادي الزمان . يشهد على ذلك اللغة الحميمة التي تبادلها الشيخان في رسالتيهما ، مع أن كلا منهما يُخاطب صاحبه للمرة الأولى دون أن يكون قد رآه .

وفي سبيل استكمال هذه الصورة ، أَدعو القارئ إلى التمعّن في مشاهد أربعة توالى بحيث أدت إلى ما رأينا وسنراه عن قريب إن شاء الله : مشهد الشيخ حبيب وهو يلتقي بجمعٍ من العلويين في " حمص " . فمشهد ثانٍ غير مذكور ولكن لا بُدّ من فرضه ، وهـ . و نقلت هؤلاء انطباعهم عن اللقاء وصاحبه إلى شيخهم الشيخ عبد اللطيف . ثم مبادرة هذا فوراً إلى كتابة تلك الرسالة الدافئة الحميمة إلى الشيخ . وأخيراً ردّ الشيخ تحيته بمثلها أو بالأحرى بأحسن منها . فكان النفوس في تلك المشاهد كانت في أفضل حالات التهيؤ والاستعداد لتنفيذ برنامجٍ موضوع ، كأنما جرى التفاهم عليه سبقاً وسلفاً . ومن هنا فإنني أظن أن الأسئلة الكثيرة التي تضمّنتها رسالة الشيخ عبد اللطيف لم تكن إلا من قبيل التعلّة ليس أكثر ، والمقصود أصل الرسالة والتراسل بوصفه باباً لتواصلٍ أقرب وأجدي . يشهد على

(16) الإسلام في معارفه وفنونه ، ط. مطبعة العرفان 1367هـ/ 1948م ، السنة الأولى ، الجزء الثاني

ذلك أن تلك الأسئلة ، على كثرتها ، بسيطة جداً ، يعرف الجواب عنها أيُّ مُتَفَقِّه . وما من شكٍ عندنا أن السائل كان يعرفها .

وعلى الرغم من هذه المُؤَمِّمة الواعدة ، وما أفصحت عنه من أشواقٍ عن الطرفَيْن إلى لقاءٍ قريب . وعلى الرغم أيضاً من اهتمام الشيخ البالغ بموضوعها ، - فإنه سيكون علينا أن ننتظر بضع سنين قبل أن نبدأ برؤية نتائجها العمليّة . وما ذلك إلا بسبب الوضع السياسي البالغ الاضطراب ، الذي كانت المنطقة برمتها واقعةً تحت تأثيره .

فمن المعلوم أن الحرب العامّة ، المعروفة باسم الحرب العالميّة الثانية ، قد انجلت عن وضع "سوريّة" و"لبنان" تحت الانتداب الفرنسي . وما هذا الذي سمّوه "الانتداب" (17) إلا لونٌ من ألوان النفاق الغربيّ . الذي غطى دائماً مطامعه ، بوضعها تحت عناوين بريئة . وهاهو بهذا الاسم يُغطّي الاحتلال ونواياه غير الخفيّة في مُتابعه ما كان قد بدأه قبل عدّة عقود ، من الإمعان في تفتيت المنطقة إلى كياناتٍ سياسيّةٍ صغيرةٍ ضعيفةٍ ، على قاعدة مُكوّنها الدينيّة والمذهبيّة . مُؤَمِّمةً لإخضاعها لمقاصده . ومنها ، وربما على رأسها ، تمكّين الحركة الصهيونيّة من إقامة دولةٍ لليهود في "فلسطين" ، بغياب قوّةٍ سياسيّةٍ قادرة . ومن ذلك الإمعان إقامة دولةٍ علويّةٍ تكون عاصمتها "اللاذقيّة" . ولكن هذا المشروع فشل فشلاً ذريعاً ، بفضل الانتفاضات الشعبيّة التي عمّت "سوريّة" . ومنها الانتفاضة التي قادها وحمل لؤها البطل العلويّ الشيخ صالح العلي .

في ظلّ هذا الوضع المُعقّد المُضطرب كان من غير المعقول القيام بأيّ ما من شأنه النهوض بالجماعات العلويّة ، المنتشرة في المحافظات السوريّة الثلاث "حمص" و"حماة" و"اللاذقيّة" ، فضلاً عمّن يُقيم منهم في محافظة "طرابلس" اللبنانيّة . وعلى هذا فقد تلبّث الشيخ صابراً زهاء خمس سنوات ، مُنتظراً جلاء الاحتلال الفرنسي . قاصراً نشاطه أثناءها على زياراتٍ ومُراسلاتٍ لبعض مُتقفيهم والبارزين منهم (18) . على أن هذا التلبّث لم يذهب

(17) الكلمة ترجمةٌ لـ Manda الفرنسية : انتداب . والمقصود منح دولةٍ أجنبيّةٍ سُلطةً بانتدابٍ من قِبَلِ عصابة الأُمم ، لوضع خبراتها في خدمة دولةٍ ضعيفةٍ ، مُساعدةً لها مؤقتاً على تسيير أمورها .
 (18) ذكر ذلك ، تحت عنوانٍ يُفصّل عن وعيه العميق على تاريخيّة خطواته المُتأنيّة ، في كتابه المُتسلسل "الإسلام في معارفه وفنونه" ، السنة الرابعة : 1 / 89 . ونماذج عن مُراسلاته الكثيرة تلك في المصدر نفسه ، السنة الثانية / 171 و244 و378 و379 وغيرها كثير .

هباءً . ففي أثناء هاتيك السنوات وتثق علاقاته الشخصية بعدد كبير من أب - رزمشايخ العلويين ، ممن سنأتي على ذكرهم وأدوارهم في مطاوي الكلام الآتي . كما بنى صداقةً متينةً مع سليل أمراء "ظفار" ونزيل "اللاذقية" الشريف عبد الله الفضل الحسني . وهي صداقةٌ سيكون لها أحمداً الأثر بعد قليل . ذلك أنها منحت هـ ذا الرجل النبيل والنشيط فرصة بناء شبكة علاقاتٍ جديدة ، وصلت إلى "النجف" ومرجعها الأكبر أن ذلك السيد محسن الحكيم رحمت الله عليه . كما أنها منحت الشيخ قاعدةً للعمل في مدينة "اللاذقية" ، كان يفتقر إليها أشد الافتقار . ومُذ ذلك غدا بيت الشريف فيها مركزاً للقاءات والتداول والتخطيط والانطلاق .

أ - البعثة الدراسية العلوية إلى النجف

كان من أول استثمارات الشيخ لشبكة علاقاته الجديدة والواسعة ، التي مركزها علاقته بالشريف عبد الله في "اللاذقية" والشيخ عبد اللطيف إبراهيم في "صافيتا" ، أن دعا وسعى إلى تنظيم إرسال بعثةٍ من الشبان العلويين للدراسة في "النجف" . ليتولوا شؤون الإرشاد الديني في قومهم إذا رجعوا إليهم .

ولقد لاحظت باستغراب كبير بادي الرأي ، أنه تجنّب الإشارة إلى كل ما له أدنى علاقةً بهذه البعثة ، على صفحات أعداد السنة الأولى من كتابه المتسلسل "الإسلام في معارفه وفنونه" . التي صدرت في شهور سنة 1367 هـ / 1948 م . أي في الوقت الذي كان العمل قائماً على ق دمٍ وساق في هذا السبيل : مُراسلات مع المرجع السيد محسن الحكيم في "النجف" ، لاستقبال أفراد البعثة ، وتأمين إقامتهم ونفقاتهم ودراساتهم . واتصالات مع الراغبين بالدراسة ، لترتيب شؤون سفرهم . خصوصاً وأن عامتهم كانوا في سنّ الجنديّة الإلزامية ، حيث تمنع القوانين سفرهم إلى الخارج إلا بعد إيداع مبلغٍ نقدي كبير في خزينة الدولة . وأن أكثرهم كان عاجزاً حتى عن تأمين نفقات السفر الزهيدة . فضلاً عن مختلف نفقاته الأخرى . هذه الأعمال كلّها كان يتولاها الشيخ بمعونة صديقيه بهدوءٍ وصمتٍ ، يبلغ حدّ التكتّم . بمقدار ما يمكن لعمل كهذا أن يتم تحت ستار من الكتمان .

تجنّب الشيخ الإشارة إلى كلّ ذلك على صفحات "الإسلام" على كثرتهم وأهميتهم . مع أن فكرة إصدار الكتاب لم تكن إلا لمواكبة أعماله مواكبة إعلامية ، كما نقول اليوم . ونحسب أنّ هذا الكتمان ، أو فلنقل سياسة الحد الأدنى من الضجيج ، كان مقصوداً . ذلك لأنه لم يكن من المقدر معرفة وضبط ردود الفعل على خطوة كبيرة كهذه . لكان بناءً

علاقة بهذا الحجم بين الجسم العلويّ ، الذي فقدَ الاتصال بالجسم الشيعي خارجَ المنطقة الشاميّة منذ قرون ، وبين المركز الشيعي الأول في العالم ، أعني " النجف " ، حدثاً انقلابياً بكلّ ما للكلمة من معنى . نعرفُ من سوابق تاريخيّةٍ مُماثلةٍ تأثيرَ ها الهائل على مُختلف الصُعد : فكريّةٍ وثقافيةٍ واجتماعيّةٍ وسياسيّةٍ . ممّا كان من المستحيل تقديره سلفاً ، وأيضاً تقدير ردّ الفعل على الخطوة ، داخلَ الجسم العلوي وخارجه . ولذلك فقد كان من الحكمة تمريره بأقلّ قدرٍ ممكن من العلنيّة .

إن أوّل إشارةٍ على صفحات "الإسلام" إلى وجود بعثةٍ دراسيّةٍ علويّةٍ في "النجف" وردت في العدد الرابع من السنة الثانية ، الذي صدر في شهر ربيع الثاني 1368هـ / شباط 1949م . وذلك تحت عنوان "طلائع البُشرى بنجاح البعثة العلويّة في النجف" (19) . وهو عنوانٌ يشي بأنّ نجاحَ هذه البعثة كان موضع قلقِ الشيخ وأعوانه . ولذلك فإنه م رَأوا في ورودِ رسالةٍ من أوّل أعضائها ليس بُشرى كاملة ، بل " طليعة بُشرى " . أي أن عليهم أن ينتظروا مثلها كي يطمئنوا إلى نجاح ما عملوا له . ولم تكُن "الطليعة" إلا تلك الرسالة ، التي سنقتبسُ نصّها فيما يلي مع مقدمتها :

" تقدّمتُ من الشعب العلويّ الناهض بإرسال بعثةٍ علميّةٍ إلى النجف فأجابني " .

" ورغبتُ إلى السيّد الإمام حجة الإسلام مرجع الشيعة السيّد المحسن الحكيم بأن يقوم بنفقة البعثة فأجابني . وعيّن لكل فردٍ من أفراد البعثة مُنفرداً بنفسه أربعة دنائير . ما عدا جراية الخبز مقدار كفايته " .

" وهذا كتابٌ من أ حد أفراد البعثة يخبرني عن

نجاحه :

فضيلة العلامة الشيخ حبيب آل إبراهيم المحترم سيدي إن حُسن دعاكم ونظركم عليّ جعل فيّ روحاً طيبةً مُحبّة للخير والعمل الصالح . وكل هذا من بركتكم وفضل ربي . وأرجوه تعالى أن يمدّ بعمرنا علنا نخدمكم ،

ونؤدّي واجباً شخصياً نحوكم . ونحمل رسالة دينية أنزلها الله على عباده ليتقوا . وإنني ياسيدي أَعِدُّ نفسي لأكون من المجاهدين في سبيل الدين الإسلامي ، وبثّ الروح في الجبل العلويّ . وأظنُّ أن مفتاح النور لقلبي كان من فضيلتكم . فإنني أتقدّم برسالتي هذه راجياً المولى أن يُدِيمكم ويحفظكم عموداً للإسلام ، وضواً مُنيراً لكي يهتدي الناسُ به . وتقبّلوا فائق الاحترام . راجياً دُعاك سيدي " .

النجف 1949 /2/4 الفقير

محسن عيد العلوي "

فأنت ترى في هذه الرسالة ، التي خطّها أولُ أعضاء البعثة العلوية وصولاً واستقراراً في "النجف" ، روحاً عذبةً ، طافحةً بنفسِ رساليّ . فكأنك أمام داعيةٍ ممتلئٍ حماساً لليوم الذي يُعدُّ نفسه له ليكون " من المجاهدين في سبيل الدين الإسلاميّ ، وبثّ هذه الروح في الجبل العلويّ " . وتلك نقلةٌ كبيرةٌ من ثقافة السرِّ إلى ثقافة الدعوة . ونحن نعرفُ أن ثقافة السرِّ نمتْ وازدهرتْ في ظلّ الخوف والاضطهاد . هكذا ، فعندما يتحوّل كاتمُ السرِّ ، المُنطوي على نفسه ، إلى حامل دعوة يُبادرُ مُبادرةً إلى إيصالها ، فهذا يعني أن حاجزَ الخوفِ قد سقط ، وأن عُقْدَةً تاريخيةً مُزمنةً قد انحلت . وما ذلك إلا بفضل التواصلِ مع "النجف" ، إن على مُستوى الرّمز ، وإن على مُستوى الفعل ، اللذين يلتقيان في ما للمدينة العريقة من موقعٍ معنويٍّ وإعداديٍّ . ولكم يُحزننا اليوم أن نرى أن حاملَ هذه الروح الجديدة الوثابة لم يُتَح له أن يُحقّق صرّوةً نفسه ، فيكون " من المجاهدين في سبيل الدين الإسلاميّ " . بل انكفأ عائداً إلى بلده خائبَ الأمل ، ثمّ لما فعل كثيرون غ يره من رُصفائه - وأسفاه - بسبب ما لقيه ولقوه من بعض "النجف" ، ممّا سنقفُ عليه بعد قليل .

المهمّ الآن أن العملَ في سبيل إعدادِ بعثةٍ ممكنةٍ قد تتابع . وذلك بالتعاون بين الشيخ والسيد الحكيم والشريف عبد الله والشيخ عبد اللطيف . ومن وثائق هذه المرحلة الرسالة التي خطّها الشيخُ عبد اللطيف للشيخ ، وهذا نصّها :

" بسم الله وله الحمد والمجد .

عن صافيتا 24 ربيع الآخر 1368

سماحة العلامة الجليل أساتذنا الشيخ حبيب آل

إبراهيم أدام الله فضله عليه .

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم وعلى من لديكم

أهل الولاية والإخلاص .

وبعد فقد تشرّفتُ بكتابتكم المؤرخ 1968/3/25

وفيه تذكرونا بخصوص الطالبين اللذين كنتُ كتبتُ

عنهما لسماحتكم من قبل . ثم تتابعتُ ظروفًا قاسيةً

فأمهلنا وأهملنا الكتابة بهذا الصدد حتى ورود كتابكم

الكريم .

لم يكذُ يُداعُ خبرُ البعثة العلمية النجفية حتى

راجعنا طلابٌ كثيرون ، يمكن أن نختارَ منهم أربعةً أو

خمسةً أشخاص ، أغلبهم لا يملكون نفقة السفر ،

ويخافون أن تطلب الحكومة منهم تأميناً مبلغ ألفي ليرة

سورية إذا باشرُوا بإجراء المعاملة ، ليكون هـ ذا المبلغ

بدلاً عن خدمتهم العسكرية . فلا بأس بتكليف سيدنا الإمام

المُحسن أطل الله بقاءه بأن يكتب لأولي الأمر بتسهيل

معاملتهم وإنهائها بحال السرعة . فتكرّموا بالمساعدة ،

وعرفونا عما يلزم .

وختاماً تفضلوا بقبول أسمى تحياتنا وأنبئ عواطفنا

وأحرّ أشواقنا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . من

الصفّي الوفيّ

المخلص

عبد اللطيف إبراهيم (20)

ثم أورد أسماء أربعة من الراغبين بالانضمام إلى البعثة العتيدة . والذي أراه أن أهم ما في الرسالة هو هذا الاهتمام البالغ بالأمر من الشيخ عبد اللطيف ، بما له من موقع عالٍ وكلمة مسموعة بين قومه ، بحيث يتابعه بنفسه ، مُراسلاً ، ومُتلقياً لطلبات الراغبين ، كما يقترح حلولاً لما يواجهونه من صعوبات . وكل ذلك ذو مغزى كبير وغير خفي ، يمكن إلحاقه بما علّقنا به على رسالة السيّد محسن عيد قبل قليل . كما نذكر أن الشيخ تلقى في السنة نفسها رسالتين من شخصين يطلبان الانضمام إلى البعثة (21) . كما تلقى رسالة من غيرهما بعد سنتين بالمعنى نفسه (22) . ورابعةً في السنة 1371هـ/1951م (23) من الطالب الوحيد الذي ثبت على خطّة التحصيل في " النجف " ، وتخرّج منها . ولكنه لم يرجع إلى قومه ، بل أثار الاستقرارَ في " بيروت " ، حيث ما يزال .

أفضتُ في ذكر هذه المُلابسات ، مع أنها قد تبدو غير ذات كبير شأنٍ لقارئٍ مُتعلّجٍ ، لِمَا أراه فيها من دلالةٍ ، لا تظهرُ للمتأمّل إلا بالنظر إليها بنظرةٍ شاملةٍ ، ككلِّ نتيجةٍ إحصائيةٍ .

فنحن إذا نظرنا إليها باعتبار مواطن الطلاب الأصليّة ، رأينا أنهم ينتمون إلى -ى كافة بلدان الساحل والجلب العلويين : " جبلة " و " طرطوس " و " مصياف " و " اللاذقية " . أي أن هذه الحركة باتجاه " النجف " لم تكن بالصغيرة . بل كانت عارمةً ، تُنبئ عن أشواقٍ كامنةٍ لدى جمهورٍ واسع ، تلتقي مع رؤية الشيخ لضرورة البعثة ، حين دعا وسعى إليها . لم يكن عليها لتكشف عن مكنونها ، إلا أن يأتي مَنْ يُحرّكها إلى موقع الفعل . فرآها الشيخ بنظرته الثاقبة ، ولم يكن عليه إلا أن يفتح لها الباب .

وأما إذا نظرنا إليها باعتبار زمان استمرارها ، فسنرى أن تواتر الإقبال على طلب الانضمام إلى البعثة من الشبان العلويين قد تتابعَ زهاء السنتين 1368-1369هـ/ 1948-1949م . معنى ذلك ومغزاه أنه لم يكن فوراً مؤقتةً ، مرهونةً بظرفٍ ما . وهذه ملاحظةٌ تلتقي مع ما استفدناه من المنظور المكاني .

مهما يكنُ فإن هذه الحركة قد تمخّضت عن تسعة طلابٍ ، استقرّ بهم المقام في

(21) الإسلام . . . السنة الثانية 490 و 559 .

(22) نفسه ، السنة الرابعة / 115 .

(23) أيضاً السنة الخامسة / 584 .

" النجف " ، حيث انصرفوا لإعداد أنفسهم لليوم الذي يرجعون فيه إلى قومهم ، فيكونون مُبَلِّغِينَ ومُرشِدِينَ ومُصَلِحِينَ .

أعضاء البعثة في " النجف "



(الصف الأمامي من يمين الصورة) : الشيخ سليمان آل إبراهيم (وهو الوالد رحمه الله ، أرسله والده الشيخ إلى " النجف " لكشف أحوالهم ، فكان من بركة هذه الرحلة هذه الصورة التاريخية) ، السيد سليمان أحمد خضر ، السيد محسن يوسف عيد ، السيد عبد العزيز الفاطمي ، الشيخ أحمد زكي تفاحة .
(الصف الثاني من اليمين) : الشيخ سليم عباس ، الشيخ سليمان صالح عبد الله ، الشيخ علي أحمد صالح ، الشيخ صالح ميهوب ، الشيخ إبراهيم حسن .

من الغني عن البيان ، أن الشيخ كان في غاية الرضى لهذه النتيجة الباهرة . وقد سجّل سروره البالغ بما آلت إليه مساعيه بكلمات مؤثرة على صفحات كتابه " الإسلام في معارفه وفنونه " (24) . فها هو الآن يرى أن ما سعى إليه في هذا النطاق قد تكلل بالنجاح على أفضل ما يمكن . وما من ريب في أنه تطلّع إلى اليوم الذي يرى فيه هذه الطليعة قد رجعت إلى وطنها ، وانتشر أفرادها في القرى والبلدان مُعَلِّمِينَ ومُرشِدِينَ . أي أن المسألة فيما بقي ليست إلا مسألة وقت . مثل امرئٍ زرع ونما زرعه ، وها هو يجراه

وقد استوى على سُوقِهِ ، وليس عليه إلا أن ينتظرَ يُنوعَهُ وأوانَ قطافه .
غير أن الأيام كانت تُضمِرُ له ولأولئك الطلاب غيرَ ما وعدتْ به . فبينما كان
الشيخُ يُعدُّ العُدَّةَ لتسفير أحدِ الطلاب ، وفي هذا السبيل حرَّرَ رسالةً للشريف عبد الله
يُذكره فيها ببعض شؤون الطلاب ، مَنْ كان منهم قد استقرَّ به المقام في " النجف " ، ومَنْ
كان يتهيأ للسفر ، - بدأتْ الأخبارُ تتوالى عن أفراد البعثة بما لا يُسرُّ ، من صعوباتٍ بدأتْ
تظهر هنا وهناك ، ممَّا جعل مصير البعثة إجمالاً موضع تساؤلاتٍ مُقلقة . ومن ذلك أن
السيد الحكيم بدأ يعتذر عن رعاية الطلبة القادمين بمثلما رعى به أوائلهم . شاكياً ثَقُلَ
العبء الذي حَمَله في هذا . وأخذ يُطالب بأن يحمل الطلبة القادمون معهم ما يحتاجون إليه
من أثاثٍ ومِيتاعٍ وألبسةٍ أو ثمنها . بل أنه كتب يعتذر فجأةً عن التقديمات المعتادة لأحد
الطلاب أسوةً بمن سبقوه ، وهو قدم " النجف " حاملاً رسالةً من الشـريف ، بحجَّةٍ " أن
السابقين لم يكونوا كما ينبغي لهم ، وأن الناحية الاقتصادية اليومَ غيرها بالأمس " وختم رسالته
بإعلانٍ في غاية الخطورة ، قال فيه :

" [.] والآن إذا جاء طالبٌ منهم تكون

مسؤوليته على نفسه ويستعينُ بأهله ، كما يطلب العلم في
سائر المدارس . نعم ، نحن نرعاهُ على المُتعارف ،
ونشجعه بما عودَنا عليه ، ونصله في وقت السَّعة كما
نصلُ سائر الطلاب . بل نُفضله ، لكن من غير تعهّد .
وكلما بدا نجاحه وظهر إخلاصه وتفوقه زادت العنايةُ به
والالتفاتُ عليه . فمَنْ أحبَّ أن يجي للنجف ونفقاته عليه
فأهلاً به . ونحن كما قلنا نرعاهُ ونساعدهُ بما تيسر إن
وجدناه أهلاً ومحلاً . وإننا نرجو أن تتلطفوا ببيان هذا
الأمر وإفهامه لهم " (25) .

كان هذا الكلام بمثابة إعلانٍ بالتنصُّل من كل مسؤوليةٍ خاصةٍ تجاه أفراد
البعثة العلويَّة. وإن قوله : " والآن إذا جاء طالبٌ منهم تكون مسؤوليته على نفسه ويستعينُ بأهله " .

(25) انظر صورة المقطع المُقتبس من الرسالة في الصفحة التالية .

والآن اذا جاء طالب منهم تلوت مسئولية على نفسه ويستعين
 به كما يطلب العلم في سائر الدرس نعم نحن نرعاكم على المتعارفين
 ونشجعهم باعودنا طلابنا عليه وننقله في وقت السمت كما نقل سائر
 الطلاب بل نفضلهم لكن من غير تعهد وكلما بدأ نجاحه ونظر اخلاصه
 وتفوقه زادت العناية به والالتفات عليه فمن احب ان ينجح فيجب
 ونفقاته عليه فاهلاً به ونحن كما قلنا نرعاكم وسناعدكم بما تيسر ان
 وجدناه اهلاً ومجلاً واننا نرجو ان تتلطفوا ببيان هذا الامر
 وافزاهم لهم وثقوا اننا لانزال نرعوكم ونكبر جهودكم وجزل دكم
 وان احواننا العالميين يحملون لكم الاخلاص والولاء وهم يعطون
 مقامكم ومنهم للعلامة الشيخ محمد تقي آل الفقيه فانه يهديهم سلامه ويقدم
 لكم احترامه والسلام عليهم ورحمة وبركاته
 ١٣٦٩ هـ
 ٣ رجب
 الطباطبائي
 الحكيم



- السطور الأخيرة من رسالة السيد الحكيم رحمات الله عليه . وهي طويلة تغطي صفتين . وتدور كلها على البعثة العلوية وسياسته الجديدة تجاهها . وقد رأينا أن ننشر هذا القسم فقط ، لأن ما سبقه يذكر أشخاصاً بأسمائهم ، بعضهم ممن توفي ، وبعضهم الآخر لم نتمكن من الاتصال بهم لاستئذانهم بالنشر . وعلى كل حال ، فهذا الذي نشرناه يلخص كل ما سبقه .

و : " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَجِيءَ إِلَى النَجْفِ وَنَفَقَاتِهِ عَلَيْهِ فَأَهْلًا بِهِ " لم يَكُنْ إِلَّا تَكْلِيفًا بِغَيْرِ الْمَقْدُورِ . فكأنه بذلك يُعلن أنه لا يرغبُ بِقُدُومِ المَزِيدِ مِنْهُمْ . وذلك نظرًا للحالةِ الشديدةِ البؤسِ للمجتمعِ الذي قدموا منه . بحيثُ أنَّ أحدهم كان يعجزُ عن نفقةِ سفره ، كما عرفنا ممَّا فات . فكيف يُكَلِّفُ بما هو أكثرُ بكثيرٍ؟! !

ما من شكٍ لدينا في أن هذا الموقفَ الانقلابي من السيّد الحكيمِ رحماتِ الله تعالى عليه ، وهو الذي نعرف أنه تحلّى بأرفعِ الصفات ، حكمةً وغيرةً وبعُدَ نظر ، كان نتيجةً تضليلٍ لا نعرفُ مصدره ، أدّى إلى سوءِ تقديرٍ مُرعبٍ . سوءَ تقديرٍ للمجتمعِ البالغِ البؤسِ الذي قدم منه أولئك الطلاب . سوءَ تقديرٍ للوسطِ الثقافيِ المأزومِ الذي وُلدوا وعاشوا فيه . سوءَ تقديرٍ لمعنى مُبادرتهم بالنفَرِ إلى " النجف " . وسوءَ تقديرٍ لحجمِ الآمالِ الكبيرةِ المُعلّقةِ على رجوعهم إلى قومهم ، ممَّا بسطنا القولَ عليه فيما فات . وممَّا لا ريبَ فيه أن ه كان من الحكمةِ والواجبِ التعاملُ مع هؤلاءِ الحاملينِ ثقلَ قرونٍ من الاضطهادِ والتهميشِ والعزْلِ بمقدارٍ أكبر من الصبرِ والبذل . ممَّا لم يَكُنْ من العسيرِ ابدأً الحصولَ عليه ، في حالِ توفّرِ التقديرِ الصائبِ للموقفِ .

ومع ذلك نقول ، لو ان الأمرَ وقفَ عند ذلك الحدِّ لهان . آخذين بالاعتبارِ وجودَ تسعةِ طلابٍ منهم في مدارس " النجف " . كان يمكن لو أُتيحَ لهم أن يُتابعوا ما بدأوه ، أن يكونوا بدايةً جيَّةً يُبنى عليها فيما بعد . وقد عرفتُ بعضهم أوائلَ وجودي في " النجف " سنة 1371هـ/1951م . ومنهم من بلغ مرتبةً واعدةً ، وعُرفَ بالجدِّ والاجتهادِ والمُثابرةِ . كما سجّلتُ في ذهني عمّن حدّثني بعضَ الانطباعاتِ عن الأيامِ الأخيرةِ لأعضاءِ تلكِ البعثةِ في " النجف " . ممَّا أجذُّ في نفسي القوَّةَ على قوله ، على الرغمِ من قسوتهِ .

كلُّ ما نعرفه يدلُّ على أن موقفَ السيّد الح كيم كان بادئاً لتداعياتِ مؤسفةٍ ، ولكنها بالتأكيد لم تكنْ محسوبةً ، ممَّا يُدخِلُها أيضاً في نطاقِ سوءِ التقديرِ . انتهتْ إلى انهيارِ البعثةِ ، وخروجِ أعضائه لـ من " النجف " ، واحداً واحداً فيما يُشبهُ التسلُّلَ ، راجعين إلى وطنهم . فبعد أن كان أولئك الطلابِ موضعَ رعايةِ الجميعِ في بدايةِ وجوده م ، بدأ بعضُ زملائهم يُسجّلون عليهم الملاحظاتِ ، منها ما يدورُ على أمورٍ هيئَةٍ سطحيَّةٍ ، ممَّا يتصلُّ بمظهرهم . كلبسِ البنطلونِ بدلاً عن السروالِ التحتي الأبيض . وانتعالِ الحذاءِ المُغلَقِ ذي الرباطِ ، بدلاً عن المدا س التقليدي . وإطلاقِ شعرهم وتَش ذبيبه ، بدلاً عن حلاقته ، إلى ما ه نالك . دون أن يُمنحوا فرصةً كافيةً للتكيّفِ مع التقاليدِ الصّارمةِ المعمولِ

بها في أوساط " النجف " . ومنها ما يتصل ببعض سلوكياتهم ، ومنه عدم اعتنائهم بأداء الصلاة جماعة في الصحن الحيدري الشريف بإمامة السيد الحكيم . ولكنهم بعد ان انتبهوا أو نبهوا طفقوا يخرجون إلى صلاة المغرب جمعا ، فيما يُشبهه المظاهر ، ردًا على ما يُشاع ويُذاع عنهم . مما يدل على أنهم كانوا يبذلون جهوداً صادقةً للتعريف مع بيئتهم الجديدة ومقتضياتها . ثم تصعد الأمر إلى درجة طرح الأسئلة عن البيئة التي جأوا منها وعقائدها وثقافتها . وكأنهم قد وصلوا بالأمر إلى القريب ، وكأن بعضهم لم يمتص الزمناً الطويل في ربوع " النجف " وحوزتها . وبالنتيجة بدأ من الناس من يزورهم ، أو يمتنع عن مجالستهم ومؤاكلتهم ، أو حتى مجرد التحدث إليهم .

في ظل هذا الوضع المنذر بأوخم العواقب نشر الشيخ على صفحات كتابه المسلسل " الإسلام . . . " نص رسالة تلقاها من أحد أبرز طلاب البعثة . وهي رسالة حافلة بالمعاني والمغازي . وما من شك عندنا أن قصده من نشرها إنما هو توجيه رسالة إلى أولياء الأمور في " النجف " ، لتكون بمثابة دعوة إلى تصحيح الموقف ، قبل أن يخرج الأمر عن حده . وتنهار جهود سنين وتغدو هباءً منثوراً . قال :

" كتب إلي الطالب العلوي الأستاذ السيد عبد

العزني الفاطمي كتاباً يقول فيه "

" ها أنا أحمد الله إليكم على هذه النعمة التي أنعم الله بها علي وعلى إخواني المؤمنين بوجودكم . ولا أزال ذاكراً لكم في مظان إجابة الدعاء عند خير البشر بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبي السبطين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قسيم الجنة والنار ، أبي الأنمة الطاهرين السادة الأبرار ، شفيعنا يوم الورود الأكبر " .

" وإنني لا أنسى ذكركم في محافل أهل العلم

والعلماء والخجج ومن إليهم ترجع الشيعة ، وعليهم مدار الشريعة . وعند الأوساط العلمية من المدرسين والمباحثين ، وجهابذة الفقه وأساطينه ، وخرיתי العربية بأقسامها " .

" وكأني رأيتُ في النجف الأشرف أفلاطون في حكمته وأرسطاليس وإقليدس والشيخ الرئيس والفارابي وثلثب والمبرد والأصمعي والكساني وسبويه . وحسب ظني أن هؤلاء لو رجعوا لا عُترفوا من بحر علومها ، بل لم يفهموا تحقيقات أساطينها . فهم والفقهاء كمن شاهد الرسولَ الأعظم (ص) وأخذ عنه فقهاً يدورُ مدار العقل والحكمة . لم يكن فيه شطط ، فتكون عليه مسحةٌ " من القلّة المبعضين . ولم يفوض فتكون عليه عشوةٌ من الغلّة المتجاوزين الحدّ في الحب . فهم مقتدون بقول الرسول الأكرم لعلّي : يا عليّ هلك فيك اثنان عدوّ قال ، ومُحبٌّ غال . وشيعتك النمط الأوسط " .

" وها أنا ذا الفقير الحقير أقدم إليك ايها الشيخ الجليل احتراماتي عوداً على بدء وعلاً بعد نهل . وما ذكرته قليلاً ممّا يجيش به الصدر ولا ينطلق به اللسان ممّا ينطوي عليه الضمير . وها قد علمنا معالم ديننا إن شاء الله تعالى وفرانض ربنا ومعرفة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وإمامنا عليه السلام . وأنا الآن بين أحضان أهل العلم ، مشغولٌ بالدرس . وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق إنه وليّ ذلك " .

" وقد تشرفنا بخدمة الفقيه الأجلّ مولانا صاحب السماحة والرجاحة ، آية الله العظمى الحجة السيّد محسن الحكيم دام ظلّه ، فوجدنا منه كل حفاوة وإكرام . وهو مُستعدّ للقيام بما تبرّع به لي ولإخواني الطلاب . فنسأل الله أن يؤيّد به الدين ، ويُتمّ نعمته علينا بطول بقائه ، إنه حلِيم كريم " .

" هنا ابن عمّي السيّد محسن عيد الفاطمي يهديكم أجلّ التحية ، ويرجو أن تشمله وإيانا ببركات دعواتكم مع

الإخوان جميعاً يشكرون مساعيكم . وأدام الله لنا مقامكم
العالى سيدي " .

" الفقير لعزته تعالى عبد الله وابن عبده "

11 صفر 1369 " عبد العزيز الفاطمي " (26)

الرسالة طافحةً بالمعاني والمغازي . وإنني أظن أن كاتباً يحسن عمله ،
ويعرف ما يكفي عن سيرة كاتبها ، والمجتمع الذي قدم منه ، والظروف التي اضطرب
فيها في مهجره ، والهواجس التي عمرت نفسه مما دلّ عليه كلامه ، ومن هي موجّهةٌ إليه ،
وعلاقة الكاتب به وبما آل إليه أمره ، — إن كاتباً يعرف كل ذلك لحريّ بأن يكتب في
تحليلها الصفحات الطوال . أمّا نحن فإننا سنقف منها على ما هو أحرى باهتمامنا ، ونحن
نبحثُ عما اضطرب فيه كاتبها أن كتابتها ، بوصفه أحد أفراد البعثة العلوية في " النجف " .
وأول ما نلاحظه ، ونحن نتمعن في الرسالة ، أنها أطول مما هو متوقّع من
رسالة مُجاملة . ممّا يتبادله الناس على سبيل التحية أو الشكر أو التهنية وما إلى ذلك . بل هي
مُطالعةٌ دقيقةٌ مُسهّبةٌ ، تدرّج كاتبها بذكاء بالكلام على عدّة أم ور ، لن يصعب على
متأمّلٍ حصيفٍ ، عارفٍ لها يكفي عن كاتبها ، أن يكتشف السلك الناظم لشتاتها .
بدأ بأن بيّن بذكاءٍ يُغبطُ عليه عقيدته في الإمام علي (عليه السلام) ، بأن وصفه
بأنه " خير البشر بعد النبي " . ثم تنبّأ بأن ذكر فضل " النجف " عليه ، وتقديره البالغ
لعلمائها الذين " هم والفقهاء كمن شاهد الرسول الأعظم وأخذ عنه " . ليخلص من ذلك إلى القول
أن السرّ في الموقع الذي اكتسبه أولئك العلماء أنهم اتبعوا " النمط الأوسط " ، بين مُبغضٍ
قالٍ ومُحبٍ غالٍ . وهذه إشارةٌ من السهل جداً التقاط مغزاها . خصوصاً إذا أضفنا
إليها عبارته ذات الوقع الخاصّ : " وها نحن قد علمنا معالم ديننا إن شاء الله ومعرفة نبينا (ص)
وإمامنا (ع) " . وفي الختام الدعاء بأن يوفقه الله سريحانه فيما هو فيه من انشغالٍ بالدرس ،
وتذكيرٌ بما تعهّد به السيّد الحكيم لأعضاء البعثة .

من الواضح جداً أن السلك الناظم لكلّ عناصر الرسالة أنها مُطالعةٌ دفاع .
هو ذا إنسانٌ يُحرّكه هاجسٌ قويٌّ ، نفهمه ممّا رأيناه من عناصر رسالته ، بعد أن نعكسها .

انعكاسَ عناصر الدفاع في عناصر الاتهام . وهو حين يتوجّه برسالته إلى الشيخ دون غيره ، فلأنه يعرفُ جيداً ما بذله من جهدٍ في سبيل البعثة التي هو من أعضائها . ويعرفُ جيداً ما يُعلِّقُه من آمالٍ على نجاحها . كما يعرفُ أيضاً رأيَه الصائب في سببِ تشتتِ شيعة أهل البيت (عليهم السلام) في بلاد " الشام " وما والاها ، وصولاً إلى " الأناضول " و " ألبانيا " ، وسعيه الدائب إلى إعادة اللحمة بينهم . وقد صرّح بكل ذلك في ابياتٍ حميمةٍ خاطب بها أعضاء " الرابطة العلوية " في " طرابلس " ، في شمال " لبنان " ، من قصيدةٍ طويلةٍ ، سنوردها فيما سنورده من شعره ، حيث قال :

حيّاكُم الله من قومٍ سجيّتهم	حبٌ وصدقٌ وإخلاصٌ وإذعانٌ
جريتُم في مضامير الهدى قدماً	مُستثبّتين فلم يبعُدْ بكم شأنٌ
مُستمسكين بأهل البيت إنهم	نورٌ فليس لديهم قطُّ حيرانٌ
لم تبعدوا عن مجاريه ولا انفصمت	منكمُ عُراه ولم ينبو بكم أن
لم يثبّتكمُ بعدكمُ عنهم ولا انصرفوا	كلا ولا ابتعدوا عنكم ولا بانوا
لكنّ تلك الظروف السّود قد بلغت	منّا ومنكم ، فتشتيتٌ وهجرانٌ
وزلزلتْ بكثيرٍ عن مواقفهم	فأظلمَ الحقُّ ، ما للحقِّ أعوانٌ
فهامتُ الناسُ في أهوائهم وغدى	كُلُّ يرى أنه عدلٌ وإيمانٌ (27)

هذا إلى تصريحاتٍ وأقوالٍ له تفوقُ العدّ ، كلّها يصبُّ في المنحى نفسه . والظاهر أن هذا المسعى من السيّد الفاطمي ، بالإضافة إلى مساعٍ لا يُدّ أن الشيخ قد بذلها على الأثر لتدارك الأمر قب ل أن يستقلّ ويصلَ إلى حيثُ يعسرُ معه الإصلاح ، - كانت آخر محاولةٍ لإنقاذ البعثة . وأخالُ أن بعضَ " النجف " على الأقلّ كان يراها وهي تذبُّلٌ وتذوي ، تحت وطأة العزلة المضروبة عليها ، دون أدنى اكتراث . ممّا ترك أعضاءها أمام خيارٍ لا ثاني له ، هو مُبارحةُ " النجف " نهائياً والتخلّي عن الدراسة . بعد أن قضى بعضهم فيها زهاء السنتين . وأظهر عن جديّةٍ وصدقٍ عزيمة . هكذا خسرت شيعةُ أهل البيت (عليهم السلام) في بلاد " الشام " فرصةً تاريخيةً لرأب ما صدعه الزمانُ من فصائلها . الله وحده يعلمُ متى سيحفظون بمثلها .

ب - جولته الكبرى في ربوع العلويين

في الوقت الذي كانت فيه تلك الأحداث عالقةً في " النجف " ، والرسائل تروح وتجيئ بينها وبين " بعلبك " و " اللاذقية " ، كان الشيخ يتابع العمل على توثيق علاقته بالنُخب العلوية في شمال " لبنان " وفي الساحل السوري وما والاها . والظاهر أنه بع د أن تلبّث إلى ما بعد انجلاء الاحتلال الفرنسي ، كما قلنا فيما فات ، انتظر أيضاً أن يطمئن إلى انطلاق البعثة الدراسية إلى " النجف " ، التي بدأت في أوائل السنة 1368 هـ / 1948م . وكلّ شئ يدلّ على أنه كان في الآن نفسه كان يُعدّ لخطوةٍ كبيرة . يطرح فيها أفكاراً ومشروعاتٍ مُستقبليةٍ ، يرسم المُجتمع العلويّ .

تحت عنوان "التاريخ" ، سجّل الشيخ على صفحات كتابه المُتسلسل " الإسلام في معارفه وفنونه " ، خطوته العملائية المُنتظرة ، باتجاه تنظيم وإعمال الكتلة العلوية الكبيرة في " لبنان " و " سورية " . وهو عنوانٌ يشي بوعيه التام على فاصليةٍ وأهميةٍ خطوته ، بين ماضٍ خامد ومستقبلٍ واعد . وها أنا أقتبسُ عنه نصّه على طوله ، لما له من أهميةٍ بالغةٍ . قال :

" خرجتُ من بعلبك يوم الخميس السابع عشر من شهر ذي القعدة سنة 1369 [7 كانون الأول 1949م] على طريق بيروت إلى طرابلس " .

" فأقبل عليّ بعضهم فنفختُ فيهم من روح الإيمان ما أصبحوا به ناهضين . وقرروا اتخاذ دار للصلاة والاجتماع لتلقّي التعاليم الدينية " .

ثم سافرتُ عنهم وجرتهم إلى طرطوس ، فوصفتُ لي الدريكيش مركزاً للمدرسة والتدريس ، فقصدتها فوجدتُ بها جامعاً فخماً ، كتب على بابهِ أبياتٌ من الشعر لا تستحقُّ الذكر بتاريخ سنة 1236 . وله إلى الجانب الشمالي منه فسحةٌ دارٍ مُبلّطة . في الجانب الشرقي منها بركةٌ ينساب إليها الماء النابع النافع ، فيصبُّ في تلك البركة . ويتصلُّ بالدار من الجانب الشمالي حَجَرٌ ثلاث أو أربع على طول الجامع من الشرق إلى الغرب . لم

يبقى منها إ لا جذرائها ، تستر من اراد ق ضاء الحاجة
 هناك. تنبعث منها روائح كريهة. والجامع مهجور ،
 وبحالة يرثى لها من الإهمال . واعتذر عن هجره
 وإهماله بأن إحدى العشائر هناك دفنوا شيخهم في
 الجامع نفسه . ورأيت حائطاً مبنياً في الجانب الشرقي
 منه ، قد أخذ نحو من ثلثه ، فجعله منفصلاً عن الجامع .
 فسألت عنه ، فقالوا هنا دفن الشيخ ، وضرب قومه هذا
 الحائط . نسأل الله لهم الهداية والرشد " .

" وقد اجتمعوا تلك الليلة في الجامع بدعوة مني
 لهم . فأقيمت الصلاة جماعة . وخطبت فيهم بعد الصلاة
 خطبة ذكرتهم فيها الله . ودعوتهم للنهوض إلى تلقي
 العلوم الدينية . فرأيتهم مقبلين . ورأيت فيهم روحاً يقظة
 وذكاءً فطرياً ونهوضاً للعلم " .

[. . . .] " ثم سافرت منها راجعاً إلى طرطوس .
 فاجتمعت مرة ثانية بوجوهها وأشرفها وشبابها " .
 " ثم تجاوزتها إلى بانياس فجبلت . وجرى فيها
 ذكر المدرسة . ولمست من الدكتور علي سليمان الأحمد
 إقبالاً كبيراً " .

" ثم تجاوزتها إلى ال لاذقية . وواصلت السفر
 منها إلى القرداحة ، ومعى شبلا الشريف عبد الله ، السيد
 حسن والسيد حسين ، من الأسرة الشريفة الحسن نية .
 واجتمعت هناك بالشيخ الجليل الشيخ عيد الخير ، الذي
 يفيض نبلاً وأخلاقاً " [. . . .] .

" وبالجملة فإنّ الجبل من أوله إلى آخ ره يعترف
 بالحاجة الشديدة إلى العلم الديني . ويُقرّ بأنه هو السبب
 الوحيد لإيجاد الصلّة بعد هذه القطيعة . وتقوية الرابطة
 المحكمة بين هذين الجبلين ، جبل عامل وجبل العلويين .

وإن شئت فقل بين الشيعة في الجنوب والشيعة في الشمال . وودعني الشيخ قانلاً ، أبلغ إخواننا عنا السلام وقل لهم سلاماً عليكم ، فإننا لكم كما ترغبون " .
 " ثم غادرتُ القرداحة ، راجعاً إلى اللاذقية ،
 لأسافر منها إلى كَسَبُ [. . . .] . ثم رجعتُ إلى اللاذقية واجتمعتُ بجملةٍ من رجالها وشبابها العاملين . ودار الحديثُ على ما نحن فيه . وكنتُ كلّفتُ بعضهم وضع القانون الأساسي للمدرسة فوجدته جاهزاً . ثم درجنا إلى آراءٍ أُخرى ، لنُخرجَ هذا العمل من حيزِ القول إلى حيزِ الفعل . وتواعدنا الاجتماع لذلك . ثم رجعتُ إلى طرابلس " . [. . . . الخ . (1)] .

وصل إلى " طرابلس " يوم الأحد الخامس من ذي الحجة ، عائداً من جولته الواسعة . أي أن جولته على مناطق العلويين في " لبنان " وفي المنطقة الساحلية من " سورية " وما والاها طالت مدة ثمانى عشرة يوماً . وفي " طرابلس " احتفل الشبابُ العلويُّ بعودته ، بتنظيم ليلةٍ ساهرة في دار " الرابطة العلوية " . تبودلت فيها الكلمات والقصائد (2) . وقد بقي لنا من آثار ذلك الاحتفال الصورةُ التالية :



م

مع أعضاء " الرابطة العلوية " في " طرابلس "

(1) الإسلام ، ط. مطبعة العرفان 1370هـ / 1951م ، السنة الرابعة : 91 / 1 - 95 .

(2) نفسه / 100 - 106 .

وأنت ترى من هذا الوصف الحيّ ، الذي لم يُغفل أيّ تفصيلٍ ممّا نصبَ له ويتصلُ بهوموه ، أن الشيخَ قام بحملةٍ شاملةٍ بدأتْ بمدينة " طرابلس " في شمال " لبنان " ، ومنه إلى مدينة " طرطوس " على الساحل السوريّ ، فقريّة " الدريكيش " الجبلية . ثم هبط مدينة " بانياس " الساحلية أيضاً . ليصعد منها إلى بلدة " جبلة " ، فمدينة " اللاذقية " ، فقريّة " القرداحة " المجاورة . ليصلَ إلى مُلتقى الحدود السورية - التركية حيث " كَسَب " . أي أنه غطّى بجولته أغلبَ المناطق المعمورة بالعلويين . لم يغبُ عنها إلا " مصياف " وقراها . مع أن إحدى قراها ، واسمها " بيت الشيخ يونس " ، هي منزلُ صديقه الحميم والأول الشيخ عبد اللطيف إبراهيم . ولكنه بعد قليل لَبّى دعوةَ صديقه العزيز ، يوم جاء زائراً له في " الدريكيش " ، ودعاه إلى قريته ، فلبّى الدعوة وبات عنده ليلةً جمعة . وعند الصباح جاءه إمامُ المسجد ودعاه لإمامةِ المُصلين ففعل . وألقى بالمصلّين كلمةً حثّهم فيها على طلب العلم (3) .

ولقد كان الشيخُ حينما حلَّ يُحرِّكُ الهممَ ، ويطرُحُ الأفكارَ . مع حرصٍ خاصٍ على إقامة الشعائر . كما حصل في " طرابلس " و " الدريكيش " . حيث استجاب الجمهورُ في الأولى لدعوته بأن قرّروا فوراً اتخاذ دارٍ للصلاة . وأبدوا استعداداً لمثل ذلك في الثانية . وذلك ليس عند العارف مُجرّد قرارٍ عاديّ بسيط ، مثلما يكون في أيّ بيئةٍ مسلمةٍ . بل هو يعني الانتفاضَ على الماضي الأسود ، حيث كان العلويون مضطرين إلى إخفاء شعائرهم الدينية وأماكن إقامتها ، بل وأي شكلٍ من أشكال التجمّع العلني ، كي لا يمنحوا السُلطة فرصة التكيل بهم تنكيلاً جماعياً . إن إخفاء الشعائر وأماكن العبادة هو ردّ فعلٍ أنموذجيٍّ من أي جماعةٍ تخضعُ لسياسةٍ تنكيليّةٍ اضطهاديّةٍ لأسبابٍ دينيّةٍ .

ولكن الفكرة الأساسية المُحرّكة التي كانت تسكنُ قلبه هي ما عبّر عنه في إحدى مقالات كتابه " الإسلام " حيث قال :

" العلويّون الشيعة شعبٌ ناهض . يساعده على نهوضه ما فيه من ميزة الذكاء الفطري ، والشعور بالحاجة للعلم . فترى له إذا اجتمعتْ بشبابه مستقبلاً باهراً سيتبوأ فيه مكانةً ساميةً في المجتمع الإنساني . أمّا

مكانته في المجتمع الإسلامي فإنه يحتاج لها إلى توجيهٍ
للعلوم الإسلامية والعمل لها (4) .

ثم حكى أنه التقى في منطقة " صافيتا " بشابٍ عصاميٍّ أدبَ نفسه بنفسه وزوَّدها بالمعارف دون أن ينتسبَ إلى معهدٍ أو مدرسةٍ . ومن ذلك أنه شاعرٌ كاتبٌ يحفظ القرآن وقسماً كبيراً من نهج البلاغة . ورأى فيه أنموذجاً على القابليّات الفائقة الكامنة في هذا الشعب المحروم . والتي يقتضي بذلَ الجهود في سبيل حلِّ أزمتِهِ التاريخيّة ، عن طريق إنشاء المؤسسات التعليميّة في مناطقه . وسنقف على جهوده في هذا النطاق في الفصل التالي ، الذي سنخصّصه لأعمال الشيخ النهضويّة .

* * *

كانت هذه صورةٌ نراها على حدِّ الكفاية . تتبّعنا فيها خُطاهُ في الميدان التبليغيّ متعلّمين متزوِّدين . وهو الميدانُ الذي برع فيه أيّ براعة ، ومنحه القس طَ الأكبر من اهتمامه . ولقد أغفلنا في هذا الفصل الكثير من التفاصيل ، ممّا لا يزالُ يعيش في الذاكرة ، وممّا تحدّث عنه هو على صفحات كتّبه ، لأنه لا يختلف اختلافاً كبيراً في المؤدّى عمّا أثرناه بالذكر .

(4) نفسه / 353 .

الفصل الثالث

أعماله في الميدان النهضوي

(تمهيد)

1 - أعماله في العمارة

2 - في بعلبك

3 - في الساحل السوري

أ : سعيه لإنشاء مدرسة

ب : تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية

في اللاذقية

ج : المؤتمر الأول للجمعية

د : المؤتمر الثاني للجمعية

تمهيد

بُغيتنا في هذا الفصل وصف الأعمال ذات الطابع النهضوي التي اجترحها الشيخ في مواطن عمله الرئيسة الثلاثة ، التي رافقناه فيها في الفصول السابقة : " العمارة " في جنوب " العراق " ، وفي " بعلبك " وما والاها من " لبنان " ، وفي رُبوع العلويين بالسّاحل السوري وبلدانه .

وإننا نقصد بـ " الأعمال ذات الطابع النهضوي " تلك الرّامية إلى رفع مستوى أداء الأمّة أو الشعب أو بلدٍ بعينه . . . الخ. في مختلف الميادين . وذلك يتأتّى عن طريق إشادة وإنشاء المؤسسات المتخصّصة ، التي تعمل على إعداد وتأهيل الناس فكرياً وعلمياً وثقافياً وكفاءةً وخبرةً ، من مدارس ومعاهد . . . الخ. أو عن طريق تجميع جهودهم في مؤسسة ذات أهداف جامعة ، ترمي إلى الخير العام ، أو علاج بعض الأدواء الاجتماعيّة أو رعاية ضحاياها . إلى غير ذلك . وهو كثيرٌ يعسرُ حصره .

من الواضح أنه ما من تحديدٍ أو تعريفٍ دقيقٍ يضع إنجازاً أو عملاً بعينه في قائمة " الأعمال ذات الطابع النهضوي " أو ينفى عنها . ذلك لأن الحدود غير واضحة تماماً بين ما هو نهضوي وما هو تبليغي ، مثلاً . بل إن مفهوماً " تقدّم " نفسه ، الذي يقرع بحسب رتبته الطبيعيّة خلف مفهوماً " نهضة " ، هو مفهومٌ ثقافي . أعني أنه خاضع لمعايير نسبيّة قادمة من الثقافة . الثقافة وما فيها من قيم دينيّة وأخلاقيّة هي التي تمنحنا سلّم التقييم ، الذي يقول لنا هل هذا العمل ، أو هذا الإنسان ، أو ذلك النمط من التفكير ، ينحو أو يمثّل حالةً متقدّمةً أو حالةً متخلّفةً . هكذا ، فربّ عملٍ أو شخصٍ أو نهجٍ أراه أنا المسلم المؤمن تقدّميّ ، وبالتالي يمكن أن نمنحه صفة " نهضوي " ، في حين يراه غيري على العكس من ذلك . والأمثلة على ذلك تفوق الحصر .

الغرض من هذا التنظير هو القول ، إن بعض ما أوردناه في الفصل السّابق تحت عنوان " تبليغي " يمكن أن يكون أيضاً ذا صفةٍ نهضويّة . فإنشاء مسجدٍ وعمارته - مثلاً - قد يبدو لشخصٍ برّاني عملاً دينيّاً خالصاً . وبالتالي فإنه يدخل في دائرة التبليغ فقط . إلا أنه بالنسبة لمسلمٍ عارفٍ وملتزمٍ بمقاصد الشريعة ، عملٌ تقدّميّ نهضويّ أيضاً ، إذا

قِيُضَ له مَنْ يوظفهُ التوظيفَ المقاصديَ الصحيحَ ، في خدمةِ الأغراضِ ذاتِ العلاقةِ بتقدمِ الجماعةِ ، وحفزِ وعيها على ذاتها وذاتياتها ، وتقويةِ مناعتها المعنويةِ والماديةِ . وفي المقابلِ فإن بعضَ ما سنوردهُ تحت عنوانِ " نهضوي " قد تكون له صفةٌ ومفعولٌ تبليغيٌّ . والأمرُ هينٌ ، ما دمنا لا نرمي إلى وضعِ حدودٍ أو اختراقها ، بل مُجرّدُ تصنيفِ البحثِ تصنيفاً موضوعياً مقبولاً .

1- : في العمارة

ولقد وقفنا فيما فات من الفصل السابق ، ضمن الحديث على أعماله في هذه المدينة ، عند إنشائه مدرسةً ومستوصفاً مجانياً . وهما عملان نهضويان بامتياز . وليس عندنا الآن ما نُضيفه على ما قلناه هناك . نعم ، علينا أن نلاحظ أن هذه الأعمال ومثلها لم نكن ، بحسب السنّة المعمول بها بين علماء الدين في " العراق " ، ممّا هو من شأنهم ووظيفتهم في الناس . وما نرى الشيخ قد فعله إلا من قبيل ردّ عادية الخصم بمثلها . فقد لجأ المُبشّرون إلى بناء مُستشفى يُعالجون فيه المرضى ، ومدرسة يُعلّمون فيها أبناءَ الخاصّة ، فكان لزاماً عليه أن يفعلَ مثلما فعلوا . وإلا يكون كمن يُسلمُ لهم بحقّ التفرّد بسداد هذا الثغر . وهو في قوّة ومعنى الانهزام أمامهم .

ومع ذلك . مع أن اهتمامه بهذا بدأ عنده ردّ فعلٍ على عملٍ غيره ، فإننا نرى فيه مفتاحاً لخبراتٍ جديدةٍ اكتسبها في هذا الميدان . ودائماً كانت الممارسةُ العمليّةُ باباً لرؤىٍ جديدةٍ مُغيّرةٍ . ومن ذلك أننا سنرى بعد قليل الاهتمامَ بالتعليم . وقد غدا عنده فعلاً ، بعد أن كان ردّ فعلٍ . يمنحه أكبر قدرٍ من العناية حيثما حلّ ، بعد إقامة الشعائر الدينيّة . على أنه ينبغي أن نرى إلى كافة أعماله في جنوب " العراق " باعتبارها أعمالاً ذات صفةٍ نهضويّةٍ . ذلك لأنه بدحره العمليّة التنصيريّة فيه ، بعد أن قاربت أن تؤتي نتائجها ، وفقاً للخطة الموضوعية والإعدادات الكاملة ، قد أنجى " العراق " كلاً من شرّ مُستطير . الله يعلم ما كان س يترتبُ عليه لو لم يُتحّ الله سبحانه من تصدّى له . ولنعتبر بجنوب "السودان" ، الذي خضع في الوقت نفسه لمشروع تنصيرٍ مُماثل ، عملت له الجمعيّة نفسها . ممّا كان البادئ لمسلسل مُشكلاتٍ مُتّماذٍ ، غدت وما تزال مشكلة "السودان" الكبرى ، التي تستنزف طاقته ، وتعوق استقراره ونموّه .

2 : أعماله في بعلبك ومنطقتها

كانت "بعلبك" و " البقاغ البعلبكي" عموماً يوم نزلها الشيخ منطقةً في غاية التخلف . ومن ذلك أنه لم يكن فيها ، على اتساعها ، مدرسة " إلا في المدينة . أمّا مئات البلدان والقُرى المُطيفة بها فقد كانت تفتقرُ إلى هذا المرفق الأساسي . وكان على الطامحين من الناشئة ، أو الغيورين من أوليائهم ، أن ينتقلوا مع افتتاح الفصول الدراسيّة إلى "بعلبك" للالتحاق بإحدى مدارسها . التي لم تكن ، على كل حال ، ذات مستوى تعليميٍّ جيّد .

وأول مدرسةٍ نعرفها في المنطقة خارج " بعلبك " هي تلك التي بنتها السلطنة العثمانية في بلدة " الهرمل " إلى الشمال منها ، وعيّنت الشيخ خليل حسين العميري (ت : 1331هـ / 1912م) مُدرّساً فيها (1) . ولكنها أغلقت أبوابها إثر وفاته ، لعدم وجود من يتولّى التدريس فيها من بعده .

ويؤخذ من بعض المصادر المعاصرة ، أن عدد المدارس في مدينة " بعلبك " يوم نزلها الشريخ ، كان بحدود ست مدارس صغيرة . اثنتان منها رسميتان ، واحدة للبنين ، وثانية للبنات . والباقيات تُديرها إرساليات مسيحية أجنبية وهيئات كنسية . تضم جميعها زهاء الثلاثمائة طالب وطالبة (2) . أغلبهم من أبناء الميسورين وكبار الموظفين المحليين . ومنهم عددٌ غير قليل من أبناء القرى والبلدان المجاورة . وهذا العدد يُمثل كل الذين يملكون الفرصة من الناشئة لتلقّي العلم في المنطقة . وهي نسبة ضئيلة جداً ، لا تتجاوز واحداً من كلّ ألف منهم .

لذلك فقد كان من أول ما أولاه الشيخ اهتمامه من شؤون المنطقة ، العمل على سداد هذا النقص الخطير بل الأخطر في مؤسّساتها الرّ عويّة . وبالفعل فبعد سنّتين ونصف السنة من نزوله " بعلبك " نجح في إحراز الخطوة الأولى في مطلب طموح . بتاريخ 13 آب 1935م أصدر رئيس الجمهورية اللبنانية آنذاك مرسوماً ، حمل الرقم 2160 ، منح الإجازة " لفضيلة المُجتهد الشيخ حبيب آل إبراهيم " لفتح مدرسة في كلّ من تسع قرى من قرى " بعلبك " .

(انظر صورةً ضوئيةً للمرسوم في الصفحة المقابلة)

قد يبدو صدور هذا المرسوم لغير العارف بخصوصيات الوضع السياسي اللبناني أمراً عادياً غير ذي كبير شأن . ولكن الحقيقة غير ذلك تماماً . فهذه أول مرة ، منذ قيام " دولة لبنان " ، يحظى فيها عالمٌ دينٍ شيعيٍّ بالترخيص ليس بفتح مدرسة واحدة ، بل بتسع مدارس دفعةً واحدةً .

ثم أن المُدقّق في صياغة المرسوم يمكنه أن يلاحظ أنه صدر عن مقام رأس الدولة . ومُدبّلٌ بتوقيعي أمين سرّه . وأمانة سرّ الدولة يومذاك منصّبٌ يُعادلُ منصبَ رئيس

(1) آغا بزرك الطهراني : طبقات أعلام الشيعة (نقباء البشر) ، ط. مشهد 1402 هـ / 702 .

(2) ميخائيل ألوف : تاريخ بعلبك / 14 ، أعمال المجمع العلمي الشرقي ، ط. بيروت / 100 .

مرسوم رقم ٢١٦٠ /

ان رئيس الجمهورية اللبنانية
 بناءً على القرارين رقم ١ و ٣٠٠ المؤرخين في ٢ كانون الثاني و ٣ كانون الاول سنة ١٩٣٤ الصادرين من
 الطوقر السامي .
 بناءً على المرسوم رقم ٧٨ ٦٢ المؤرخ في اول ايار سنة ١٩٣١ المضمن نظام فتح المدارس الاهلية الخاصة
 ومراقبتها .
 بناءً على المرسوم رقم ١٤٦٦ المؤرخ في ٢٠ شباط سنة ١٩٣٥ القاضي باضافة بعض احكام الى نظام فتح
 المدارس .
 بناءً على اقتراح مدير المعارف العامة والفنون الجميلة .

مرسوم ما يأتي :

المادة الاولى : اعطيت الاجازة الخصوص عليها في المرسوم رقم ٧٨ ٦٢ المؤرخ في اول ايار سنة ١٩٣١ لفضيلة المقتصد الشر
 الشيخ حبيب آل ابراهيم لفتح مدرسة ابتدائية خاصة للبنين في كل من القرى اجمنة اسماؤها ادناه :
 النبي املا ، تظين التحفا ، تظين الفوقا ، قصرنا ، علي النهرى ، سرعين الفوقا ، طاريا ، امعات ، بعلبك .
 المادة الثانية : ان مدير المعارف العامة والفنون الجميلة مكلف تنفيذ احكام هذا المرسوم %
 بيروت في ١٢ آب سنة ١٩٣٥

الاضاء : حبيب السعد

امين سر الدولة

الاضاء : عبد الله بيم

مدير المعارف العامة والفنون الجميلة

الاضاء : صبحي سليمان حيدر

صورة طبق الاصل

مدير فرقة الرتامة

الاضاء : جرج حمرى

عدد ٤٨٠٠

حضرة صاحب الفضيلة المقتصد الشيخ حبيب آل ابراهيم المحترم

على سبيل المعلومات راجعا قبول الاحترام %

١٣ آب سنة ١٩٣٥

مدير المعارف العامة والفنون الجميلة

الاضاء : . . .



مرسوم مدارس الهدى في بعلبك والقرى .

الحكومة / رئيس مجلس الوزراء اليوم . ومدير المعارف العامّة والفنون الجميلة . وهو الاسم الرسمي في الدولة ذات النظام الرئاسي آنذاك لمن نُسِم به اليوم وزير التربية . وما وجود هذا الحشد من الكبار في المرسوم ، إلا دليل على الأهمية الكبيرة التي يُعلّقها النظام السياسي على مسألة قد نجدّها في نظام سياسي غيره من جملة صلاحيات وزير التربية . ذلك أن النظام الطوائفي ، الذي قامت عليه " دولة لبنان " ، جعل مهمّة التربية والتعليم من جملة حمى الطوائف المحميّة . بحيث تتولّى كل طائفة تربية وتعليم أبنائها كما تحبّ وتهوى . وقد استفادت مختلف الهيئات الدينيّة من مختلف الطوائف من هذا الامتياز . فأنشأت مئات المدارس في مختلف المناطق . وكانت الهيئات المسيحيّة السبّاقة في هذا المضمار . وتبعها السنّيّة التي تأتي بالدرجة الثانية ، من حيث عدد مؤسّساتها التربويّة . أمّا الشيعة فلم يوجد منهم من يولي الأمر ما يستحقه من العناية ، لأسباب ليس هذا محل بسطها . وقد كان من نتائج هذا الاسترخاء أن غدت نسبة الأميين بين الشيعة الأعلى ، أو على الأقل بين الأعلى ، بالقياس إلى بقيّة الطوائف . خصوصاً في منطقة "سهل البقاع" الخصب ، التي غدت الآن موطن الشيخ ومحلّ اهتمامه . وها هو الآن قد تكلّل سعيه بالنّجح ، إذ حصل على هذا المرسوم السخيّ . الذي غطّى بالمدارس ، وإن على الورق ، مدينة " بعلبك " وكلّ القرى والبلدات الشيعيّة الواقعة غربها وجنوبها . كانت تلك أوّل محاولة من نوعها لمعالجة الأدواء المزمنة ، التي تنخر الجسد الشيعي الكبير في "لبنان" . لم يسبقها إلا المشروع الرائد الذي حمل لواءه بنجاح ما بعده نجاح المرحوم رشيد بيضون في العاصمة " بيروت " .

والسؤال الذي يُلح علينا ونحن نتأمّل في هذه البادرة غير العاديّة ، التي أخذت من الشيخ كلّ ذلك القدر من الاهتمام ، بحيث كانت من أوّل ما توجه وسعى إليه في منزله الجديد ، بشهادة صدور المرسوم بعد نزوله "بعلبك" بسنتين وأشهُ رفقاً . ومعلوم أن استصدار مرسوم من أعلى منصب في الدولة ، بأمر تعتبره بالغ الدقّة ، بحيث توكله على نحو الحصر لرئيس الجمهوريّة ، لا يمكن أن يتم بين ليلة وضحاها ، بل لابد أن يكون قد سبقه سعي طويل ، — السؤال هو : ما الذي دعاه إلى أن يولي كلّ هذا الاهتمام أمراً لم يكن يوماً ، بحسب تقاليد العمل لعلماء الدين ، ممّا درجوا على اعتباره من وظيفتهم في الناس ؟ ومن المعلوم أن هؤلاء العلماء ينصرفون عادةً في أحسن الأحوال إلى إنشاء مدرسة دينيّة . كما فعل السيّد جواد مرتضى في "بعلبك" من قبل . وكما فعل عشرات

العلماء في غيرها . أمّا إنشاؤهم مدرسةً أكاديميّة ، تُعنى بتعليم الناشئة على النحو المنهجي الجاري الآن ، فهو أمرٌ غير مألوف . بل إننا نعرف أن كثيراً من ال هيئات الدينيّة نظرت بعين الرّيبة وأكثر إلى هذه المؤسّسات التعليميّة الجديدة ، واعتبرتها باباً من أبواب الخطر على الدين والتديّن ، واختراقاً غريباً للتقاليد التعليميّة التربويّة العريقة . والحقيقة أنني في كل ما أعرّفه من سير سلفنا الصالح ، لم أعثر إلا على سابقةٍ وحيدةٍ في هذا النطاق سبقت بادرة الشيخ ، هي استحداث " مدرسة الغريّ الأهليّة " في " النجف " ، على أيدي جمعٍ من كبار علمائها المُستتيرين آنذاك .

وأخالٌ بنتيجة التأمّل وإعمال الفكر ، أنه في ظهير هذا الاهتمام منه بالشأن التربوي أمران : أحدهما من تجربته الشخصية . والثاني من تحليله وفهمه لأزمة المنطقة . أمّا الأوّل فما هو إلا تجربته الغنيّة في مُقارعة الحملة التبشيريّة على جنوب "العراق" . ومن ذلك إنشاؤه "مدرسة الهدى الأهليّة" في "العمارة" . كما ذكرنا فيما فات . لكي لا يفتون العملُ التربويُّ حكرةً بين أولئك المبشّرين . فالظاهر أن في تلك البادرة اكتشف الإمكانات الفاتحة للمدرسة ، بوصفها أداةً فعّالةً لإعداد الناشئة إعداداً مُبكراً يتناسبُ ويُلبيّ رؤيته التربويّة - التبليغيّة . ومما يدلُّ على ذلك أنه منح مدارسَه في منزله الجديد الاسمَ نفسه الذي سمّى به مدرسة "العمارة" : " مدرسة الهدى" . والأسماء حصونٌ يتحصّن فيها ما هو كامنٌ في وُج دان المُسرّي . ومن ذلك أن الناس حينما يتحوّلون عن أوطانهم لسربٍ قاهرٍ ، كثيراً ما يُسمّون مواطنهم الجديدة بأسماء أوطانهم المفقودة . وأمّا الثاني فهو ثمرة فهمه لأزمة منزله الجديد . ممّا ألمحنا إليه فيما فات . ولا نجدُ بُدّاً من العودِ إليه الآن بما هو أوفى .

وشرقُ "سهل البقاع" - ويُسمّى أيضاً بـ " البقاع البعلبي " ، بمناسبة أن مركزه وحاضرتَه مدينة " بعلبك " ، - سهلٌ شاسعٌ خصيبٌ . له صيتٌ تاريخيٌّ بوصفه مصدرَ إنتاجٍ زراعيٍّ كبيرٍ ، يصلُ إلى أماكن بعيدة . ولكنه مع ذلك ، وربما بسبب ذلك ، عانى فيه الإنسانُ في ماضيه القريب والبعيد صنوفَ الاضطهاد والعسف . ومن ذلك أنه لاعدّ للمرات التي استبّيحت فيها حاضرتَه " بعلبك " . فدُمّرت وأُحرقت على نحوٍ تامٍ أو شبه تامٍ . بحيث أن قارئ تاريخها في القرون الخمسة الأخيرة ، لا يقعُ على فترةٍ طويلةٍ عاش الإنسانُ فيها بسلام . بل كانت حياته مُراوحةً مؤلمةً بين الهربِ إلى الجبال وقت الشدّة ، ثمّ مُعاودة البناء وإصلاح ما دُمّرتَه الحربُ ، وقت السّلام .

في ظلّ هذا الوضع وشبهه لا يجدُ الإنسانُ حصناً يحتمي فيه إلا رابطةَ القرابة .
فتتعرّزُ العشيرةُ بوصفها مركزَ تجمُّعٍ وحيّ يحتمي فيه الإنسانُ ، مثلما تحتمي الأسماكُ
الصغيرة الضعيفة بتكوين سِرْبٍ كبيرٍ ، فينشئُ كياناً جديداً من الكثرة العددية .
هكذا تتشكّلُ صيغةُ اجتماعيةٍ . وفي هذا الإطار ينشأ نظامُ علاقاتٍ داخلَ التكتلات
العشائرية فيه تحالفاتٌ ونزاعاتٌ . . . الخ.

هنا يأتي دورُ الدولة ، بوصفها البديلُ المُتجاوز للأوضاع التي عزّزت العشيرة . وذلك
عن طريق بسطِ الأمن ، وتحقيق العدل ، وتعميم التقدّمات الحضارية : تعليم ، استشفاء ،
مرافق عامّة ، ضمانات اجتماعية . . . الخ. ممّا يتركُ العشيرةَ مؤسّسةً قد فقدت وظيفتها .
فتموتُ وتتخلّلُ دون أن تتركَ أي أثر.

هنا أيضاً فشلتُ الدولةُ فشلاً ذريعاً . لا لأنها حاولت ولم تنجح . بل لأنها ، بسببِ
رؤيتها الطائفية الضيقة ، تركتُ المنطقة لمصيرها ، دون أن تبذل أذى جهد في سبيل علاج
مشكلاتها وأدائها المُزمنة . بل يمكن القول أنها في أحيان كثيرة عملت على مُفاقمِة تلك
المشكلات، وعلى تعزيز الوضع العشائري ، ابتغاء توظيفه بما يتناسب مع سياستها الطائفية .
بهذا العرّض التاريخي - الاجتماعي الموجز نُلخّصُ ماواجهه الشّخ يوم نزل
المنطقة ، ويُعطينا فكرةً كافيةً عن ظهيره التاريخي . وطبعاً لم يكن بوسعهِ أن يحمّل نفسه
فوق ما تُطيق . فكان منه أولاً أن وجّه جُهدهُ إلى حماية سلّم الناس ، ما استطاع إلى ذلك
سبيلاً . ساعياً في إصلاح ذات البين ، واستدراك كل نزاع قبل أن يستفحل . ممّا اقتضى
منه جُهداً كبيراً ، بذله على الرغم من علمه أن هذا من باب المعالجات المؤقتة .
والسؤال الآن : أين موضعُ التربية ومُؤسّساتها في فكره من تلك المُشكلات المُزمنة
في منزله الجديد بكافة تلاوينها ؟

في المقدمة المنهجية الضافية التي وضعها لكتابه المُتسلسل " الإسلام في معارفه
وفنونه " ، واستوعبتُ الجزءَ الأولَ منه بتمامه ، يتناول بللّكلام الشانَ التربويّ ، وضرورة
استدراك التقصير الخطير الذي ارتكب في تربية الناشئة وإعدادها . قال :

" ولقد كان في وسع الطائفة أن تتولّى تعليم ناشئتها
بيدها ، وتُشرف عليها بنفسها . وتولّى ذلك العمل من
لا يسيّر به على غير طريقه ، ويمضي به على غير

سبيلها . أما ولم تلتفت إلى ذلك ، فها هي اليوم تتخبطُ
 في ظلماء لا تهتدي فيها إلى ضوء ، وترتطم في شدائد
 لا تنفذ فيها إلى فرج ، وترتمي في عثرات لا تنتهي فيها
 إلى مقيل " (4)

ثم أنه يُفيض بالكلام على أفكاره التربوية ، وضرورة اعتمادها الدين والخلق
 القويم ، إلى جانب التعليم والإعداد . بل إن هذا التعليم الأكاديمي والإعداد المهني لن
 يحصل منه المجتمع على الفائدة المرجوة ، ما لم يكن صاحب العلم والمهارة والموظف قد
 " أخلص في دينه ، واعتدل في أخلاقه " (5) .

فأنت ترى من هذا الكلام أن صاحبه يعنى على رجالات الطائفة سوء اهتمامهم بتعليم
 ناشئتهم . وذلك أمرٌ قد أشرنا إليه قبل قليل . ولكن القارئ الحصيف يجب أن يلاحظ هنا أنه
 لم يذكر الدولة وتقصيرها الفادح في هذا النطاق . فكأنه ، بل هو بالتأكيد ، فعل إنسان نفض
 يده من الدولة ، ويؤس من استنهاضها وتعليق الآمال عليها ، بحيث لم يعد يضعها في
 حُسابه . وهذا موقفٌ ليس غريباً ولا مُستعجباً ممن يعرف كيف وضعت " دولة لبنان "
 قومه منذ تأسيسها خارج كل اهتماماتها ، خصوصاً الاهتمامات الترموية . وقد كان الشيخ
 يعرف ذلك خير معرفة .

إلا أن أبرز ما أتانا به نصّه ، على إيجازه ، هو ذلك الربط المنهجي المتين بين
 التعليم الأكاديمي وبين الإعداد الديني والخلقي . بحيث صورّه مُركباً لا يُعطي ما يُرتجى
 منه إلا إذا تكاملت عناصره وتتامّت . فإذا فُقد واحدٌ منها سقط الجميع .

فانسجّل أول أن هذا موقفٌ فريدٌ ، لانعرف له ثانياً في كل ما مرّ علينا من تنظيرات
 تربوية صدرت عن أمثاله من علماء الدين . ولقد أشرنا قبل قليل إلى ارتياب أرباب الهيئات
 الدينية الكبيرة بهذا الوافد الجديد ، الذي قلب العمل التربوي رأساً على عقب . وانتزع من
 تلك الهيئات ما كان لها من سلطانٍ طاغٍ على الشأن التربوي إجمالاً . أما ما أتانا به نصُّ
 الشيخ المُقتبس أعلاه ، فهو يُعلن دون ترددٍ تقبله المبدئي للمدرسة الأكاديمية ومنهجها ،
 وذلك بشرطين اثنين :

(4) الإسلام . . . ، ط. مطبعة العرفان في صيدا : 1 / 46 .

(5) نفسه : 47/1 .

– الشرط الأول : أن يكون المدرّس ممن يؤتمنون على تأدية الرسالة الموكولة إليه ، فلا " يعبثُ بعقول الناشئة ويلعب بأفكارهم حسبما تُمليه عليه أغراضه وتتصرّف به أهواؤه على غير هدىً وبلا دليل " و " يجب أن يُعنى بالدين والأخلاق . فلا يوكلُ أمرهما إلا إلى ضليع بهما أمين على تأدية رسالته فيهما " (6) . وهذا ينتهي إلى ضرورة أن يك ون المدرّسُ قدوةً حسنة لطلابه فيدرّسهم بسلوكه مثلها يُلقنهم بالكتاب .

– الشرط الثاني : أن يكون الدينُ والأخلاقُ عمادَ التربية . وإن لم يكونا كذلك فسيأتي على الناس يومٌ ليجدوا أن " رجالهم الذين كانوا بالأمس أبناءهم ما هم منهم . فإذا كانوا في شدة لم يكونوا معهم . وإذا كانوا في رخاء لم يكونوا منهم " (7) . هذه العبارة وإن أتننا بكلماتٍ بسيطة ، مُراعاةً لسنوف القارئين واختلاف درجاتهم ، فإنها تنطوي على معنى كبير .

ذلك أن من أهمّ وظائف الثقافة ، سواءً أتننا بوسيلةٍ تلقائيةٍ ، بأن تنحدرَ من جيلٍ إلى الذي يليه ، أم بشكلٍ معرفةٍ مُنظمةٍ ، نتلقاها بشكلٍ مُقننٍ مقصودٍ على أيدي العارفين ، – سواءً كان هذا أم ذلك ، فإنّ وظيفتها الأساس هي ضمانُ استمرار المجتمع الذي يحملها . وهذا الاستمرارُ من ميزات الإنسان عن بقية خلق الله تعالى . إنه المخلوق القادر على بناء صيغٍ معنويةٍ (آداب ، فنون ، أسلوب عيش ، عادات ، منظومة أخلاقية) ، قابلةٍ للاستمرار في الأجيال . الصيغةُ المتحرّكةُ من جماع هذه هي ما نسميه ثقافة .

الآن ، إنّ وظيفة العملية التربوية الأساس هي التسامي بالثقافة . بمعنى تحريرها من العناصر التي تُعيق التقدّم ، وتنمية الأخرى التي تحفّوه . تماماً كما يصنع المزارع الماء بر شجرةٍ يرهاها . إنه يُخلّصها بالتقليم من الفروع الضعيفة أو الميتة ، ويُغ ذّي القويّة . أي أن التربية تعملُ في قلب الثقافة ، دون أن تسمح لها باحتوائها . فإذا هي عملتُ من خارجها غدتُ اختراقاً يقطع الأستمرار ، وهو ما قد تُسميه بعضُ الأدبيات بالاعتراب . هذه النتيجة البائسة هي ما عبّر عنه الشيخُ بقوله : " رجالهم الذين كانوا بالأمس أبناءهم ما هم منهم . فإذا كانوا في شدة لم يكونوا معهم . وإذا كانوا في رخاء لم يكونوا منهم " .

تلك هي ، فيما تقودنا إليه نصوصه ، وفيما يُشيرُ إليه ما نعرفه عن مواصفات المنطقة

(6) أيضاً .

(7) أبضاً : 1 / 46 – 47 .

التي نزلها ، الأفكار التي حرّكت عالم الدين إلى موقع الرّاعي التربويّ ، الذي يهتمُ بنشر المدارس وتيسير التعليم للجميع ، وخصوصاً الفقراء . لا لكي يُنتج إنساناً مُتعلماً كيفما كان . بل الإنسان المُتعلّم الصالح ديناً وخلُقاً . ويا له من مرمى بعيد .

يتساءلُ المرءُ المُتابع ، وقد وصلت به المُتابعةُ إلى هذه المدى : تحضيراتُ إجرائيةٍ لتأسيس تسع مدارس دفعةً واحدةً ، منطقةً شاسعةً مُتعطّشةٌ لمن ينهض بها ، أفكارٌ تربويةٌ تجمعُ بين الأصالة والتقدّم ، - يتساءل : ولكن أتى للشيخ الإمكانات المادية التي تجعل تحقيق هذا المشروع الطموح ممكناً ، وهو الذي يفتقرُ إلى سندٍ خارجيٍّ ، كما أنه يعمل في منطقةٍ فقيرة ، لم يكن من عادة أهلها الإنفاقُ على الموارد الشرعيّة ؟

ونحن ، طبعاً ، لا نطرحُ السؤالَ لأننا نملكُ عنه جواباً ، بل لنُلفتَ القارئَ إلى هذا العنصر من أسلوبه في العمل . إنه يُقدّمُ دون تردّد حيث يرى أنه يجب أن يُقدم ، ثم يشرعُ في العمل بما تحت يده . ولو انه لم يكن ليُقدّم إلا بعد أن تتمّ لديه كافة أدوات العمل ، لما رأيناه من قبلُ يدخل مدينة "العمارة" وحيداً ، بعد أن بلغته أنباء الحملة التنصيرية بين أهلها فيقارعها ويدحرجها ، على الرغم من الفارق الهائل في ميزان القوى السياسي واللوجستي . ولو انه انتظر ولم يُقدم إلا بعد أن يُعدّ للأمر عدّته ، لربما تغيّرَ تاريخُ "العراق" .

مهما يكن ، فإنه بدأ العمل توّاً ، فافتتح "مدرسة الهدى" في "بعلبك" ، أوّل مدرسةٍ أهليّةٍ إسلاميّةٍ في "سهل البقاع" شرق "البنان" ، ثم ثانية في قرية "النبي أيل" ، وثالثة في بلدة "علي النهري" ، ورابعة في "قصرنبا" وخامسة في "تمنين" . قدّمَتْ بمجموعها أوّلَ فرصةٍ لتلقّي العلم حظي بها فقراء المسلمين المحرومين . وما ندري كيف كان يتدبّرُ أمرَ الإنفاق عليها ، في ظلّ الظروف التي كان يعملُ فيها ، وقد أصبح القارئُ على خُبرٍ بها . ولكنني أثناءً تنقيبي في أوراقه ، باحثاً عن معلومات من تفصيلات سيرته وأعماله ، وقعتُ أكثرَ من مرّةٍ على قصاصاتٍ سطرَ عليها بقلمه بعض الحُسابات ، فيها ذكرُ تلك المدارس أو بعضها ، وتجاه اسم كلّ منها مبلغٌ من المال . وكثيراً ما تكرر الحسابُ مع تبديل المبلغ المُسجّل تجاه بعضها كلّ مرّة ، بعد أن يضربَ بالقلم على ما كان قد كتبه ، فعلاً إنسانٍ حائرٍ في كيف يسدُّ حاجةَ الجميع بما تحت يده من مبلغٍ ضئيل .

أثناء السنوات التي عملتُ فيها تلك المدارس أو بعضها ، تلقّيتُ فيها قسطاً من العلم أوّلُ فوجٍ من المتعلّمين الشيعة الفقراء في المنطقة . ممّن يمكن اعتبارهم سلفَ وطلّيعاً لكل المتعلّمين منهم ، والذين فتحو الأبوابَ أمامهم ، وجعلوا من المدرسة مؤسسةً من

مؤسّسات المجتمع الرئيسة . وما تزال مدرستان منها عاملتين حتى اليوم . أمّا البقيةُ فلها قصةٌ أخرى .

ذلك أن من السرياسيين المحليين التقليديين ، من نظروا إلى إنشاء هذا العديد من المدارس بعين الرّيب وأكثر . باعتبار أنها ، في المدى البعيد ، تُهدّد مواقعهم . وذلك بما تُدخله من مفاهيم وأسلوب تفكير جديدة على القواعد الشعبية . وما يزال أهل المنطقة يحفظون حتى اليوم بعض ما كان أحدهم يُردّده في مج السه علنا . يقول ما مؤاده : " جننا بالشيخ حبيب لينفعنا ويدعمنا ، فإذا به يُعلّم الفلاحين ليصيروا أحسن منا " . وما من ريب في أنهم مُحقّقون في رؤيتهم هذه ، ولطالما كانت المعرفة أداة تغيير . ولكنّ الخطأ هو في أنهم لم يُطالبوا أنفسهم باللحاق أو الاستعداد للعمل في ظلّ المتغيّرات القادمة . بل ربطوا مصيرهم ببقاء التخلّف .

هكذا شنّوا حرباً شعواء على المدارس الناشئة . لم تُوفّر فيها أداة ولا وسيلة . من إشاعاتٍ تطير بما تحمله هذه المدارس من خطر مزعوم على أخلاق الناشئة . ومن تهديداتٍ موجّهة إلى أولياء أمور الطلاب من النافذين ، بضرورة سحب أولادهم منها تحت طائلة حرمانهم من بعض المنافع ، أو إيقاع الضرر بهم ، وما إلى ذلك . بحيث أنها أخذت تُغلق ابوابها مدرسة إثر أخرى . وبحيث لم يبقَ منها اليوم إلا اثنتين ، كما قلنا قبل قليل . ولكن ما من ريب إطلاقاً في أنها بمجموعها أدّت دوراً تاريخياً رائداً ، ما زال العارفون يذكرونه بالتقدير والعرفان .

- 3 : في السّاحل السوري

ولقد وقفنا في الفصل السابق على ذكر رحلته الشاملة إلى ربوع شبيعة أهل البيت (عليهم السلام) المعروفين بالعلويين ، في السّاحل السوري وما والاها . واقتبسنا نصّه الغني بالمعاني ، وخصوصاً ما طرحه أثناءها من أفكارٍ مُغيّرةٍ . ولكننا لم نتوقّف عندها الوقفة التي تستحقّها ، لأننا ادخرناها لهذا المقام ، وتحت عنوانه بالتحديد .

ولكن علينا ، قبل أن ندخل في الحديث على أعماله ذات الصفة ا لهضوية في ه اتيك الربوع ، أن نقول أن ما آل إليه أمرُ البعثةُ الدراسيةُ إلى "النجف" ، ممّا وصفناه قبل قليل ، قد ترك أثراً في غاية السّوء على مُجمل أطروحاته وعلاقاته وحضوره بين قومهم . بعد

أن رجع أعضاؤها خائبين غاضبين ، ليصفوا لهم ما لقوه من صنوف التنكيل المعنوي . وانتشر في الأنحاء انتشار النار في الهشيم . فإذا بتلك الحماسة ، التي رافقت اندفاعهم الأوّل إلى النفو إليها ، تنقلب إلى ضدّها . وإذا بالرحلة إليها تتوقّف عدّة عقود من السنين . على الرغم من كلّ ما بذله الشيخ من جهدٍ في سبيل ترميم الأمور . ومن ذلك أنه أعلن على الملأ قطع كل علاقة تعاونٍ له مع "النجف" في هذا النطاق ، وكذلك فعل الشريف عبد الله . واتجه إلى "قم" وإلى كبيرها آنذاك السيّد البروجردي رحماتُ الله عليه ، حيث وجد ما يُحبّ . والوحيد الذي كسر هذا الحرّم من بعدُ هو الشيخ فضل غزال رحمه الله ، الذي كان بحاجة إلى كل ما لديه من شجاعةٍ ليثبّد الرحال إليها . وليمكنك فيها عدّة سنين منصرفاً إلى الدراسة . ولتقيم من بعدُ في "اللاذقية" قائماً بوظائف عالم الدين ، وكان له فيها أحمَد الأثر . ولكنه ، رحماتُ الله عليه ، توفي وهو في شَرخ الش باب وموسم الجنى ، فانخلف وعدّ نافيّه . ومُذ ذاك توقّفت الرحلة إلى "النجف" تماماً . ولكنها نشطت شيئاً من النشاط باتجاه "قم" والحوزات العلميّة الإعداديّة في "لبنان" و "سورية" وما تزال .

مهما يكنُ ، فإن الشيخ حاول أن يُحافظ على وتيرة العمل بينهم وكأنّ شيئاً لم يكن . ونحن نراه قد نجح فيما رمى إليه . ولولا علمنا بما في بعض النفوس على الأقلّ من عتَبٍ ولوم ، نتيجة المعاشرة المباشرة ، لقلنا أن تلك النكسة لم تترك أثراً عملياً على خطّته . وفي هذا درسٌ في المثابرة وتجاوز الصّعاب .

وعلى ذلك فقد رأينا في الفصل السابق يقوم بجولته الواسعة في الساحل السوري وما والاها . وهي الجولة التي يمكن اعتبارها بمثابة افتتاح لمرحلة العمل الجدي ، بعد أن انقضت أيام الانتظار والإعداد الطويلة . وفيها طرح على من التقى بهم في مختلف البلدان أفكاراً واضحةً ، كان من نتائجها المباشرة تحريك الاهتمام على عدّة أمور ، في مقدمتها إحياء الصلّة مع إخوانهم في "لبنان" ، الأمر الذي عبّر عنه الشيخ بقوله :

" تقوية الرابطة المحكمة بين هذين الجبلين ،

جبل عامل وجبل العلويين . وإن شئت فقل بين الشيعة

في الجنوب والشيعة في الشمال " (6) .

وترميم المساجد وإعمارها . فإن لم يتيسّر فتعيين المُصلّيات ، لتكون أماكن اجتماعهم

للصلاة ، إلى أن يتيسر بناء أو ترميم المسجد . وقد وصف الجامع الرث للبلدة "الدريكيش" وصفاً حياً مؤثراً . ولكنه قال أنه حين دعا الناس إلى الصلاة فيه بادروا مُسرعين ، وامتلاً بهم المسجد على سعته . فصلّى بهم ، ثم خطب فيهم خُطبةً حثّهم فيها على طلب العلم ، لأن الجهل وحده هو الذي يحول بينهم وبين إقامة الشعائر . " فرأيتهم مُقبلين . ورأيتُ فيهم روحاً يقظةً ونكاهاً فطرياً ونهوضاً للعلم " (7) . كما أنه حثّهم بنحوٍ خاصٍ على الاهتمام بالتعليم وتيسيره لناشئتهم .

أ : سعيه لإنشاء مدرسة

في "طرطوس" وُصفت له "الدريكيش" ، وأن فيها بناء كبير ، يصلح أن يكون مركزاً للمدرسة والتدريس ، فقصدها . وها هو يصف لنا ما وجدته هناك :

" فقصدتها فوجدتُ بها جامعاً فخماً ، كُتب

على بابه أبياتٌ من الشعر لاتستحقّ الذكر بتاريخ 1236

[هـ / 1917 م] . وله إلى الجانب الشمالي منه فسحةٌ

دارٍ مُبلّطةٌ . في الجانب الشرقي منها بركةٌ ينساب إليها

الماءُ النابع النافع ، فيصبّ في تلك البركة . ويتصل بالدار

من الجانب الشمالي حُجراً ثلاثاً أو أربع على طول الجامع

من الشرق إلى الغرب . لم يبقَ منها سوى جدرانها [. . .

. .] والجامع مهجور ، وبحالةٍ يرثى لها من الإهمال "

(8) .

لذلك ، وخصوصاً بسبب بُعد "الدريكيش" ووعورة الطريق إليها ، فقد استقر الرأي ، بعد التداول ، على أن تكون المدرسة العتيقة في مدينة "طرطوس" الساحلية . ذلك أن فيها مدرسة كبيرة ، كانت "الجمعيّة الفرنسية العلمانيّة / اللايك " قد بنتها في المدينة . والظاهر أن بناءها قد تمّ أثناء الانتداب الفرنسي ، وفي سياق مشروع الدولة العلوية ، التي

(7) نفسه / 92 - 93 .

(8) أيضاً .

كان الاستعمارُ الفرنسي يُخطِّطُ لها ، ولكن المشروع سقط كما هو معلوم . " وفيها من الأدوات ما يكفي لألف طالبٍ داخلي " (9) . وكان البناءُ مع ما فيه من تجهيزاتٍ معروضاً للبيع . اتجه التفكيرُ إلى أن تكون المدرسةُ بمثابة ثانويّةٍ شرعيةٍ . تُدرّسُ العلوم المنهجية ، كما في أي مدرسة ، إلى جانب العلوم الشرعية . وهذه فكرةٌ نيّرةٌ ، تُلبّي حاجة المجتمع الذي تعملُ فيه من أكثر من جانب . وغدا الشأنُ الآن كلُّ الشأن هو في كيفية الحصول على الثمن الباهظ للمدرسة وتجهيزاتها .

اقترح الشيخُ طرَحَ المشروع على رئيس "الجمعية العاملة" والزعيم الشيعي رشيد بيضون ، ليتولّى المشروع . بحيث يكون فرعاً لمشروعه الكبير في "بيروت" . فهو رئيسُ جمعيةٍ ميسورة . فضلاً عن أنها أثبتت جدارةً ممتازةً في إدارة المؤسسات التعليمية . وعلى هذا فقد شكّل وفداً من الشباب العلوي ، ذكر من أعضائه بالاسم " الشاب العلوي الوفي الناهض الأستاذ صالح العلي مدير مدرسة التجهيز في طرطوس " قصد "بيروت" " فلم نُوفق للاجتماع به " . ثم اجتمع به ومعه صديقه المرحوم السيّد عبد الحسين نور الدين " وبيننا له الأمر ، وأوقفناه على فضل المشروع ، فاعتذر بالعجز وأنه مشغولٌ بإتمام البناية الكبرى " . فقبلنا عُذره . وأرجأتُ أمرَ هذا إلى فرصةٍ سانحة (10) .

هكذا سقط مشروع المدرسة في "طرطوس" بسبب العجز المادي . ورجع التفكير إلى مدرسةٍ في "الدريكيش" ، على أن تكون " مدرسةً دينيةً بحثيةً ، تعنى برعاية الشباب العلوي وتثقيف قسمٍ منهم تثقيفاً دينياً ، تؤهلهم للقيام بوظيفة الواجبات الدينية على المذهب الجعفري " (11) . وقدّرت نفقات إصلاح المسجد وبناية المدرسة بستة آلاف ليرة سورية . استنهض جملةً من أهل الخير لجمع المبلغ . وبالنتيجة اجتمع لديه من ميزانية المشروع مبلغ ألفٍ وستمائة وثمانين ليرة . (هنا يذكرُ أسماءَ المُتبرِّعين ، وما تبرَّعَ به كلٌّ منهم . ونذكرُ أن أسخى تبرَّع كان من رئيس المجلس النيابي آنذاك المرحوم صبري حمادة) (12) .

بدأ العمل في المشروع بطلب الإجازة من السُلطة المحليّة ، فبدأ بزيارة مدير الناحية

(9) الإسلام : السنة الرابعة : 2 / 69 .

(10) نفسه / 70 .

(11) أيضاً / 70 - 71 .

(12) أيضاً / 71 - 75 .

وعرض عليه فكرة المشروع وتوجّهاته ، فرحّب به ، بل وأبدى استعدادَ البلدية للمساعدة . ثم كلف أحد وجهاء المنطقة بتقديم طلب الإجازة للجهة المختصة . وزار "زعيم الدريكيش الشيخ محمد أفندي اليوسف" ، وأودعه المبلغ الذي اجتمع لديه من تبرّعات المحسنين . ليبدأ العمل في إصلاح المسجد والغرف الملحقة به.

سار العمل في البداية بشكلٍ جيّد . فتمّ ترميم المسجد وبعض الغرف . وكان العمل يجري في جوٍّ من الحماسة والسرور والحراك العام . والاجتماعات الحاشدة تُعقد في المسجد ، حيث تُلقى الخطبُ المُعبّرة عن التقدير الكبير لأعمال الشيخ ومُطالبته بالمزيد . وقد لخص أحد الخطباء ما كان عليه شعورُ الناس في تلك الأيام بقوله : " نحن في هذه الأيام على مفارق الطُرق " (13) . وفي نهاية أحد تلك الاجتماعات طالبوه بأن يخصّهم بعالمٍ ديني مُقيم عندهم فوعدهم خيراً . كانت تلك الأيام وما يجري فيها أول مرةٍ منذ قرون يتمنّع فيها الشعبُ العلوي بالاهتمام والغيرة على شؤونه ، وهو الذي عانى طويلاً من مختلف صنوف الاضطهاد والعزلة والتهميش .

ومع ذلك ، وعلى خلاف كلِّ ما هو مُتوقّع ، فقد توقّف كلُّ شئٍ فجأةً دون سببٍ واضح . لئليّ ما عندنا عن ذلك هو ما كتبه الشيخ في آخر إشارةٍ منه إلى مراحلٍ وصنوف اهتمامه بتأسيس مدرسةٍ في ربوع العلويين ، حيث قال : " ثم عاقت العوائق عن إتمام العمل . وأرجو الله أن تزول كلها . والله تعالى نعم العون . ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم " (13) .

نُرجّح أن السبب في وأد المشروع وعدم وصوله إلى غايته يرجع إلى عاملٍ سياسي ، اجتنب الشيخ ذكره صراحةً لأسبابٍ غير خفية . فالظاهر أن السلطة امتنعت عن منح الإجازة ، بعد أن " أعطوا وعداً بالشرع بذلك في شهر حزيران المُقبل " (14) . يشهدُ على ذلك ختامُ نصه الأنف بالحوقلة ، ممّا يُشعرُ بأن الأمر كان خضوعاً لقوّة قاهرةٍ لم يكن يملك إزاءها إلا الانكفاء والتسليم المصحوب بالأمل في أن يزول ذلك العائق . كما يشهد لذلك أيضاً أنه اجتمع بمحافظ " اللادقية " ، ومعه الشريف عبد الله ، فيما يبدو أنه مس عيّ أخيراً لإنفاذ المشروع . فلم يسمعوا منه غير كلامٍ معسول ، من دون نتيجةٍ عمليّةٍ (15) .

(13) أيضاً : السنة الرابعة : 3 / 355 - 57 .

(14) أيضاً / 355 .

(15) أيضاً / 359 .

هكذا انتهت أُولى مساعي الشيخ في النهوض بالشعب العلوي ، بعد أن اصطدمت
بصخرة السياسة الصلبة .

ب : تأسيس "الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية" في اللاذقية

ودورها التاريخي

تلك الخيبة في المساعي الأولى لم تذهب هباءً ، بل يبدو أن أولياءها قد استوعبوا
مغزاها دون أو هام . والظاهر أنهم أدركوا ، أو أدرك بعضهم على الأقل ، أن السبب في تلك
النهاية البائسة يرجع إلى ضعف السند الاجتماعي للمشروع . خصوصاً وأن الداعي إليه
والعامل عليه رجلٌ هو ، في المقاييس الضيقة لأهل السياسة ، غريبٌ عن البلد . مما جعله
في منظارهم اختراقاً ، لا ينبغي أن يُسمح له بأن يمرّ .

وعليه ، واستناداً إلى هذا التحليل ، فإنه ما إن خرج الشيخ ومعه الشريف من اجتماعه
بالمُحافظ حتى دعا إلى اجتماع ، أرادُه أن يكون بمثابة نفيٍ عامٍ لدراسة الوضع بعد
استيعاب مُعطياته ، حضره " جُملةٌ من رجال العلويين من مشايخ الدين وغيرهم " (16) .
في ذلك الاجتماع ، الذي لا بُدَّ أنه تحوّل إلى اجتماعٍ مفتوح ، بالنظر إلى ما سنراه
من قرار ومُسارعةٍ إلى اتخاذ إجراءاتٍ عمليةٍ ، قرّر الرأي على :

" تأسيس جمعيةٍ تعنى بنشر الفقه الإسلامي على
المذهب الجعفري ، وتدعو إلى التعاون على بناء المساجد
والمدارس على هذا الوضع [أي المذهب] . وحرّرَ قانونُ
الجمعية ونظامُها . والتمستُ من سيادة الشريف عبد الله
قبولَ الرئاسة للجمعية . وجعلنا موعد الاجتماع 16 آذار .
ثم غادرتُ اللاذقية شاكرًا " (16) .

هذا النصُّ الغني يدلُّ على عدّة أمور:

– الأول : الإصرارُ على الهدفِ الأساسي ، أي النهوض بالشعب العلوي ، عن طريق
بناء المساجد والمدارس .

– الثاني : أن يكون ظهيرُ هذا الهدفِ جماعياً ، تتمثلُ فيه كافةُ الشرائح الاجتماعية ،

بحيث يعسُرُ على اي سُلْطَة أن تتجاهلَ مطالبها المُحقّقة .

- الثالث : أن يكون جميعُ أعضاءِ الجمعيّةِ من المواطنين العلويين السوريين . وقد حرصَ الشيخُ على تغييب اسمه تماماً . وفي سياق هذا التوجّه طلب من الشريف أن يتولّى رئاستها .

وممّا يجدرُ بنا ذكره ، على سبيل تأكيد هذا التوجّه ، أن الشيخَ حرصَ أيضاً على اجتناب حضور الاجتماع الأول لها ، كي لا يُلقى بظلّه على الجمع . الأمرُ الذي قد يؤدي بالجمعيّة ، فيكون مصيرُها مصيرَ مشروع المدرسة .

كان لذلك الاجتماع ، الذي التقت فيه نخبةُ المجتمع العلويّ في "سوريّة" بذلك الأوان ، صدئاً واسع . تجاوز رجْعُهُ المحيطَ المحليّ ، بحيث أن الصحفَ اللبنانيّةَ نشرتْ أخباره على صفحاتها . مُنْوهةً بترحيب عموم الجبل العلوي به . وقد قرأ الشيخُ ما كتبته ، فعلقَ عليه بقوله : " فسرّني ذلك كثيراً " (16) . كما نشرتْ الصُحفُ المحليّةُ مقالاتٍ ضافيةٍ تُرحّبُ بالبادرة الجديدة . يجذُ القارئ بعضها في مُلْحَقٍ بالكتاب . فضلاً عن وثائق أُخرى تتعلّقُ بالجمعيّة .

في ذلك الاجتماع ، وقد تعمّد الشيخُ عدم حضوره لأسبابٍ واضحة ، جرى انتخابُ أعضاء الهيئة الإداريّة للجمعيّة ، فجاءت على النحو التالي :

الشريف عبد الله الفضل (اللادقّيّة)

الشيخ عيد الخير (قرداحة)

الشيخ عبد اللطيف إبراهيم مرهج (صافيتا)

الشيخ حسين سعود (صافيتا)

الشيخ يونس حمدان (بانياس)

الشيخ حيدر محمد (جبلة)

الشيخ أسعد حسن الحارة (الحفّة)

الشيخ سليمان الخطيب (جبلة)

الشيخ كامل يوسف الخطيب (جبلة)

الشيخ رجب سعيد (الشّير)

الشيخ يونس علي الجبيليّة (جبلة)

الشيخ كامل حاتم (البهلويّة)

وأُسندت رئاسة الجمعية حاليًا إلى الشريف عبد الله ، وأمانة سرّها إلى الشيخ عبد الرحمن الخيّر ، وأمانة الصندوق إلى السيّد محمد رشيد سليمان .
وعلى الأثر التّأمت الهيئة الإداريّة لوضع قانون الجمعية الأساسي ونظامها الداخلي ، ومن ثمّ رفعه إلى المرجع المُختصّ للحصول على الترخيص لها بمباشرة العمل . كما قصدت دارَ المُحافظة للاجتماع بالمحافظ ، حيث بيّنوا له الغاية من الجمعية . فوعدهم بإنجاز المعاملات الآيلة إلى منحها الصفة الشرعيّة على وجه السرعة .
بتاريخ 14 رمضان تلقّى الشيخ رسالةً من صديقه الأوّل الشيخ عبد اللطيف إبراهيم ، جاء فيها :

" نُطمئنكم ، والحمد لله ، أن الإقبال على الحج معيّة الخيريّة الإسلاميّة الحج عفرية إقبال كثير ، يُبشّر بطلانِ حسنة وتناج أحسن . وقد غمرت موجة السرور جميع الأوساط العلوية في الشرق والغرب . وتعلقت آمالهم بمستقبل زاهر ، يرفعهم إلى مستوى إخوانهم في الله والولاية . وكل ذلك بهمتكم العالية ومساعدكم الكريمة . أكثر الله في الأمة الإسلاميّة أمثالكم من العلماء العاملين المجاهدين ، الذين لا يفترّون لحظةً عن السير في طريق التنوير والإرشاد والانعاش . وهذا من طبع الشموس الكبيرة المُشعة ، التي طبعها الله سبحانه عليه . إن شاء الله قريباً تحصلُ الجمعية على الترخيص بالعمل ، وتُنشَرُ أسماءُ الأعضاء والقانون الأساسي لها .
وحينئذٍ تتمكنون من فتح مدرسة الدريكيش بعونه ورحمته تعالى " (17) .

والحقيقة أن الجمعية كانت قد حصلت قبل أيام من تاريخ رسالة الشيخ عبد اللطيف هذه على الترخيص المطلوب ، ولم يكن قد وصل ذلك إلى سمعه . وقد أخطر الشريف عبد الله

الشيخ بذلك برسالة حرّرها بتاريخ 6 رمضان 1370 (17) . كما أعلمه فيها بالتوجّه إلى دعوة الهيئة الإدارية للاجتماع للمُذاكرة في دعوةٍ عامّةٍ لـ " تعيين أسماء الذوات الذين يُعتمدُ عليهم للنهوض بالمشروع من طور القول إلى طور العمل " . وأُرفق بكتابه نسخةً عن الدعوة . وختمها بقوله : " ونحن بانتظار ما ترون من توجيهاتٍ في هذا السبيل . وإذا رأيتُم مناسباً حضوركم بهذا الاجتماع الخاصّ والذي يليه فالرأي لكم " (18) . والعبارةُ الأخيرةُ تدلُّ على أن الشريفَ كان على علمٍ مُسبقٍ بسببِ امتناع الشيخ عن حضور الجلسة الأولى للجمعية ، وفقاً لما قلناه قبل قليل .

ما إن اطمان الشيخُ إلى أن الجمعيةَ قد تجاوزتْ خطرَ حجبِ الرخصةِ عنها ، حتى لَبّى دعوةَ الشريفِ البرقيّةِ إليه إلى مؤتمرها الأوّل .

- ج : المؤتمر الأوّل للجمعية

انعقدَ المؤتمرُ في يوم الجمعة 20 تموز 1950م في " اللاذقيّة " بدار الشريف . وقد أتاح عطفُ الشيخ على حفيده المؤلّف أن يشهدَ هذا المؤتمر . وقد كنتُ آنذاك في العاشرة . وكانت الأسرةُ يومذاك مشغولةً بإعداد العُدّة لتسفيرني إلى " النجف " لطلب العلم ، ولأمرٍ ما رأى الجدُّ رحمات الله عليه أن يصطحبني في سفره هذا ، وهي المرّةُ الوحيدةُ التي شرفني فيها بصحبته في سفرٍ كهذا ، على كثرة أسفاره المُمائلة التي لا عدّ لها . ولعلّه ، لعلّه أراد أن أشهدَ هذا الحدّثَ التاريخي . ليكون زاداً لي في المُستقبل الذي سيبدأُ إعدادي

(17) ولكن ه اشرم عثمان يقول في كتابه " تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام الشمالي " ، ط. بيروت 1414هـ/1994م / 171 أن الإشهار الرسمي للجمعية ، بنشر خيرها وقانونها الأساسي في الجريدة الرسمية ، لم يتمّ إلا بتاريخ 27 نيسان 1962 ، أي بتأخير زهاء الثلاث سنوات عن التاريخ الذي يؤخّذ من رسالة الشريف . وكلامه دقيقٌ وموثّق . ولكننا نعلم أيضاً على نحوٍ مؤكّد أن الجمعية كانت تمارس نشاطها علناً قبل ذلك التاريخ . والجمعُ بين الخبرين سهلاً . فالظاهر أن السُلطة المحليّة ، بشخص المحافظ ، سمحت للجمعية شفوياً بالعمل ، في حين بقيت المعاملات الرسمية تتحرّك حركتها البطينية في أدراج الدوائر الرسمية ، حتى ذلك التاريخ .

له بعد قليل . ولكن كل ما وعته عينا الفتى الذي كُنَّته يومذاك ، حشد من الناس في أزياءٍ غير مألوفةٍ لديه ، ام تَلأت بهم دارُ الشريف الكبيرة ، يتبادلون الكلام ، ويجلسون إلى موائدٍ منصوبة . وكان من حُسْن توفيق الله تعالى لي ، إن شاء سبحانه ، أن أكتبَ في تاريخ تلك الأيام الجلييلة وأحداثها الجسام ، بعد ستين سنة من حصولها .

كلُّ ما يقوله الشيخُ على ما اتخذته الجمعية من قرارات في هذا المؤتمر أنها " قررت قراراتٍ حُفظت في سجلاتها " (19) . وإنما نظنُّ أنه ، لأمرٍ ما ، تعمَّدَ كتمان تلك القرارات . ذلك أننا رأينا في كلِّ ما كتبَ على أعماله في ربوع العلويين ، ودائماً تحت عنوان " للتاريخ " ، يُدوّن تفاصيل الأحداث . فتكَّبه هذا النهج الآن فقط بعثَ عندنا هذا الظن . ثم تلا ذلك تلاوةُ الرسائل الكثيرة الواردة . وكلَّها تُرحَّبُ بقيام الجمعية ، وتُشيدُ بتوجهاتها ، وتبني عليها الآمال العراض . ممَّا كان سبباً في بعثِ المزيد من العزم والتصميم على الاستمرار . وانتهت الجلسةُ بتلقِّي التبرّعات ، التي " دُفع بعضها فعلاً ليد الرئيس ، للاستعانة بها في الانفاق على تسيير الجمعية ومصالحها " (19) .

- د : المؤتمر الثاني للجمعية

وقد انعقد هذه المرّة في "بانياس" ، يوم الجمعة بتاريخ 14/11/1370 هـ / 17/1951م ، بدعوة من الشيخ حسين ميهوب في منزله . وهو من مشايخ المنطقة البارزين ، ومن أسرة ذات مكانة . وحضره نحو من مائتي شيخ من شيوخ الدين العلويين ، وعددٌ من غير الشيوخ . وفيه عُرضتْ وعولجتْ فوراً بعضُ الإشكالات ، الناشئة من نقصٍ استيعابٍ بعض المشاركين لشعار الجمعية وأغراضها . وسنستعرضها بعد قليل .

بعد أداء صلاة الجمعة بإمامة الشيخ ، وإتمام واجب الضيافة للجمّع ، اتجهوا جميعاً إلى منطقةٍ خلاء " في مكانٍ من الصحراء ، تحت شجراتٍ هناك ، في مُرتفعٍ من أراضي بانياس في الجنوب الشرقي منها " . والمتأمِّلُ لا يفهم من ذلك إلا الحفاظ على سيريّة المُداولات . ممَّا يُشيرُ إلى روح الحذر والترقب اللذين سادا الاجتماع .

بدأ المؤتمرُ بكلمةٍ من الشريف . أعلن فيها أن الجمعيةَ دينيّةٌ بحتةٌ ، لا تتدخَّلُ

بالشأن السياسي ولا العشائري " وإنما تقصدُ التعاون على بناء المساجد والمدارس ، ونشرُ الفقه على المذهب الجعفري ، في عموم جبل العلويين ، كما هو مبينٌ في قانون الجمعية ونظامها " . ثم تلاه الشيخُ عبد الرحمن الخير ، أمينُ سرِّ الجمعية ، فألقى كلمةً بيّن فيها مقاصدَ الجمعية ، وأنها للعلويين ونتائجها وثمراتها لهم .

هنا نهض أحدُ المشاركين من غير المشايخ " الأستاذ حبسه من طرطوس " لي طرحَ نزيراً بشكل سؤالين :

- السؤالُ الأوّلُ ما مضمونه : هل هناك انقلابٌ وتغييرٌ لما عليه العلويون من دينٍ أو مذهب ؟

- السؤالُ الثاني : لماذا قيّدتُم الجمعيةَ بالإسلامية الجعفرية ، ولم تُقيّدوها بالإسلامية العلوية ؟

والسؤالان ، كما هو واضحٌ ، من مؤدّى واحد .

وقد أجاب الشيخُ عبد الرحمن الخيرُ عليهما بأن قال : " لا تبديل ولا تحويل . والمذهبُ العلويُّ هو المذهبُ الجعفريُّ من قديم الزمان . ولكن عرّضَ لهذه الطائفة ، بسبب الظروف القاسية التي مرّت عليها ، ما أوجب ركودها . والآن تُريدُ أن تهضّ لتشييد مذهبها ، والأخذَ بيد ناشئتها لما هو الحقُّ بهذه الوسائل التي اتخذتها وصرّحتُ الجمعيةُ عنها " .

فعاد السائلُ ليقول : " ولكن لماذا أسعدتُ المذهبُ إلى الإمام جعفر خاصةً دون الأئمة من آباءه وأبنائه؟ " .

وقد أجابَ الشيخُ حبيب عنه بجوابٍ مُسهّبٍ . بيّن فيه الموقعَ الخاصَّ للإمام الصادق بين الأئمة (عليهم السلام) ، لتمكّنه من نشر علوم الشريعة بصورةٍ لم يتمكّن منها أحدٌ من آباءه ولا من أبنائه .

فقال السائلُ : " إن الوزارة السورية قرّرتُ تعليمَ الدين الإسلامي في مدارسها " . يعني : ما هو الداعي لهذه الجمعية بعد ذلك ؟ . فأجابهُ الأستاذ صالح العلي ، مديرُ مدرسة التجهيز في "طرطوس" ، وقد ذكرناه قبل قليل ، إنّ مقصودها بالدين الإسلامي جميع المذاهب ، بما فيه المذهب الجعفري ، وبذلك تكونُ الجمعية تُنفذُ سياسةَ الدولة و تعملُ ضمنَ قوانينها . وبذلك انتهى النقاش .

في ختام المؤتمر تلا الشيخُ عبد الرحمن مقرّراتِ الجلسة السابقة ، وذكرَ ما تلقّته من تبرّعات . وطفق الحاضرون يتبرّعون ويُسجّلون أسماءهم بصفة أعضاء " وبهذا حصل

الاتفاق على تهيئة الجمعية بمقاصدها وأهدافها . والحمد لله رب العالمين " (20) .

بعد أن اجتازت الجمعية مرحلة تأسيسها ، وحصل الاتفاق على مقاصده ، بدأت المرحلة العملية : بدء العمل في ترميم مسجد " الدريكيش " ، إتمام مدرستها على نفقة الشيخ محمد اليوسف ، أهل " القرداحة " و " الحصنان " طلبوا بناء مساجد في قراهم ، بدء التحضير لإنشاء كُليّة بين " جبلة " و " بانياس " . وكتب الشريف حسن بن الشريف عبد الله إلى رشيد بيضون بطلب قبول عشرة طلاب من أبناء العلويين في الكُليّة العاملة مجاناً ، فأجاب بقبول خمسة عشر في السنة القادمة (21) .

ما من كبير فائدة للبحث ، في حدوده الحاضرة ، أي سيرة الشيخ وأعماله ، في الماضي بالحديث على " الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية " وتأثيرها البالغ على نهضة الشعب العلوي في أنحاء " سورية " . ولكننا نقول باختصار أنه ما من شك في أنه كان تأثيراً تاريخياً . فلأول مرة منذ قرون تلتقي نخبة واسعة من ابنائه على التأمل والتداول في سبيل النهوض به في مختلف الميادين . هذا بنفسه إنجاز كبير بالنسبة إلى شعب مأزوم ، درج على الانطواء على نفسه ، بتأثير ما حاق به في ماضيه من تنكيل وتهميش مزم . وها هو الآن وقد بدأ يتحرر من أزمته . ومن إمارات ذلك صدور كتاب " المختصر الجامع في الفقه الجعفري " لشيخين بارزين من شيوخه هما الشيخ عبد اللطيف الخير والشيخ محمود صالح رحمهما الله ، وهو في " أصول الدين وفروعه " . وقد عبّر الشيخ عن سروره البالغ بهذا الكتاب ، فكتب يقول :

" أهدى إليّ هذا الكتاب فقرأته فوجدت فيه ما كنت

أرجوه وأحاوله منذ سنوات ، من إحكام الصلّة بين

العلويين والشيعة ، والرجوع بهما إلى ما كانا عليه من قبل ألف سنة . إذ كانتا طائفة واحدة [. . . .] ولقد

قرت بهذا الكتاب عيني ، ويردّ ب ه قلبي ، وانشرح له

صدري . إذ رأيت به تحقيق الجمع بعد الفرقة ، والقرب

بعد البعد ، والوئام والاتصال بعد الهجر والجفاء [. . .]

(20) أيضاً / 479 - 485 .

(21) أيضاً : السنة الخامسة : 76 / 1 .

والحمد لله رب العالمين " (22) .

كما نذكرُ في السياق نفسه كتاب " الموجز المُبين في معرفة أصول وفروع الدين " للشيخ كامل حاتم مد الله في عمره ، وهو الوحيد الباقي على قيد الحياة من الهيئة التأسيسية الأولى للجمعية . و أيضاً كتاب " مَنْ هو العلوي " لعارف الصوص ، إلى غير ذلك ، وهو كثير . وكله يصبُّ في المنحى نفسه . ويدلُّ على الرّوح الجديدة التي عمرت نفس الإنسان العلوي ، بعد أن اكتشف مواطن قوّته . فاتجه إلى التعريف بذاته ، بعد أن كان غاية همّه الانزواء والانطواء .

ومما يجدرُ بنا ذكره هنا أيضاً ، اندفاع بقيّة المناطق التي لم تتمثّل في الجمعية إلى طلب توسيع هيئتها ، بحيث تضمّ من يُمثّل مناطقهم . وقد كتبوا إلى الشيخ بذلك (23) . بل إن بعض الأصوات التي وصلت من " تركيا " تدلُّ على أن أصداء ما ك - ان يجري آنذاك لإخوانهم في " سورية " قد حرّكت ما هو كامنٌ في نفوسهم ، فكتب أحدهم للشيخ يقول : " . . . في هذا الإقليم التركي المبعوث من جديد إلى حريّة التفقه ، الذي يأتينا بواسطة إخواننا في سوريا ولبنان " (24) .

خلاصة القول ، إن تأسيس " الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية " كانت النقطة التي انطلقت منها شريعة أهل البيت (عليهم السلام) في " سورية " . وليس من الصدفة أبداً أنه بعد أشهر قليلة من مؤتمرها الأول صدر عن أعلى سلطة في الجمهورية المرسوم التشريعي رقم (3) ، وهو أوّل نص رسمي يُعلن الاعتراف بـ " المذهب الجعفري " في " سورية " . (انظر نصّ المرسوم في ملحقات الكتاب) .

وقد ظلّ الشريف عبد الله رئيساً لها حتى وفاته ، رحمه الله ، في " اللاذقية " يوم الخميس 1 ذي الحجة 1395 هـ / 4 كانون الأول 1975 م . ومن أعمالها الباقية بناء جامع الإمام الصادق (عليه السلام) في " اللاذقية " . تمّ بناؤه سنة 1386 هـ / 1968 م . وهو أوّل مسجدٍ لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) فيها . ويعتبره العارفون حدثاً هاماً جداً في تاريخ مدينة " اللاذقية " والساحل السوري إجمالاً .

(22) الإسلام . . . : السنة السادسة : 1 / 148 و 154 .

(23) نفسه : السنة الخامسة / 81 - 280 .

(24) أيضاً : السنة الرابعة / 128 - 29 .

ومما يجدرُ بنا ذكره هنا أن الصّدَى الطيّب الذي اكتسبته الجمعيّة جعل منها سنّةً حسنةً ، اقتدتُ بها عدّةُ جمعيّات . منها " جمعيّة الإمام علي الرضا " ، تأسست سنة 1382هـ / 1962م في " جبلة " . ومن أعمالها بناءُ مسجدين فيها ، والمُساهمةُ في بناء مسجدٍ في قرية " بسيسين " ، و " معهدُ الإمام الحسين " لحفظ وتدرّيس القرآن الكريم . كما رعتُ دورةً مجانيّةً لتدرّيس القرآن ومبادئ الفقه . وجمعيّةٌ ثانيةٌ في " بانياس " ، تأسست سنة 1392هـ / 1972م . ومن أعمالها بناءُ مسجدين فيها ، مسجدُ الإمام الحسين (عليه السلام) ، ومسجد السيّدة الزهراء (عليها السلام) . وثالثةٌ في " طرطوس " ، تأسست في العام نفسه . وبنّتُ مسجداً ومستوصفاً فيها . كما ساهمت ببناء عددٍ من المساجد في قرى المنطقة . بالإضافة إلى معهدٍ لحفظ القرآن . كما تقوم بتنظيم دوراتٍ تدريبيّةٍ لأئمة المساجد ، إلى غير ذلك . وأنشأتُ فرعاً لها في " صافيتا " ، يتناولُ نشاطهُ المدينة وقراها . وهذا الفرع من أكثر الجمعيّات الجعفريّة نشاطاً في الساحل السوري . ومن أعماله بناءُ جامع كبير في " صافيتا " وحسينيّة ومأوى للعجزة ومستشفى باسم " مستشفى المُجتبى الخيري " ، يُقدّم العلاجَ مجاناً للفقراء ، ويضمّ زهاء الخمسين سريراً وغرفتين للعمليات الجراحية ، وقسماً للإسعاف والحالات الطارئة يُقدّم خدماته مجاناً . وتخصيص أرض لتكون مقبرة ، إلى غير ذلك ، وهو كثير .

الفصلُ الرابع

في الميدان العامّ

تمهيد

أولاً — توجّهاته ومواقفه السياسيّة

تمهيد

أ : منظوره لعمل الفقيه في الميدان السياسي

ب : مع "حكومة الشرق العربي" في دمشق

ثانياً — أعماله في التقريب بين المذاهب الإسلاميّة

— أولاً : توجهاته ومواقفه السياسية

تمهيد

نشأ الشيخُ وشبَّ في ظلِّ حَدَثِ انقلابيِّ كبير، هو سقوطُ آخر صيغةٍ للعلاقات السياسية تحت شعار الإسلام ، بسقوطِ دولةِ الخلافةِ العثمانيةِ . حقٌّ أن ذلك الحدَثُ الكبير لم يكن بنفسه خسارةً أنيةً ومباشرةً للشعوب الإسلامية . وذلك بسبب المظالم الرهيبة التي ارتكبتها دولةُ الخلافةِ بحق الشعوب التي كانت تحت سلطانها ، وأغلبها من المسلمين ، خصوصاً في أيامها الأخيرة . بحيث اعتبرت تلك الشعوبُ سقوطها بحق باباً يُفضي إلى الخلاص والفرج . ومنتت نفسها بالحرية والاستقلال من بعده . ولكن الحقيقة ، التي سرعان ما اكتشفوها ، أن سقوطَ دولةِ الخلافةِ قد أزالَ سداً سياسياً وعسكرياً منيعاً ، كان يمنع الغربَ ، الذي ما انفكَّ يُبطنُ نوايا استعماريةٍ مُزمنة تجاه ديار المسلمين ، من أن يُحقِّقَ أحلامه القديمة في بسطِ سُلطانه عليها . هكذا ، فإنه ما إن سقط ذلك الحاجز الأخير ، حتى جرى تقاسمُ كامل أرض الإسلام بين الدول الغربيةِ جهاراً نهاراً . بحيث أنه ، في نهاية ما يُسمَّى زوراً بالحرب العالمية الأولى ، لم تبقَ ذرّةُ ترابٍ إسلاميةٍ واحدةٍ حُرّة . ثم أنه بدأ عمله في مختلف الميادين في ظلِّ سُلطاتٍ محليةٍ ، لم يكن له من السُلطةِ إلا اسمها . في حين كانت السُلطةُ الحقيقيةُ لرجال الانتداب الفرنسي في وطنه ، ولرجال الانتداب الإنكليزي في ميدان عمله الأوّل ، أي " العراق " . ومعلومٌ ممّا فات أن الانتدابَ لم يكن إلا غطاءً مُنافقاً للسيطرة الاستعمارية ، جرى تمويهه بقرارٍ دولي ، كان طليعةَ قراراتٍ كثيرةٍ مُماثلةٍ ، ما تزالُ دارجةً حتى اليوم .

وطبعاً كان لكل ذلك تأثيره المباشر على توجهاته ومواقفه السياسية ، ممّا سنعالجه في الصفحات التالية .

أ : منظوره لعمل الفقيه في الميدان السياسي

عندما كان الشيخ يُغذُّ السَّيرَ من "بغداد" باتجاه وطنه سنة 1334هـ / 1915م ، ناجياً بأسرته الصغيرة من الهول القادم ، بعد أن أعلنت الدولة العثمانية دخول الحرب إلى جانب دول المحور ، — كان يُحدِّثُ نفسه بـ " التفرغ لتأدية ما يجب من الوظائف الدينيّة ، العباديّة والسياسيّة " ، هكذا كتب في مُذكراته (1) .

من الجدير بنا أن نؤفِّقَ وقفه متأنيةً عند هذه العبارة ، فهي غنيّة بالمعاني ، بحيث تصلح مفتاحاً لهذا الباب من أبواب سيرته .

ذلك أنها ، أولاً ، تُنبئُ عن مفهومٍ مُتقدِّمٍ جدّاً للوظيفة الدينيّة عند قائلها ، يجمع على صعيدٍ واحدٍ بين ما هو عباديٌّ وما هو سياسيٌّ . لاشكّ في أنه استقاه من البيئة الفكريّة الخصبة التي كانت مُزدهرةً آنذاك في حاضرتي "النجف" و "كربلاء" . اللتين أنجبتا وستنجبان بعد قليل أبطالاً كباراً ، قادوا وسيقودون نضالَ "العراق" في سبيل استعادة حريته السليبية : السيّد محمد حسن الشيرازي ، والشيخ محمد تقي الشيرازي ، والشيخ محمد كاظم الخراساني ، والسيّد محمد كاظم اليزدي ، وشيخ الشريعة الإصفهاني ، على اختلاف توجهاتهم وأدائهم السياسي .

كما أنها تُنبئُ ، من منظورٍ ثانٍ ، أنه في تلك اللحظة المُبكرة من دخول الغرب في الصورة السياسيّة للمنطقة ، كان هو يحملُ فكرةً مُدهشةً في صوابها ودقتها عمّا يُحَاكُّ للمسلمين . كما كان يستشرفُ صورةً لا تقلُّ صواباً ودقةً للمستقبل الكالح الذي ينتظرهم . حيث تابع فكتب يقول : " الدهرُ قد أوتر قوسه وفوق سهامه . ودارت على المسلمين الدوائر . وتغيّرت وجوه الأكابر والأصاغر " (1) . احتاجَ أربابُ السياسة العرب إلى وقتٍ طويل للوصول إليها . وبالتحديد إلى ما بعد انكشاف المعاهدة السريّة ، التي عقدتها الدول الغربيّة فيما بينها على اقتسام العالم الإسلامي بعد الحرب ، والمعروفة بـ "معاهدة سايكس بيكو" . ولم يفتضح سرُّها إلا سنة 1918م .

ثم أنها ، من منظورٍ ثالثٍ ، توقفتنا على ما يبدو أنه تباينٌ شديدٌ بين ما يوحيه المشهّد المنظورُ ، وبين ما كان يدور في ذهن صاحبه وما يتجه إليه . فبينما يوحى لنا مشهّدُ

ربّ الأسرة النّاجي بأُسرته من الأخطار القادمة ، أن تفكيره كان محصوراً في واجبه كربّ أسرة ، تضعنا كلماته وجاءَ إنسانٍ مسؤول ، يُحلّل بعمقٍ وصوابيةٍ مذهشةٍ معالمَ المستقبل القادم ، ويتجّه إلى القيام بما تُمليه عليه من وظيفةٍ دينيةٍ ، هي عنده جماعٌ ما هو عبادي وما هو سياسي .

هكذا ، فإنه عندما خرج من "العراق" خروجه الأول ، وكان آنذاك في حوالي الثامنة والعشرين ، كان عاقدَ العزم على ولوج ميدان العمل السياسي ، حيث سيكون أقدراً عليه ، أي في وطنه .

ب : مع " حكومة الشرق العربي " في دمشق

كان أولُ وضعٍ سياسيٍّ تعامل معه في وطنه تأييده المؤقت للحكومة التي أنشأها الأميرُ فيصل ، الملك فيصل الأول على "العراق" فيما بعد ، على جزءٍ من "الشام" ، هي ما عُرف فيما بعدُ بـ "البنان" و "سورية" . ولكنه سرعان ما اكتشف أنها دونَ ما يسعى إليه ويرجوه ، وأنها لم تكن إلا لوناً جديداً وأكثرَ خبثاً مما لا يُقاس من الخضوع للأجنبي . فانصرفَ عنها وعن كلّ عملٍ سياسي . إذن ، فهي تجربة الوحيدة في العمل السياسي المباشر . ومن هنا وضعنا لهذا الجانب من سيرته عنواناً فيه المواقف و التوجّهات ، دون ذكر العمل .

والحقيقةُ أن قصةَ هذا المشروع هي جزءٌ من الخدعة المحبوكة الكبرى التي ارتكبتها الإنكليز بحقّ العرب . إذ منّوهم بوعودٍ ومعاهداتٍ كذبٍ بالاستقلال والحرية ، إذا ما هم وقفوا إلى جانبهم في حربهم مع الدولة العثمانية . فلما تحقّق لهم ما يبتغون ، وسقطت الدولة العثمانية ، تناسوا كل وعودهم وعهودهم ، وضربوا على بلاد العرب صنفاً أسوأ من الاحتلال ، تحت شعار الانتداب .

ولقد بدأتُ القصةُ في "الحجاز" ، بإعلان الشريف حسين بن الشريف علي خروجه على العثمانيين . فأعلن خلع طاعتهم . وطرّد موظفيهم ومن كان يُمثّلهم في بلاده . ثم جهّز جيشاً بمددٍ من الإنكليز ، طفق يهاجم المراكز العثمانية . تقدّم باتجاه "الشام" ، بقيادة ابنه الأمير فيصل ، مقاتلاً فلول الجيش العثماني المنهكة حيثما وجدت . وفي نهاية هذا غدا الحاكم الفعلي على "دمشق" و "حلب" و "رياق" و "بيروت" . أو هكذا كان يبدو .

تحت عنوان " فيما جرى بعد الاحتلال " كتب الشيخ في مذكراته تحليلاً دقيقاً

ومُسهباً للحالة السياسيّة في "الحجاز" و "بلاد الشام" ، نفتبسُ منها مايلي :

" لم تمض مُدّةٌ يسيرةٌ على استقرار الحك و مات

المحتلة ، حتى اشتهر وشاع أن للشعوب حرية اختيار

الاستقلال . وأنه ليس لأمةٍ أن تحكم أُخرى إلا برضاها

[. . .] وشاع صدورُ الرأي بتحرير الشعوب ، والسعي

في سبيل تأييده عن [ودرو] ولسُن رئيس أميركا وزعيم

مجلس جمعيّة الأمم [مؤتمر الصلح] المُشكل من

مندوبي الدُول المتحاربة . فكان المندوبُ الأوّل من قبَل

الشريف حسين ولدهُ الأمير فيصل ، بعد استقراره في

الشام مُدّةً يسيرةً . فاغتتم السوريون الفرصة لطلب

الاستقلال التام الناجز " (2) .

كان أوّلُ اتصالٍ واسعٍ مُباشرٍ لعلماء "جبل عامل" ، وم نهم الشيخُ ، بالأمير

فيصل إثر عودة هذا من مؤتمر الصلح في "باريس" . ف " استحسن جمعٌ من علماء جبل عامل

استقباله للاجتماع به في بيروت [. . .] فاجتمع به عدّةٌ من أفاضل العلماء كنتُ معهم . قدموا بيروت

لأيامٍ بقينٍ من شهر رجب سنة 37 [13هـ] / [نيسان 1918م] (3) . نعرف منهم ، فضلاً عن

الشيخ ، السيّد عبد الحسين شرف الدين ، والسيّد عبد الحسين نور الدين ، والشيخ عبد

الحسين صادق ، رحم الله الجميع . وكان السيّد شرف الدين أكثر الجميع حماساً

للأمير وتأييداً له ، وعداءً وشجباً لفرنسا وسياستها . بحيث أنه " تفرّغ لهذا الأمر بكلّته ،

واستفرغ وسعه بالجدّ في سبيله " (2) .

تمخّض اللقاءُ بالأمير عن دعوته لهم إلى مُرافقته إلى "دمشق" ، " للوقوف على ما

وقع لنا في الغرب من أمر البلاد (4) . فتوجّهوا معه في القطار الحديدي إليها . وقد وصف الشيخُ

الحشودَ التي اجتمعتُ في المحطات لاستقباله " رافعين الأعلام العربيّة " (4) .

(2) حديث النعم / 45 .

(3) نفسه / 46 .

(4) أيضاً / 47 .

في " دمشق " نزل الوفد في محلة الخراب في بيت عالمها السيد محسن الأمين رحمه الله . وفي اليوم التالي أولم لهم الأمير وليمةً عامرةً . قام فيها الشعراء والخطباء مُنشدِين ومُتكلِمين . وفيها ألقى الشيخُ قصيدةً مدح فيها الأمير واستنهضه ، يجدها القارئ فيما جمعناه من شعره في الفصل التالي . ومن قبلُ ألقى الشيخ عبد الحسين صادق قصيدةً مُماتلة . وانفضَّ الجمعُ على موعدٍ في اليوم التالي ، حيث سفي الأمير بوعدِه بأن يُبين لهم سياسته وما وصل إليه في مؤتمر الصلح .

في اللقاء الموعود ، وكان حاشداً تمثلت فيه زعماء البلاد وشيوخ القبائل والقادةُ الدينيون من مختلف المذاهب والأديان ، ألقى الأميرُ كلمةً جامعةً بين فيها سياسته وسياسةً أبيه من قبله ، منذ إعلان هذا الخروج على العثمانيين ، إلى إعلان الحرب عليهم بمددٍ غير خفيٍّ من الإنكليز . وصولاً إلى مؤتمر الصلح ، وما جرى فيه من نقاشٍ على وضع العرب وأهليهم لحكم أنفسهم . وختم كلامه بالقول :

" وأُعطينا الاستقلال خارجاً . ولكن بقي أمران

- . تعيّن اللجنة الدولية للنظر فيهما ، وستفدُ عليكم قريباً .
- . الأول ، النظر في أن للعرب أهلية الاستقلال أم لا
- . الثاني ، أنها تريد ذلك أم لا . وهذا راجعٌ لكم " (5) .

وفي نهاية اللقاء نال الأمير ما كان يسعى إليه ويعمل له منذ لقاء الوفد في

"بيروت" ، ألا وهو الحصول على وكالةٍ مُطلقة من الزعماء والقادة المُجتمعين ، وتأييد أعماله في مؤتمر الصلح ، ومطالبة بمتابعتها .

في اليوم التالي عُقد لقاءً خاصاً بالأمير وأخيه الأمير زيد ، حضره من الوفد الشيخُ والسيد شرف الدين ، في حين قفل باقي الوفد عائداً . ولسنا نعرف ما ذا دار في ذلك اللقاء ، لأن الشيخ أشار إليه في مذكراته إشارةً مُجملةً جداً . ولكننا لا نشكُّ أبداً في أنه إنما عُقد بطلبٍ من الوفد أو بعض أعضائه ، للتداول في أمورٍ ممّا يهمُّ أو يتعلّقُ بالوضع السياسي ، أثر أن لا ييؤخَّ به لأسبابٍ غير معروفة .

لكن الشيخ خرج من ذلك اللقاء ليتخذَ قراراً غير مُتوقَّع ، بترك كل ما هو فيه ،

والهجرة إلى " النجف " ، حيث ينقطع إلى الله سبحانه ، ويتفرَّغ للعلم (6).

مما لا ريب فيه عندنا أن ذلك القرار كان كله خيراً وبركةً. على الأقل لأنه قاده بعد عدّة سنوات إلى "العمارة" ، وما كان له فيها من دورٍ تاريخيٍّ ، بسطنا القولَ عليه آنفاً في الفصل السابق . الأمرُ الذي لم يكن ليحصل على الأرجح لو انه بقي في وطنه . ولكن ذلك لا يُعطينا من التساؤل عن السبب المُباشِر الذي أدّى به إلى ذلك القرار المُفاجئ . ولقد بيّن الشيخُ أسبابَ قراره هذا بأن كتب يقول : " لما تبيّن لي في هذه المُدّة من أمور الناس [. . . .] وشِدّة تكالِبهم في أمور الدنيا . وزادني رغبةً ما تبيّنتُ من الفتن المُقبلة " (6) . وهذا أيضاً كلامٌ مُجملٌ ، ينحلُّ إلى سببَيْن ، أوْلهما أخلاقيٍّ ، والثاني تحليليٍّ يستشرفُ المستقبل استناداً إلى مُعطيات الحاضر .

أمّا الأمرُ الأوّلُ فهو ما رآه من شِدّة تكالِب الناس في أمور الدنيا . وما ندري هل أن هذا الانطباع عنهم قد تكونَ لديه نتيجةُ المُعاشرة الطويلة ، أثناء السنوات التي أمضاها حتى الآن في وطنه ، فيكون انطباعاً عاماً . أم أنه نشأ من هذا الحراك السياسي الذي شارك فيه ، فيكون انطباعاً خاصاً بأهل السياسة ، أراه أنهم مُجرّد طلابُ منافع ، لا همّ لهم إلا طلبَ الجاه والرئاسة .

مهما يكنُ فإن من الأجدربنا الآن أن نقفَ عند الأمر الثاني ، عسى أن يوضحَ لنا الغامضَ ممّا بدّلَ طريقه وجعله يتجه إلى "العراق" ، الذي غادره قبل عدّة سنوات ، بعد أن تبيّنَ نذُرَ الحرب القادمة . فمَ ذلك الذي رآه أو سمعه في سفره من بلده إلى "بيروت" فـ "دمشق" ، بحيث بانّت له "الفتن المُقبلة" ؟

لننمّن فيما اقتبسناه أعلاه من خطاب الأمير فيصل في الجَمع ، ونال على أساسه الوكالة المطلقة منه بأن يُتابع سياسته ، ففيه أمورٌ في غاية الخطر . نرى أنها أكثرُ من كافيةٍ لتبيّن تلك "الفتن المُقبلة" . وغريبٌ حقاً أن ينال على أساسها ما كان يسعى إليه ويعملُ له . أوْلها قوله : " أُعطينا الاستقلالَ خارجاً " . فما هو هذا المفهوم الذي لا سابقةَ له في الأدبيّات السياسيّة ؟ وفي مُقابل ماذا هو ؟ وهل ثمة استقلالٌ من خارج أو خارجي ، واستقلالٌ من داخل أو داخلي ؟

في غياب المفهوم الواضح لهذا النمط من (الاستقلال) ، ما من سبيلٍ للجواب عن هذه الأسئلة ، إلا بمقارنته بالأداء السياسي للمُحتلّين الجُدُد . ومن المعلوم أن "فرنسا" سعت بكلّ ما تملك إلى إنشاء كياناتٍ سياسيّة دينيّة : دولةٌ مسيحيّةٌ في "لبنان" ، دولةٌ سُنيّةٌ أو أكثرُ في "دمشق" و "حلب" ، ودولةٌ علويّةٌ في الساحل السوري والجبل .

فهل هذا المشروع هو ما عناه الأمير بـ " الاستقلال خارجاً " ؟ لا مفر من الجواب بنعم كبيرة . فعنه ستنشأ مجموعة من الدول (المستقلة) ، بمعنى أنها ذات حدودٍ سياسيةٍ مرسومة ، لكلٍ منها عاصمتها و علمها ونشيدها الوطني . وستتلقّى الاعتراف بها من مختلف الدول . وبذلك تتمتع بـ " الاستقلال خارجاً " . أمّا (الاستقلال داخلياً) ، بمعنى إدارة شؤونها كأى دولةٍ حرّةٍ ، فهذا أمرٌ آخر . سيبقى مرهوناً بإرادة الدول المُجتمعّة في مؤتمر الصلح . التي من حقها أن تنظر وحدها في أن " هل للعرب أهلية الاستقلال أم لا ؟ " وهل هي " تريد ذلك أم لا ؟ " . المُفارقة الكبرى هنا ، أنه ما من أحدٍ من ذلك الجَمع الكبير ، وهم جميعاً من قادة الناس وزعمائهم ، سأل الأمير عن معنى " الاستقلال خارجاً " . فكانت النتيجة أن منحوه وكالةً مُطلقةً بأمرٍ ، كل ما نعرفه يدلّ على أنهم لم يكونوا يفهموه .

أمرٌ آخر أراه جديراً بالذكر ، في عداد الأسباب المُحتملة لما رآه الشيخ من " فتنٍ مُقبلة " ، وبالتالي انكفائه نحو " العراق " . فمن المعلوم أن السيّد عبد المطلب الأمين ، ابن السيّد محسن الأمين الذي قضى الوفد العاملي في ضيافته ليلةٍ أولم لهم الأمير ، وكان آنذاك سفيراً لـ " سورية " في " موسكو " ، - هو أوّل من أطلق النذير بما يُبَيّته الحلفاء المُنتصرون للعرب . بعد أن فضح السوفييات معاهدة سايكس - بيكو (7) . فهل كان السيّد الأمين من أوائل من عرفوا من ابنه بسرّ تلك المعاهدة المشؤومة ؟ وهل أعلم ضيوفه بها ؟ ثم هل طلب بعضُ أعضاء الوفد عقدَ ذلك الاجتماع الطارئ بالأمير وأخيه الأمير زيد للتداول في هذه المعلومة التي تقلبُ كلّ التوقّعات ؟ أسئلةٌ من الأرجح أنها ستبقى دون جوابٍ مؤكّدٍ . إلا أنها أيضاً مُجرّد احتمالٍ يصعبُ تجاهله .

مهما يكن فإن الشيخ سارع بعد عودته من " دمشق " إلى الارتحال إلى " النجف " ، بنية الهجرة الدائمة ، كما ذكرنا فيما فات . وبذلك فتح صفحةً جديدةً في سيرته ، قلنا آنفاً ونقول الآن أنها كانت خيراً وبركة .

(7) انظر الترجمة له في كتابنا " أعلام الشيعة " .

ثانياً - أعماله في التقريب بين المذاهب الإسلامية

(تمهيد)

من أبرز معالم أداء علماء الشيعة في فترة البحث ، اعتناؤهم البالغ بالتقريب بين أتباع مختلف المذاهب الإسلامية . بحيث يحلُّ التعارف والتعاون محلَّ التناكر والتدابير . وما ذلك منهم فقط عملاً بواجب شرعي بحسب المبدأ . ولكنه بالإضافة لذلك استجابةً صحيحةً لكيدِ مدروس ، رمى إلى أمر كبير ، سنقفُ عليه بعد قليل . ومن ذلك الأداء ، وأكثره أهميةً ، تأسيس " دار التقريب بين المذاهب الإسلامية " في " القاهرة " . وذلك برعايةٍ من أحد أكبر المراجع الشيعة في ذلك الأوان السيد حسين البروجردي ، وإدارة وتخطيط وسعي الشيخ محمد تقي القمي ، رحمات الله عليهما .

في فترة البحث ، كانت الحركة الصهيونية والقوى الكبرى المتعاونة معها تصلُّ الليلَ بالنهار في العمل تحضيراً لاغتصاب أرض " فلسطين " وإخراج أهلها من ديارهم . وغنيٌّ عن البيان أن عدواناً كبيراً كهذا حقيقٌ بأن يُثيرُ سؤرة غضبٍ عارمةٍ لدى إخوانهم في كافة الأقطار . حقٌّ أن العالمَ الإسـلامي كان في ذلك الأوان في حالةٍ عطالةٍ سياسيّةٍ وعسكريّةٍ ، بسبب السيطرة الاستعماريّة الكاملة عليه . ولكن الشعوب وحسبها الإسلاميّ قوّة لا يمكن تجاهلها .

في ذلك الطرف العصيب ، الذي كان يقتضي تكاتف المسلمين جميعاً على دفع الخطر القادم ، وبينما كان المجاهدون الفلسطينيون يخوضون حرباً يائسةً ضدَّ الانتداب الإنكليزي لبلدهم ، الذي لم يوفر وسيلةً لتسهيل الهجرات اليهوديّة إلى " فلسطين " ، تحت شعار وعد بلفور المشؤوم ، - صدرت في وقتٍ واحدٍ تقريباً عدّة كُتُبٍ في " مصر " و " فلسطين " و " مصر " و " لبنان " و " الهند " . الأمرُ الجامع بينها العملُ على إثارة فتنةٍ مذهبيّةٍ بين السُنّة والشيعة ، عن طريق النّيل من الشيعة ، ورميهم بصنوف البهتان ، إلى درجة إخراجهم عن الإسلام . حصل ذلك وكأنما بتنسيقٍ مُسبقٍ فيما بينهم ، دونما أدنى مُقتضٍ أو سببٍ ظاهر . وكان أقدعهم سُبَاباً وأفحشهم قولاً ، ويا للغرابة ، الفلسطيني محمد إسعاف النشاشيبي ، في كتابه (الإسلام الصحيح) . مع أنه ينبغي أن يكون الأكثر حرصاً وعملاً على وُحدة الموقف والصف الإسلامي ، لما في ذلك من مصلحةٍ واضحةٍ لبلده وشعبه المُهدّد في مصيره .

لسنا ندري ، وأنتى لنا ، من ذا الذي أو عزأ أو دفع أو أغرى أولئك الخمسة بالخروج على الناس بذلك الخطاب الفتوي . ولكن توقيت خروجها في أزمانٍ مُتقاربةٍ ، دليلٌ كافٍ على أن الخطّة خرجت من رأسٍ واحدٍ .

وغيّ عن البيان أن الحركة الصهيونيّة هي المُستفيدُ وصاحبُ المصلحة الأول في مشروع الفتنة هذا . ممّا يدعو إلى الظن القوي أنها هي التي أو عزت أو دفعت باتجاه إيقاد فتنةٍ بين فريقَي المسلمين . ونحن نعرفُ أنها بتغلغلها في مسامٍ الدنيا ، تحت مختلف الأسماء والعناوين ، لن تُعدم الوسيلة إلى ذلك ومثله .

المُهمُّ ، والأحرى بنا أن ننتبعه ونحن نورّخ لتلك الأيام الحافلة بالشّدائد ، أن نقول أن تلك الكُتُب أثارت ضجةً هائلةً ، اجتاحت العالمَ الإسلاميّ من أدناه إلى أقصاه . وتجاوبت جنبائهُ بسيلٍ من الردود ، التي استتبعَت ردوداً على الردود . ممّا شكّلَ بمجموعه أسوأ ظرفٍ للمواجهة القادمة . هو ذا ما نُسمّيه بالمُشاغلة . أي افتعال الشروط التي تجعلُ الخصمَ مشغولاً بمشاكله الخاصّة ، والتافهة غالباً ، عن مُواجهة الخطر الأكبر . مع أنه يراه ويملكُ القدرةَ على دفعه أو ، على الأقلّ ، مُدافعتة ، إن هو تحرّر من عقده التاريخيّة ، وعمل على رصّ صفوفه .

ذلك هو ، بإيجازٍ شديد ، الظرف الذي بذل فيه الشيخُ وسُعه في ترشيد الخلاف بين فريقَي المسلمين .

1 - تصنيفه كتاب " الحقائق في الجوامع والفوارق "

في السنة 1354هـ/1936م صنّف الشيخ كتابه " المطالب المُهمّة " ، في الردّ على مقالة نشرتها مجلة " العروبة " " في عددها الرابع من سنتها الثانية " (1) ، التي كانت تصدر في " القدس " . تحملُ عنوان " قبضةٌ من جوامع الكلم لمحمد إسعاف النشاشيبي " . وهو عنوانٌ لا يُخفي تأييداً صريحاً لمضمون المقال . خصوصاً وقد أعطتها ذلك العنوان التفخيمي الرنّان " جوامع الكلم " . مع أنها لم تكن غير مجموعةٍ من الشتائم والافتراءات المُوجّهة إلى الشيعة . ومع أن صاحبها كان إنساناً مغموراً ، لم يُعرَف له أي عملٍ يستحق الذكر ، لكي يستحق بأن يُوصَفَ كلامه بذلك الوصف الكبير ، قبل أن يخرج على الناس بكتابه السيئ الذكر " الإسلام الصحيح " ، الذي سبقت الإشارة إليه وإلى مضمونه قبل قليل . ثم انطفاً ذكره من بعدُ . فكأنه إنما جرى تلميحٌ صورته لغايةٍ مُحدّدة . فلما أنجزها صُرفت عنه الأضواء ، وعاد إلى حجمه الحقيقي النكرة . وهذا يؤيّد ما ارتبنا فيه آنفاً ، أن أولئك الكُتّاب كانوا ، عن علمٍ أو غير علمٍ ، مُنفذين لخطّةٍ عدوّة ، رمت إلى بذر الشقاق والفتنة بين المسلمين . ولكن مقاصدهم هم ممّا يستعصي على التبرير . خصوصاً ما من سببٍ إطلاقاً ، يستلزم أو يستتبع تلك الحملة الشعواء .

ممّا قدّم الشيخ به لكتابه أن قال :

وإني لأعجبُ ويعجبُ له كل مسلم إصدارَ هذه
الكلمات المملوءة افتراءً على المسلمين ، في عصر
توقرت فيه أسبابُ الوصول إلى الحقائق ، وتنوّرت أفكارُ
أهله بما أمدتهم به أدواتُ النشر والتأليف من علم
وعرفان "

" هذا مُضافاً لما اتضح لعقلاء الناس ونبلائهم
حاجتهم للالتفاف والاتفاق . وانحصار نُجحهم في عموم
مشكلاتهم ومعضلاتهم بالاجتماع والتعاقد "

" فنحن بينما كنا نتوقع من قادة الإصلاح ، ورؤاد

(1) المطالب المُهمّة ، ط. مطبعة العرفان ، صيدا 1354هـ/1936م / 1 .

الحق ، ودعاة الإلفة ، ومُحبِّي جمع الكلمة ولمّ الفرقة من علماء المسلمين وأدبائهم البيانات الشافية في الدعوة إلى الإخاء ، والمقالات الضافية في نبذ التنازع والاختلاف والاختلاق ، - إذا بالنشاشيبي ومن على شاكلته يتقدمون إلى عكس ذلك [. . . .] وما يُدريك لعلّ النشاشيبي وأمثالهم ، وما أكثرهم اليوم ، يدّ من أيدي المُستعمرين ، وإصبع من أصابعهم العابثة في نفس يات المسلمين وعقائدهم " (2)

عالج الشيخ في كتابه هذا عدّة مسائل ممّا تقول به النشاشيبي وناسبَ غرضه الفتوي : القولُ بنقصان القرآن . صحّة التأويل فيه . ما يجبُ العملُ به من الحديث . سيرة النبي (صلوات الله عليه وآله) . سَيِّقُ علي (عليه السلام) في إيمانه وتقليده الوزارة . معنى الشيعة . الإمامة التي تقول بها الشيعة ؟ ومع ذلك فإن الذي يبدو لي أن كتاب " المطالب المُهمّة " كان فعلَ ضرورة ، وارتكاساً طبيعياً على العدوان . أملته سَوْرَةُ الغضب الجماهيري العارم الذي أثارته مقالة النشاشيبي . فكان لا بُدّ من تلطيف الاحتقان والشحن النفسي ، الذي كان في استمراره وتركه يتفاعل ما يُحقق مرامي النشاشيبي أو من وراءه . وأقرب أداة تلطيف هي الرّدّ القوي المُفحم ، الذي يُرضي الجمهور وإن كان لا يشفي . في سبيل مُعالجة جذريّة منهجيّة للمُعضلة ، انصرف على الأثر إلى تصنيف كتابه الشهير " الحقائق في الجوامع والفوارق " . وهو اسمٌ يشي بالمنهجي الصّارم الواضح الذي بنى عليه كتابه . وسنقف عليه بعد قليل .

بنى الشيخ كتابه على مقولتين :

- الأولى : إن سبب الشحناء بين الشيعة والسنة ليس ما بينه م من اختلافٍ كلاميٍّ وفقهي . بل هو الإرثُ التاريخي . هناك ذاكرة تاريخيّة عند الطرفين ظلّت تُشحن لمدّة قرون بما لا يؤدي إلى غير البغضاء . من جانب الشيعة صنوفُ المظالم التي أنزلت بهم من أنظمة الحكم المتوالية ، باعتبار أن الذين يُساندون تلك الأنظمة ينتمون إلى هذا المذهب أو ذلك من المذاهب الأربعة . ومن جانب السنة التضييل الذي افتعله علماء السوء ، بإغراء

من السُّلطة لهم ، بحيثُ أُسندوا إلى الشيعة مختلف القبائح ، و نعتوهم بأقبح الأوصاف والألقاب . " وصاروا إذا أُريدَ ذكر أحدهم قيل فيه رافضيّ خبيث . وبلغ الحال بالشيعة أن أحدهم يرضى بأن يُقالَ له يهودي ، ولا يُقالَ له شيوعي (3) . خلاصة هذا التحليل ، أن الأداء السياسي المُتمادي للسلطة على يد عسكرها وفقهائها ، هو المسؤول عن تكوين تلك الذاكرة لمصلحتها . ولا علاج له اليوم إلا بتكوين وعي جديد ، مَبنيّ على النظر إلى المصلحة الجامعة ومقتضياتها . خصوصاً وأن الهمَّ اليوم واحد ، وما عاد من جدوى لبقاء هذا التنازع " بعد أن ذهب من المسلمين ما كانوا يختلفون عليه من مُلك . و زال عنهم ما كانوا يتنازعون لأجله من سلطان " (4) . وهذا من مسؤولية الأُمَّة بأكملها ، أي أنه يقعُ خارجَ منهج الكتاب ، وإن لم يكن خارجَ همّه .

— الثانية : إن ما يفصل فكرياً ، كلامياً وفقهياً ، بين الشيعة من جهة ، والمذاهب السُننية الأربعة من أُخرى ، ليس خطأ مُستقيماً ، منه ويميناً مثلاً الشيعة ، ومنه ويساراً السُننة . أي أنهما ليسا فريقين أو مدرستين . بل هم جميعاً خمسُ مدارس تختلف فيما بينها . وقد تتفقُ هذه المدرسة مع تلك في وجهة نظر ، لتختلفُ معها في أُخرى . وعلى أساسٍ من ذلك ، فإنه ليس من الصواب تحميل العمل الفكري – الاجتهادي مسؤولية بذر الشقاق .

" إعلم أن هذا الاختلاف الواقع بين الشيعة

والمذاهب الأربعة واقعٌ مثله بين كل واحدٍ من المذاهب الأربعة والباقيين . فالخلافُ الواقعُ بين الحنفية مثلاً وبقية المذاهب لا ينقصُ عن الخلافِ الواقعِ بين الشيعة وبينهم . وكذلك الخلافُ الواقعُ بين المالكية ، مثلاً ، والباقيين ، وهكذا . إلا أنني لم أتعرضُ في هذا الكتاب إلى شيءٍ من ذلك ، ولا هومن قصدي . وإنما تعرّضتُ لبيان خصوص مسائل الوفاق والخلاف بين الشيعة والمذاهب الأربعة فقط "

" إن العداوة والبغضاء بين جهال الشيعة والسنة لم

(3) الحقائق في الجوامع والفوارق ، ط. بعلبك 1375 هـ / 1956 م : 1 / 16 .

(4) نفسه / 15 .

تكن مُسببةً عن ذلك . فلقد كان الاختلافُ في الأحكام ،
 والتنازع في الآراء بين الشيعة وغيرهم في صدر الإسلام
 ولكنه لم يكُن يتجاوز اللسان . كما ربما يكون بين
 عالِمين يتناظران في مسألةٍ ، ويطولُ بينهما الجدل ،
 ثم يستقر رأي كل واحدٍ منهما على حكم " (5) .
 بهذا المنهج الواضح الصّلب ، المُستند إلى رؤيةٍ تحليليةٍ دقيقةٍ لأسباب الشقاق ،
 شرعَ الشيخُ في تصنيف كتابه الفذّ . وكتب في مقدمته يقول :

" إلى ذوي الشعور الحيّ . إلى أهل الأفكار الحرّة .
 إلى أصحاب العقول الرّاجحة . إلى ذوي الألباب . إلى
 الذين يهتمهم جمعُ كلمة المسلمين ولمّ شعنتهم . إلى الذين
 يرون أن الحقّ أحقّ بأن يُتبع . إلى أمثال هؤلاء أهدي
 كتابي وأقدمُ سطورِي . فإن وُجدَ عليه إقبالٌ وبه عملٌ ،
 فذلك ما أظن ، وهو الذي أرجو وأرغب . وإلا فقد أدبْتُ
 ما عليّ " (6) .

بعد مُقدّمةٍ علميةٍ ضافيةٍ ، عزّزَ فيها رؤيته لتعاطي المسلمين في البحث والحواردون
 قيود إبان القرون الثلاثة الأولى ، شرعَ في تطبيق منهجه . فطفق يتناول المسائل الفقهية
 على ترتيبها في كُتُبِ الفقه . مُبيناً مواطنَ الإجماع حيث تكون ، ومواطنَ الاختلاف حيث
 يقع . أخذاً بيد القارئ ليلمس لمسَ اليد أن الخلاف الفقهي إنما هو عملٌ اجتهادي ، خاضعٌ
 لمنهج الفقيه . وليس جداراً فاصلاً بين ملّتَيْن . ومن الغنيّ عن البيان أن تطبيق هذا النهج
 يقتضي جهداً خارقاً في تتبُّع الآراء ومقارنتها .

ولقد أصاب كتابُ " الحقائق " نجاحاً واسعاً . أولاً بفضل طرافة منهجه وموضوعيته
 المطلقة . وثانياً لأنه صوّبَ على هدفٍ نبيلٍ ، في وقتٍ كانت الأجواءُ ملوّثةً بكتابات جمّةٍ
 رمت جميعها إلى تسعير الشقاق كما عرفنا . فتمنى السيّدُ أبو الحسن الإصفهاني ترجمته إلى
 اللغات الأجنبية . وكتب السيّدُ هبة الدين الشهرستاني يقول : " ذلك السّفر القيم ، الفريد في بابه ،

(5) أيضاً / 16 - 17 .

(6) أيضاً / 2 .

المُفيد لطلابه ، والذي عجزت الأفلامُ والحق يُقال عن أداءِ حقّه " . والشيخ راضي آل ياسين : " لقد سرّني أن وُجد للشيعَة مثل هذا الكتاب " (7) . وكتب إليه الشيخ محمد تقي القميّ، السكرينير العام لـ " دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة " في " القاهرة " يطلبُ إرسالَ عددٍ من نُسخ الكتاب ، ليجري توزيعها حيث تنفع .

هكذا بدأ اهتمام الشيخ بمسألة ترشيد الخلاف بين مذاهب المسلمين ، بالردّ على مقالة النشاشيبي ، بكتابه " المطالب المُهمّة " . ثم وصل إلى غايته بأطروحته التي شرحها وبرهن عليها بكتابه " الحقائق " . وسيكون علينا فيما بقي من هذا الفصل أن نبين كيف تابع هذا النهج بالتعاون مع " دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة " .

2 – مع " دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة "

الحقيقةُ أن قصّة إنشاء هذه الدار في " القاهرة " هي قصةُ عملٍ استثنائي ، نظّمه وقاده بمهارةٍ ودأبٍ عجيبين رجلاً استثنائيّاً أيضاً هو الشيخ محمد تقي القميّ رحمه الله (8) .

(7) أيضاً : 2 / 2 .

(8) محمد تقي بن أحمد القميّ . وُلد سنة 1328هـ / 1910م في " قم " ، في أسرةٍ مُعروفةٍ في العلم والفضيلة . بدأ دراسته في " طهران " ، وفي مدارسها أنهى المرحلة الثانويّة . ثم التحق بـ " المدرسة العليا للأدب " ، حيث تعلم اللغة الفرنسيّة . وتابع في الوقت نفسه دراسة المعارف الدينيّة . سنة 1354هـ / 1935م صحّ لديه العزمُ على السعي للعمل على مشروعٍ إصلاحيّ كبير ، يرمي إلى توحيد الموقف الإسلاميّ . وعزم على الانتقال إلى " مصر " باعتبارها تضمّ " الجامع الأزهر " ومن فيه من قادة الراي من علماء المسلمين . وفي سبيل إعداد نفسه لهذه الخطوة ، انتقل إلى " لبنان " حيث أقام في إحدى قرّاه يُدرّبُ نفسه على إتقان الكلام بالعربيّة . سافر بعدها إلى " القاهرة " . في " القاهرة " بدأ بزيارة شيخ " الجامع الأزهر " آنذاك الشيخ محمد مصطفى المراغي رحمه الله ، وطرح عليه أفكاره . ولقي منه ترحيباً مبدئياً . واقترح عليه أن يبدأ العمل بالتدريس في " الأزهر " . كما سهّل له الاتصال بمن يعرف منهم الميلَ إلى ما يعملُ له . وخلال أربعين سنة من العمل غدا الشيخ القمي شخصيةً بارزة في المحيط المصري . ونجح في تكوين تيّارٍ توفيقيّ بالغ الأثر . لمزيد من المعلومات راجع : خسروشاهي : قصة التقريب ، نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة 22 / 39 .

دخل " مصر " وحده ، دونما سرحدٍ من أحد ، ودون أن يعرفه أحد . تقوده وتوجّه خطاهُ
فكرةُ عملٍ كبيرٍ ، يرمي إلى رَأبِ الصّدع الكبير والمُزمن بين مذاهب المسلمين . مقدمةٌ
لبناء موقفٍ مُوحّدٍ ممّا كان يُحالكُ للإسلام وأهله في تلك الأيام العصيبة ، التي وصفناها فيما
مهّدنا له من هـ ذا الفصل .

بدأ اتصالُ الشيخ بالدار على أثر رسالةٍ كتبها إليه محمد علي علوية ، أحدُ كبار
شخصيّات " مصر " آنذاك ، وأحدُ كبار مؤسّسي الدار ، قال فيها :

" يُسرُّ جماعةَ التقريب بين المذاهب الإسلاميّة أن
تقدّم لحضرتكم قانونها الأساسي وبياناتها للعالم الإسلامي .
وترجو أن تجدَ فيكم خير نصير لفكرتها السامية ومُعينٍ
لها على أداء رسالتها الإسلاميّة . وتفضلوا بقبول فائق
الإحترام "

وفي الجواب كتب إليه :

" صاحب السعادة محمد علي علوية باشا رئيس
الاتحاد العربي الأفخم "
" السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد ألقى
إليّ كتابكم الكريم ، مع بيان وقانون جمعيتكم الجليلة في
التقريب بين المذاهب الإسلاميّة ، تدعوني فيه للنصرة
والمعاونة . "

" أيها الرئيس أنت تعلمون ما مُني به الإسلامُ
والمسلمون من الاختلاف والتفرّق . وتعلمون أن الدّول
العظمى ، على ما بها من قوّة ، لا تنفكّ تخطب ودّ دويلاتٍ
صغرى لتعتضد بها وتطير معها . فما الذي أخرجنا نحن إلى
اليوم ؟ "

" [. . . .] نعم ، الآن الفرصة سانحة . فتقدّموا على
اسم الله . فلعن الله يُسعد بكم البقيّة الباقية من هذه الأمة .
ولقد كنا نتطلّع إلى مصر للقيام بمثل هـ ذا الإصلاح العظيم
ومن أولى به منها ، وقد أصبحت قبلة آمال المسلمين

ومهوى أفندتهم " (9) .

على الأثر، وكما هو دأبه في كل ما يرى أنه حقٌ وصواب، فإن الشيخ لم يكتفِ بكلمات التشجيع والإطراء، بل نقل المسألة فوراً إلى ميدان العمل. فعمدَ إلى اتخاذ خطوةٍ مُميّزةٍ، رمى منها إلى تعميم القانون الأساسي للدار، ووضع الجميع أمام مسؤوليتهم من مقاصدها. بأن دعا وجوه الشيعة والسنة في المنطقة إلى اجتماع، طرح فيه وجوب دعم ونشر هذا التوجه. وبنتيجة التداول خرج المجتمعون بقرارٍ قضى بالدعوة إلى اجتماع عام للغرض نفسه.

بتاريخ 29 / شعبان 1366 هـ = 8 / تموز 1947 م التأم في مُنتزَه " رأس العين " الفسيح بـ " بعلبك " جمعٌ كبيرٌ، لَبَّى دعوةَ الشيخِ ومَن معه . (انظر في الصفحة التالية صورتين للجموع التي التقت بذلك التاريخ والشيخ يخطب فيهم) . حيث تُلِي عليهم القانونُ الأساسي للدار. وألقى الشيخُ كلمةً جامعةً بيّن فيها معنى ومؤدَى الدعوة إلى التقريب، خصوصاً في ظلِّ معاناة المسلمين في كافة المناحي، وضرورة العمل معهم إلى ما فيه الخير العام (10) . ثم كتب بذلك كَلِّه كتاباً موجَّهاً إلى أعضاء الدار، كان ممّا اقترح فيه :

" رأيتُ أنه لا بُدَّ من المبادرة والنهوض للأمر من

ناحيتي العلم والعمل . "

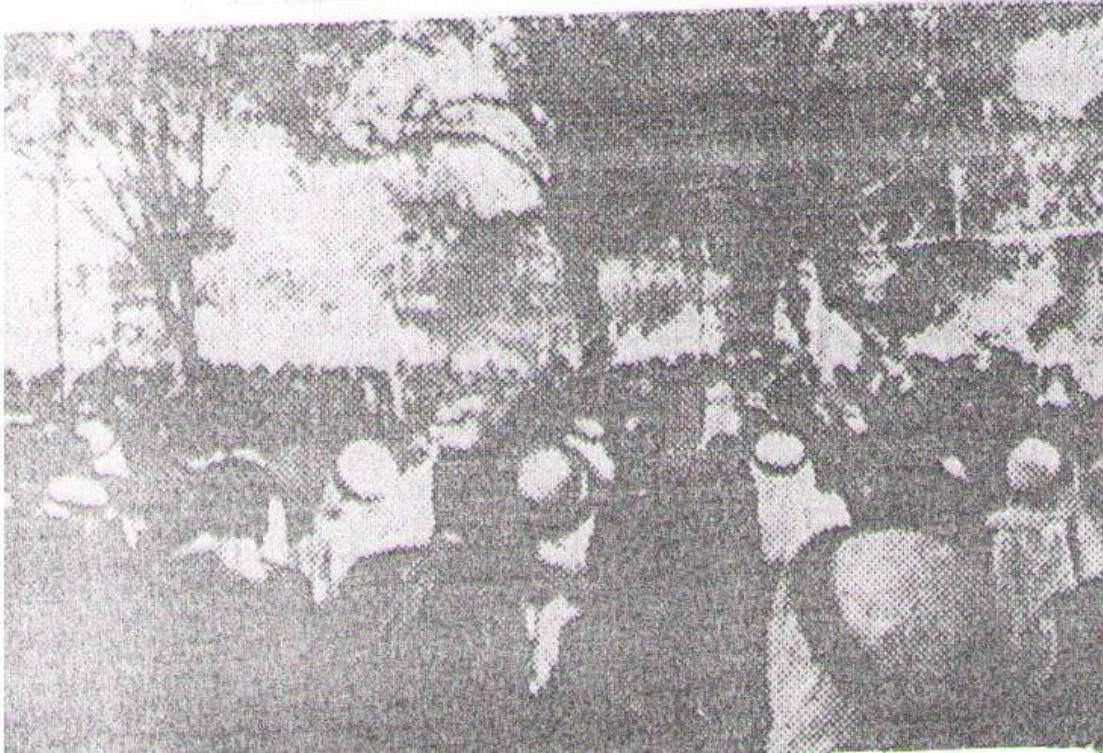
" أمّا من ناحية العلم فبأن تُؤسَّس دراساتٌ للفقه

الإسلامي بصورة واسعة، غير مُختصة بالفقه الحنفي والشافعي مثلاً أو غيرهما . بل يُبسَّطُ الموضوعُ ويُتغى له دليله من الكتاب والسنة والإجماع والعقل (الأصول الأربعة) المَعوَّلُ عليها عند عموم المسلمين . ويُطلبُ لهذا الأمرُ مدرّسون، لهم مقدرتهم واجتهادهم، ليتسنى لنا أن نُخرجَ علماء حائزين على درجتي الاجتهاد

(9) الإسلام في معارفه وفنونه، السنة الأولى : 68/2-70 . والرسالتان غير مؤرختين . ولكن

المصدر الذي أخذناهما عنه طبع سنة 1367 هـ/1948 م . وسنعرف ممّا سيلي بعد قليل أن تاريخهما مُتقدِّمٌ زهاء سنة عن ذلك .

(10) نص الخطاب في : الإسلام في معارفه وفنونه : السنة الأولى / 111 - 18 .



الشيخ يخطب في الجموع حيث طرح القانون الأساسي لدار التقريب بين
المذاهب الإسلاميّة

والتقوى ، يُطمئن إليهم في رجوع المسلمين لهم ، والأخذ
بالفتوى والحكم عنهم ، كما كان المس لمون الأوائل في
الصدر الأول " (11) .

وبتاريخ 9 شهر رمضان 1366 هـ = 27 تموز 1947م تلقى جواباً على رسالته موقعةً
من الشيخ محمد تقي القمي . هي أول رسالة من الشيخ القمي إليه (12) . ثم تتابعت الرسائلُ
بينهما . ومنها رسالة مؤرخة بـ 22 شعبان 1367 هـ - / 15 آب 1948م ، كان ممّا قاله فيها :
" وبالأمس تسلمنا رسالتكم المؤرخة في 1 تموز

1947 . وقد سرنا نشاطكم المحمود وحماسكم

المباركة وتوفيقكم في جمع الناس على فكرة التقريب

والترويج لها في محيطكم . ونرجو أن تدأبوا على هذا

النهج القويم المنتج . وأن يذو حذوكم رجال الإسلام في

مختلف البلدان . فإن هذا خير تمهيد لجمع الكلمة وعقد

المؤتمرات الإسلامية العامة ، التي نهدف إليها في

المستقبل القريب إن شاء الله "

ثم طلب منه إرس ال سبيع مجموعات من كتابه المتس لسلسل " الإسلام في معارفه

وفنونه " برسم الدار وأعضائها (13) . وقد علّق الشيخ على هذه الرسالة بأن قال :

" إلى هنا وقفت المراسلة . ولعلّ المستقبل القريب

يأتينا بما يُسند هذا الرأي ويعضده ويجمع كلمة

المسلمين ، يأخذ بأيديهم لما فيه صلاحهم . إنه أرحم

الراحمين " (14) .

(11) الإسلام : السنة الأولى / 157 - 58 .

(12) نصّها في المصدر نفسه / 160 - 61 .

(13) نفسه 350 - 51 .

(14) أيضاً / 161 .

وآخر ما وقعنا عليه من المراسلات بينهما رسالة مؤرخة بـ 30 من جمادى الأولى 1380هـ/ 19 شباط 1960م . أجاب فيها الشيخ القمي على برقية طيرها إليه الشيخ ، يُلفته فيها إلى ما تنشره المجلة المُسمّاة "رائق الإسلام" بقلم إبراهيم الجبهان ، ممّا يتنافى مع نهج التقريب . (صورة ضوئية لها في الصفحة التالية) .

هذا ، ولقد لاحظنا على العمل الممتاز الذي قام به السيد هادي خسرو شاهي ، مدّ الله في عمره ، على سيرة الشيخ القمي ، تحت عنوان " قصة التقريب " (15) ، - أنه لم يلتفت إلى تلك المراسلات وقيمتها التاريخية . فعسى أن يستدرك ما فاتته منها في الطبعة التالية لكتابه إن شاء الله .

(12) نشرة مركز التحقيقات والدراسات العلميّة التابع لـ " المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة " في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة .

دار التقريب
بين المذاهب الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ٢٠٩
٣٠ جماد اول ١٩٨٠
التاريخ
١٩ نوفمبر ١٩٦٠

صاحب الساحة الاستاذ العلامة الشيخ حبيب آل ابراهيم
بجلبك انت لبنان
سلام الله عليكم ورحمته . اما بعد فقد وصلتنا برقيتكم التي
بعثتم بها الينا بالنص الاتي :

القاهرة - الزمالك . الاعلام الافضل جامعة التقريب
ان سعيكم للتقريب بين المذاهب الاسلامية جعل كلامنا الشيعة
والسنه يأمن جانب الآخر . اما الآتي وقد بلغتكم كلمة ابراهيم الجيهاني في
مجلة (راية الاسلام) انعكس الامر واصبحت الاقليات من الشيعة تحت
خطر الوقيعة بهم من اكنيات السنة هذا مضافا لما في كلمته الجريئة
على قداسة القرآن بحمله على ما هو معلوم خلافه بالضرورة من دين
الاسلام وعلى قداسة امامي المسلمين المرتضى والصادق وعلى الفرقة
الناجية من الشيعة فما رأيكم

(حبيب آل ابراهيم)

ونحبا ان نطمئن سيادتكم بان هذا الموضوع قد اهتمت به جامعة التقريب
واتصلت في شأنه بالمسؤولين وان السيد صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ
محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر حفظه الله تعالى قد اهتم به مسبقا
الجانب الرسمي واتخذ في شأن اجراء بواسطة السفارة السعودية
في القاهرة . و نرجوا ان يكون لهذا الاجراء ثمرته المرجوة ان شاء الله تعالى
ان الاخوة بين المسلمين لتحتم على كل ذي قلم ان يراقب الله تعالى
في اخوانه . وان يسن كل كلمة قبل ان يقولها او يكتبها . ولكننا نجد
مع الاسف الشديد - من المسلمين من يباي هذا . ويعمل دائما على

الفصل الخامس

مُصنّفاتُه

- تمهيد

- أ - مُصنّفاتُ مرحلة النجف .
- ب - مُصنّفاتُ مرحلة العمارة .
- ج - مُصنّفاتُ مرحلة بعلبك .

تمهيد

بُغيتنا في هذا الفصل أن نُقدِّم تعريفاً وافياً بمُصنِّفات الش يخ ، نسوقها منسوقةً بالتسلسل على تاريخ صُندروها . مع التعريف الكافي بكلِّ مُصنِّفٍ مُصنِّفٍ منها : سببُ تصنيفه ، والغاية منه ، منهج مُصنِّفه فيه ، طبعته . . الخ .

ولقد وضع نا تلك المُصنِّفات تحت عناوين ثلاثة ، كلُّ عنانٍ منها يوازي مرحلةً من مراحل سيرته الثلاثة : في " النجف " ، في " العِمارة " ، وفي " بعلبك " .

إنَّ مُسوِّغَ هذا التصنيف الثلاثي ليس تاريخياً فقط . وإن يكن نسقها تاريخياً مُسوِّغاً كافياً بنفسه . ولكنّه موضوعي أيضاً ، بل في الاعتبار الأوّل . لأنه بنسقه هكذا يُقدِّم لنا سبباً إضافياً لضرورة أو وظيفة ذلك التصنيف .

ولكن الأكثر أهميةً بالنسبة لبحثنا ، أنه يُرينا الاتساقَ الكاملَ بين السيرة الحداثيّة والسيرة الفكرية بمقدار ما تُعبّرُ عنه التصانيف . هُنا سنرى الإنسانَ الرساليّ ، الذي يُسخرُ كلَّ ما يملك وما تحت يده لفكرةٍ مركزيّةٍ لا يعدوها ، يسيرُ معها حيث سارت . بحيث نراها في مُصنِّفاته ، كما رأيناها في سيرته : الحافزَ المُحرِّكَ الأساسَ له دائماً . بحيث يُخضعُ لهقتضياتها كافّةَ أعماله في كلِّ الميادين .

إن القارئ لنصوص الشيخ ، ما كان منها نثرياً ، وما كان منها شعرياً ، ليروغه إلحاحه المُتواتر على كلمة (الهدى) . التي كان من قوّة حضورها في ذهنه ووجدانه أن رأيناها أيضاً اسماً للمجلّة التي اصدرها في " العِمارة " وأيضاً لمدرسته فيها ، ثم لسلسلة المدارس التي أنشأها في " بعلبك " ومنطقتها . وما تزال حتى اليوم علماً على المدرسة الوحيدة الباقية منها . هوذا مرصداً عالٍ نُطلُّ منه على خبيئة نفسه ، أو ما سمّيناه أعلاه بـ " الفكرة المركزية " ، ورأينا فيه المُحرِّكَ السلوكيَ الأساسَ له . ممّا لا نُعدّمُ مثله عند كلِّ الأفاذ ، الذين كدحوا في هذه الحياة وراء فكرةٍ مركزيّةٍ واحدة لا يعدونها . يراها المُدقِّقُ الحصيف بسيرهم وأعمالهم ، مدارَ ما أتوا وما أوتوا . تماماً مثلما تدور الكواكب حول النجوم ، مُسخرّةً لقوّة جاذبيّتها الخفية . ولكن ، أيضاً ، الجبّارة بحيث ما من سبيلٍ إلى الانفكاك منها .

إنَّ " الهدى " تأخذُ معناها العملي بالنسبة للمُبلِّغ من إطارها الفعلي . ذلك لأنها حصيلةٌ ما ينشأ من وضعٍ جديدٍ نتيجة عمل المُبلِّغ بعدد حرّما هو " ضلالة " . هكذا ،

فعندما كان " الهدى " يقتضي دحرَ الحملةِ الأجنبيةِ التنصيريةِ على جنوب " العراق " ، كان الطريق إليه يمرُّ عبرَ مجموعةِ الأعمالِ التي تُبيِّنُ الضلالةَ والتضليلَ الذي ارتكبتُهُ تلكَ الحملةُ . بدءاً ببيانِ حقِّ ومَشروعيَّةِ الدِّفاعِ . عن الذاتِ في وجهِ تلكَ الحملةِ ، التي استغلَّتْ فقرَ الناسِ في منطقةِ عملها ومرضهم وجهلهم . وسترتُ حقيقةَ مقاصدها الاستعماريةِ وراءَ مجموعةٍ من التقدّماتِ السَّخِيَّةِ ذاتِ الطابعِ الخيري . وذلك ضلالةً وتضليلٌ معاً . ممَّا اقتضى استنفارَ قُوَى الهدى والهداية ، لدحرِ الضلالةِ والتضليلِ . وهذا ما حصل بالفعل . وسنقرأه فيما سيلي في كتابه " منهجُ الحقِّ " . وتثنيةً ببيانِ محاسنِ الدين الإسلامي ، ردّاً على الأسلوبِ الغبيِّ والفجِّ والوقحِ لأولئك المُبشِّرينِ في النَّيلِ منه . ممَّا سنقرأه كَرَّةً أُخرى في كُتُبِهِ الثلاثةِ " المحاضراتِ العِمَارِيَّةِ " و " قُلْ جاء الحقُّ " و " محمَّدُ الشَّفيع " . وتثليثاً بكتابه المُدهش " الانتصار " ، الذي يتركنا ، باسمه وبمضمونه ، نتصوّرُ أننا في ساحةِ المعركِة . وها هو القائدُ يزفُّ إلى قومه بُشْرَى الانتصارِ النهائيِ على الأعداءِ ، ببلاغٍ يُذيعُهُ من ساحةِ القتالِ . طبعاً ، لن يفوتنا في هذا السِّياقِ أن نُشيرَ إلى مجلته الرائدةِ " الهدى " ، التي فتحتْ بابَ التطوُّعِ لكلِّ مَنْ يجِدُ في نفسه الحافزَ والهمَّةَ للنزولِ إلى السَّاحةِ المُضطربةِ . فكانت كرايةً يرفعها القائدُ عالياً ، لينضوي تحتها المجاهدون . هكذا فإننا سنرى في هذه الأعمالِ الستة حركةً مُتطوِّرةً صعوداً ، من مرحلةٍ ما يُشبهُ الاعتذارَ والتبريرَ ، إلى مرحلةِ الحشدِ والمعركةِ المفتوحةِ ، وانتهاءً بإعلانِ " الانتصارِ " .

في ساحةِ " بعلبك " سيأخذُ " الضلالُ " ، وبالتالي " الهدى " ، معانيَ مُختلفةٍ عمّا سيقها . الأمرُ الجامعُ بينها هو التخلُّفُ المُتعدِّدُ الوجوه . تخلُّفٌ اجتماعيٌّ ، وتخلُّفٌ دينيٌّ ، وتخلُّفٌ تربويٌّ . نما وتأسَّلَ بكافَّةِ وجوهه خلالَ القرونِ على يدِ الأنظمةِ القمعيَّةِ التي توالى على المنطقةِ . ولكنها جميعها ، على اختلافِ هُويَّتها ، تعاملتْ معها بوصفها موضوعَ سيطرةٍ ، ليس المطلوبُ إلا إخضاعها . فكأنها دارُ حربٍ . وفي غيابِ السُّلطةِ السياسيَّةِ الرَّاعيَّةِ ، نشأت في منطقةِ الفراغِ سُلطةٌ بديلةٌ ، هي سُلطةُ التكتلاتِ العشائريَّةِ . التي لم يكنْ لها خيارٌ ولا بُدُّ من أن تتولَّى أمرَ أمنِ نفسها بنفسها . وهكذا نشأت تقاليدُ الثَّأرِ ، التي لم تكنْ غيرَ شكلٍ من أشكالِ الرَّدعِ ، التي نجدُها في مختلفِ القوانينِ بشكلِ قانونِ عقوباتٍ " ولكم في القصاصِ حياةٌ يا أولي الألبابِ " . ممَّا أدَّى إلى أن جعلتْ من المنطقةِ برُمَّتها أشبهَ بساحةِ حربٍ يوميةٍ بينِ مُختلفِ عشائرها . وغنيٌّ عن

البيان أن هذا بنفسه كان كافياً لمنع كل أشكال التقدم في " سهل البقاع " البعلبي . في حين يفتح الباب عريضاً لكل أسباب الاضطراب والفوضى ، ونباته المرّ ، أي التخلف . ومن ذلك أن نهضة " جبل عامل " العظيمة ، بدءاً من أواسط القرن الثامن الهجري / أواسط الرابع عشر الميلادي ، تقدّمت بخطى سريعةً باتجاه " سهل البقاع " ، التي تقدّغ في أقصى شرقيّه مدينة " بعلبك " ، فاجتازت بلدة " مشغرة " ، غربي السهل ، ووصلت إلى بلدة " الكرك " في وسطه ، فكان لهاتين البلديتين ما كان لهما من ماضٍ علميٍّ مجيد . ولكن مسيرتها الرائعة توقفت عند " الكرك " . ولم تتقدّم خطوةً واحدةً شرقاً باتجاه مدينة " بعلبك " ، على الرغم من أنها كانت تتمتع بعراقةٍ تاريخيةٍ ، وثقلٍ سكانيٍّ يؤهلانها لتكون في الطليعة .

من هنا ، فعندما تخلّى الشيخُ ابنُ " جبل عامل " عن موقعه المُمهّد في بلده وبين أهليه ، مؤثراً عليه " بعلبك " ، لم يكن لديه أيّ أوهام عن عُسْر و صعْب ما هو قادمٌ عليه . ولقد عبّر بوضوحٍ كاملٍ عن إدراكه التام لمعنى ومؤدى نزوله فيها . فسوّره لوناً من ألوان المرابطة . حيثُ يحبسُ امرؤٌ مسلمٌ نفسه حبساً على خفارةٍ بقعةٍ مخوفةٍ من دار الإسلام ، موطناً نفسه على السّهروالحرمان من الراحة ، حفظاً لها ممّن ومما يتربّصُ بها . يقولُ في قصيدته الغديرية :

ثم انثنيْتُ لبعلبكٍ مُرابطاً دامي الفؤاد مُعذبُ الوُجْدانِ (1)

كما أنه خاطب أهل " بعلبك " في إحدى قصائده ، فقول :

وضعتُ لكم نفسي لأرفع شأنكم وذللتُها كي لا ينالكُم ذُلٌّ

خشيتُ عليكم أن يُطأطأ رأسكم إذ اجتمع الناسُ التأخّرُ والجهلُ (2)

هكذا يتحوّلُ فنُّ التصنيف بين يديه إلى فنِّ الاستجابةٍ لما هو الضروريّ والنافع . فبينما رأيناه في " العراق " يمتشقُ قلمه سيفاً قاطعاً ، لأنه كان في ساحة حرب ، نرى في " بعلبك " القلم نفسه يتحوّلُ إلى أداةٍ رعايةٍ رؤوفةٍ حنونيةٍ ، يكتبُ للصغار ما يتعلمون عليه معالم دينهم : " أنا مؤمن " ، " الإيمان " . ويكتبُ للكبار ، كتُبةً مُبسّطةً مثلها : " الصراط المستقيم " ، " سبيل المؤمنين " . وكلُّ هذه ممّا يستتكمفُ كبار العلماء عادةً عن بذل جهدهم

(1) المولّد والغدير / 15 . وانظر القصيدة في شعره .

(2) الأسلام في معارفه وفنونه ، السنة الثانية : 314 / 6 .

فيه . بل يتركونه لصغارهم وغير ذوي المكانة العالية منهم . والحقيقة التي سيكتشفها القارئ بسهولة من إحصاءِ مُصنّفاته والتعريف بها ، أنّ الصفةَ الغالبةَ على مُصنّفاته فيها هو مخاطبةُ المتعلّم وليس المثقّف . هذا إلى عددٍ من الكُتُبِ الظرفيّة . أي التي كتبها استجابةً لظرفٍ خاص ، سنقف عليها فيما يلي : " فصولُ الكلام " ، " ذكرى الحسين " ، " اليتيمة " ، " المطالبُ المهمّة " : " الحقائق في الجوامع والفوراق " . أمّا كتابه الكبير المتسلسل فإن له معياراً خاصاً ، سنقف عليه في محلّه إن شاء الله .

أ - مُصنفات مرحلة النجف

1 - " رسالة في المياه " . ذكرها في الترجمة التي علّقها لنفسه في ذيل كتابه " حديث النعم " (1) . والظاهر أنها في فقه المسألة ، وأنها أولُ مُحاولاته في التصنيف . وهي بالتأكيد لم تُطبع بل بقيت مخطوطة . وأهمل ذكرها في التّبت الشامل لمصنّفاته ، الذي ذيل فيه على ما ترجم له به الشيخُ آغا بُزرك في كتابه (طبقات أعلام الشيعة) (2) . ممّا يدلّ على أنها كانت مفقودة في ذلك الأوان . فهذا كلّه يدلّ إجمالاً على أنه لم يُعدّ يهتمّ بها ، وأنه إنما ذكرها على سبيل العلم في تلك الفترة المُبكرة من حياته .

2 - " حديث النعم " . وهي سيرته الذاتية بقلمه . من صباه حتى رحلته الثانية إلى " النجف " سنة 1337 هـ / 1918 م . وقد ذيلَ عليها بالترجمة لعددٍ وافرٍ ممن عرفهم من أعلام وطنه . ونسخةُ الأصل من الكتاب بخطّه محفوظة لدى المؤلف . وقد حقّقها وعلّقَ عليها بما يُناسب ونشرتها على هامش أعمال المؤتمر التكريمي الذي عقدها في " بعلبك " بالتعاون مع " المُستشاريّة الثقافيّة للجمهوريّة الإسلاميّة في بيروت " بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على وفاته سنة 1416 هـ / 1995 م . وجاءت في مائة صفحة .

3 - " البيّنة التامة في الوقائع بعد العامّة " . ذكرها أيضاً فيما علّقّه على الترجمة لنفسه في " حديث النعم " (1) ، ثم قال : " ولم تيمّم " . والذي يؤخّد من اسم هذا الكتاب ، أنه بدأ يُسجّل فيه مُشاهداته وما عرفه من أحداثٍ سياسيّةٍ وغيرها بعد الحرب المعروفة باسم " الحرب العالميّة الأولى " ، وسماها هو بـ " العامّة " . ولكنه لم يُتابع العمل عليه ، بسبب انشغاله بميدان عمله الجديد في " الكويت " ثم " العمارة " ، فيما يبدو . وما حرّره من هذا الكتاب ، مثل الأوّل ، لم يذكره في التّبت الشامل لمصنّفاته . وهو مثله أيضاً مفقود .

(1) حديث النعم / 82 .

(2) الإسلام في معارقه وفنونه ، السنة الثامنة : 1 / 80

ب - مُصنّفات مرحلة العِمارة

4 - " منهجُ الحقّ " . في بيان حقيقة مقاصد الحملة التبشيرية ، التي نشطت في جنوب " العراق " ، من مركزها في " العِمارة " . وبيان الأسباب التي دعت إلى التصدي لها . حيثُ أن عامّة الناس كانوا مأخوذين بالمظهر الخيري لأعمالها ، من تقديم مختلف المعونات وتعليم الأُميين وعلاج المرضى ، وما إلى ذلك . وقد اقتبسنا فيما فات على سيرته في هذه المدينة بعضَ نصوص هذا الكتاب ، ممّا يُلقي ضوءاً مُثيراً على منهجه فيه . وهو أوّل ما طبع من مصنّفاتهِ . صدر بتاريخ شهر ذي القعدة 1346 هـ / 1928 م .

5 - " المُحاضراتُ العِمارية " . وهو تحريرٌ للدروس التي بدأ يُلقِيها من على منبر مسجده في " العِمارة " ، في سياق عمله مُقابل الحملة نفسها . كان يجمع عدداً منها ، ويطبعه في كُتيب ، ليجري توزيعه توزيعاً عاماً . ابتغاءً تكوين أوسع مُشاركة فكرية على الموضوع . وقد نشر منها عدداً غير معروف بالدقّة . ولكنه بعد أن بدأ إصدار مجلة (الهدى) توقّف عن نشر " المُحاضرات . . . " . نشرًا مُستقلاً ، واستعاض عن ذلك بنشرها على صفحات المجلة .

إذن ، فهذه " المُحاضرات " تدرجُ في السّياق نفسه لـ " منهج الحقّ " . مع ضرورة ملاحظة أنه في هذا عملٍ على كشف حقيقة مقاصد المُبشّرين . أمّا " المُحاضرات . . . " فإنها ركّزت على جانبٍ إيجابيٍّ ، هو بيان " محاسن الدين الإسلامي " . الذي كان موضع هجومٍ مُركّز من أرباب تلك الحملة .

طبع الجزء الأول من " المُحاضرات . . . " في شهر ذي القعدة 1346 هـ / حزيران 1928 م ، أي في التاريخ نفسه الذي طبع فيه سابقه . وفيه محاضرتان .

6 - " قُلْ جاء الحقّ " . صنّفه رداً على كتاب " منارُ الحقّ " . وهذا من الكُتب التي نشرها البروتستانت في " العِمارة " . ولم نظفر بنسخة هذا الكتاب .

7 - " محمدُ الشّفيع " . صنّفه رداً على كتاب " مَنْ يشفعُ فينا " الذي كتبه ونشره المُبشّرون . ونالوا فيه من شخص النبي (صلوات الله عليه وآله) ، توصلاً إلى القول أن السيّد المسيح (عليه السلام) هو وحدَه المؤهّل للشّفاة بالخاطئين . وأن محمداً لا

يصلح لها . بل هو بحاجةٍ إلى مَنْ يشفَعُ فيه . أولاً ، لأنه بشرٌ يُخطئُ ويُصيب . وثانياً ، لأنه قد صدرتْ منه أعمالٌ في معنى ومرتبة الخطيئة . فتناول الشيخُ فكرةَ الشفاعة من منظورٍ إسلاميٍّ . وعرضَ صورةَ السيّد المسيح كما نقرأها في الأناجيل الموجودة . ليصلَ إلى أن صورته هناك ، بناءً على المقاييس التي اعتمدها مؤلف " مَنْ يشفَعُ فينا " ، لا تسمح للمؤمنين بصحّتها بالقول أنه الشّفيع بالمؤمنين حصراً ، لأن الأناجيل تذكر وقوعه في أخطاءٍ كبيرة وكثيرة . ثم أن ما ساقه مُصنّفُ هذا الكتاب بحقّ النبي (صلوات الله عليه وآله) ليس إلا أوهاماً وتخرّصاتٍ فارغة . صدرتْ عن عقلٍ لم يتحرّر من المنظور الثقافي الغربي الذي جاء منه .

ولقد انتشر كتابُ " محمد الشفيع " انتشاراً هائلاً في جنوب " العراق " ، وطُبع طبعات كثيرة جداً . وكان يُتلى في محافل حاشدة يترأسها قراءٌ أعدّهم مؤلفه إعداداً خاصاً ، ليتولّوا مناقشةَ وشرحِ أفكار الكتاب .

من هنا نقول أن هذا الكتاب ، بما كان له من أثرٍ عمليٍّ هائلٍ ، هو من الكُتُب ذات التأثير التاريخي . ذلك أنه فتحَ البابَ عريضاً أمام مناقشةٍ سببِ تصنيفه . أي أصل وجود المُبشّرِين ، الذين تسلّوا إلى مُجتمع جنوب " العراق " تحت ستار الإحسان وعمل الخير . ليصلوا إلى الطعن الصريح في عقائد الناس ومُقدّساتهم . وكان ذلك أوّلُ إمارات انهيار المشروع التبشيري . وغنيّ عن البيان أن هذا النهج دليلٌ على براعةٍ صاحبه في اكتشاف مُحرّكات الجمهور وتوظيفها التوظيف المناسب .

8 - مجلة " الهدى " . وإنما نذكرها في عدادِ مُصنّفاته ، مع أنها بوصفها مجلة يُفترَضُ أن يشترك في تحريرها كُتّابٌ مُتعدّدون ، - لأنه كان ، في بدءِ صدورها على الأقلّ ، يُحرّرها بنفسه ، تحت أسماءٍ مُستعارة ، وذلك بسبب نُدرة الكُتّاب المُشاركين فيما يبدو . وفي محفوظاتي مُسوّدة غير عددٍ من أعدادها بخط يده (صورةٌ ضوئيةٌ لبعضها في ملحقات الكتاب) .

أراد الشيخُ أن تكون " الهدى " بمثابة منبرٍ تحريريٍّ في معركته مع المُبشّرِين . يوصل صوته إلى حيث لا يصلُ كلامه وخطبه .

صدرت " الهدى " شهرياً مُدة ثلاث سنوات . وتوقّفت عن الصدور على أثر خروجه النهائي من " العمارة " .

9 - " نهجُ التدريس في مدرسة الهدى " . لم نحصل على نسخة هذا الكتاب ، ليتسنّى لنا التعريف به ، على ما درجنا عليه في غيره . ولكن يبدو من اسمه على الأقلّ ، أنه مقدّمةٌ تربويةٌ لمشروع هذه المدرسة . التي عرفنا ممّا قلناه عليها ، حيث عرضنا لها فيما علّقناه على سيرته ، أنه أنشأها في مقابل مدارس المبشرين . وإنما عُدّت نسخته بسبب موضوعه التقني الضيق ، الذي لا يهمّ إلا شريحةً محدودةً من القارئين .

10- " الانتصار " . موضوعُ هذا الكتاب قراءةٌ نقديةٌ للتوراة والإنجيل . حرّكها عددٌ من الأسئلة التي وجّهها أحدُ المؤمنين إلى مؤلفه ، أجاب عنها ونشر جوابه في كتاب . ومنح كتابه هذا الاسم ذي السّمة الاحتفالية القويّة ، خ لافاً لما درّج عليه في غير ذلك من مُصنّفاته ، حيث اعتاد أن ينتزع أسماء كُتّبه من موضوعاتها . وقد أتمّ تأليفه " يومَ السبت الثالث من شهر رمضان المبارك سنة 1351 هـ / شهر آذار 1932 م . أي قبيل خروجه النهائي من " العمارة " بفترةٍ وجيزة . إذن ، فهو آخر ما صنّفه فيها . والحقيقة أن هذا الكتاب هو ثمرةُ الجِراك الفكري الواسع الذي نشأ حول سلفه " محمد الشفيع " . حيث كانت الأسئلة تتوالد ، في مُناخ الهجوم المُضادّ الذي وصفناه أعلاه على الحملة التبشيرية . وقد أشار المؤلف في مقدمة كتابه إشارةً واضحةً إلى ذلك بقوله :

" وبعدُ ، فيقولُ كاتبُ هذه الأسطر المهاجر العمالي حبيب آل إبراهيم : "

" كانت نتيجةُ ما كتبه كَتَبَةُ البروتستانت من المسيحيين في حملاتهم على الإسلام ومهاجماتهم على أسوار قُدسه المنيعَة ومعقل عزّه الرفيعة تز لزلُ عزّهم وهُدْمُ أسوار منعتهم "

" كناطح صخرةً يوماً ليُوهِنها

فلم يَهِنُها وأوهى قرنُهُ الوعلُ " (3)

والأسئلة التي أجاب عنها الكتابُ تدورُ على تحريف التوراة والإنجيل ولماذا ومتى حُرِّفَا ، وبُحيرا الراهب ولقائه النبيِّ (صلوات الله عليه وآله) ، وبعض عناصر سيرة السيِّد المسيح (عليه السلام) ، وما إلى ذلك . وهذه كلها ممَّا عالجه أربابُ الحملة التبشيريَّة بطريقتهم الفجَّة ، بحيثُ جعلوا منها مادةً للهجوم على الإسلام بكتابه ونبيِّه . فجاء " الانتصار " ليكيِّلَ لهم بمكيالهم .

هكذا ، فعندما منحَ الشيخُ كتابه هذا الاسم الاحتفالي ، المتصل بالجوِّ الانقلابي على المُبشِّرِين وحمَلْتهم ، كان يقصُّد الإشارة إلى مُناخ النصر الذي صدر فيه الكتاب ، وهذا من اللفات البارعة .

وقد طُبِعَ الكتابُ طبعاَتٍ كثيرة ، أوْلاها في " العِمارة " . ثم في مطبعة العرفان في صيدا سنة 1933 م . ثم في " بعلبك " سنة 1374 هـ / 1954 م في المطبعة التي أنشأها . ثم في " بيروت " سنة 1384 هـ / 1964 م بأعدادٍ كبيرة جداً ، تُعدُّ بعشرات الألوف . تولَّى طبعتها وتوزيعها مجاناً أحدُ المؤمنين من شرق الجزيرة العربيَّة ، ونشرها في منطقتة ، ردّاً على حملة تنصيريَّة نشطت فيها ، فيما قال . ومن هنا نعرف أن هذا الكتاب هو من أوسع كُتُبِه انتشاراً .

ج - مُصنِّفات مرحلة بعلبك

11 - " الصِّراطُ المُستقيم " . متنٌ تعليميٌّ وضعه مُصنِّفه على سبيل التعريف بمعالِم الإسلام الأساسيَّة ، من أصولٍ عقديَّة وفروعٍ فقهيَّة . بعد أن لمسَ حاجةَ الناس الماسَّة في " بعلبك " ومنطقتها إلى ذلك . ثم اعتمده كتابَ تدریس في مدارس الكثیرة في المنطقة . وعليه تربَّتْ أجيالٌ من الناشئة ، ومنهم كاتب هذه الكلمات .
 طُبِعَ الكتابُ طبعةً وحيدةً في مطبعة العرفان في صيدا سنة 1350 هـ / 1931 م .

12 - " الجوابُ النفيس على مسائل باريس " . وهو في الجواب على أسئلةٍ وجَّهها المرحوم الدكتور سليم حيدر ، الذي كان آنذاك في " باريس " لغرض الدراسة ، إلى الشريخ علي النقي زغيب رحمه الله . فأحالتها هذا مشفوعةً بكتابٍ منه إلى الشيخ ، طالباً منه الإجابة عنها . قال فيه بعد البسملة :

" لحضرة المولى الجليل والعلامة النبيل سيفُ

الإسلام شيخنا الشيخ حبيب المهاجر دامت حراسته "
 " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أمّا بعد . فقد
 وردني كتابٌ من الشَّهَمِ النبيه النبيل الفهامة البحاثة
 سليم بيك حيدر من باريس ، يطلبُ مني أن أذكرَ له عن
 الكُتُبِ الشرعيّة في الإسلام ، وعن الحديث ، والمؤلفين
 المشاهير ، وعن مصادرِ الدرس عن أمير المؤمنين
 علي (ع) . وقد وَجَّهْتُ بهذه المهمة إليكم للجواب
 عنها "

" الداعي "

" علي النقي زغيب " (4)

وفي الجواب بيّن المؤلف الكُتُبَ المؤلّفة في العلوم الشرعيّة ومؤلفيها في القرون
 الثلاثة الأولى للهجرة . ولكنه أجاب في هامش الكتاب على جملة أسئلةٍ أُخرى ، ممّا طلب
 السائل الأولُ الإجابة عنه ، وتجاهله الشيخ زغيب في كتابه إلى الشيخ .
 طبع الكتابُ طبعةً وحيدةً في مطبعة العرفان في صيدا سنة 1352 هـ / 1934 م .

13- " فصول الكلام في مُختصر تاريخ الإسلام " . كتابٌ يُنبئُ اسمه عن
 موضوعه . وقد بدأ به مُصنّفه وفي نيّته أن يُنمّه أربعةً وعشرين جزءاً ، بحيث يكون
 تاريخاً إسلامياً شاملاً ، كُتب بل غةٍ سهلةٍ . ولكنه لأمرٍ ما ، نُرجحُ أنه يتصلُ بمشاغله
 الكثيرة ، توقّف عن مُتابعةِ مشروعه الكبير ، بعد أن أصدر منه جزأين . طبعاً في مطبعة
 العرفان في صيدا سنة 1352 هـ / 1934 م .

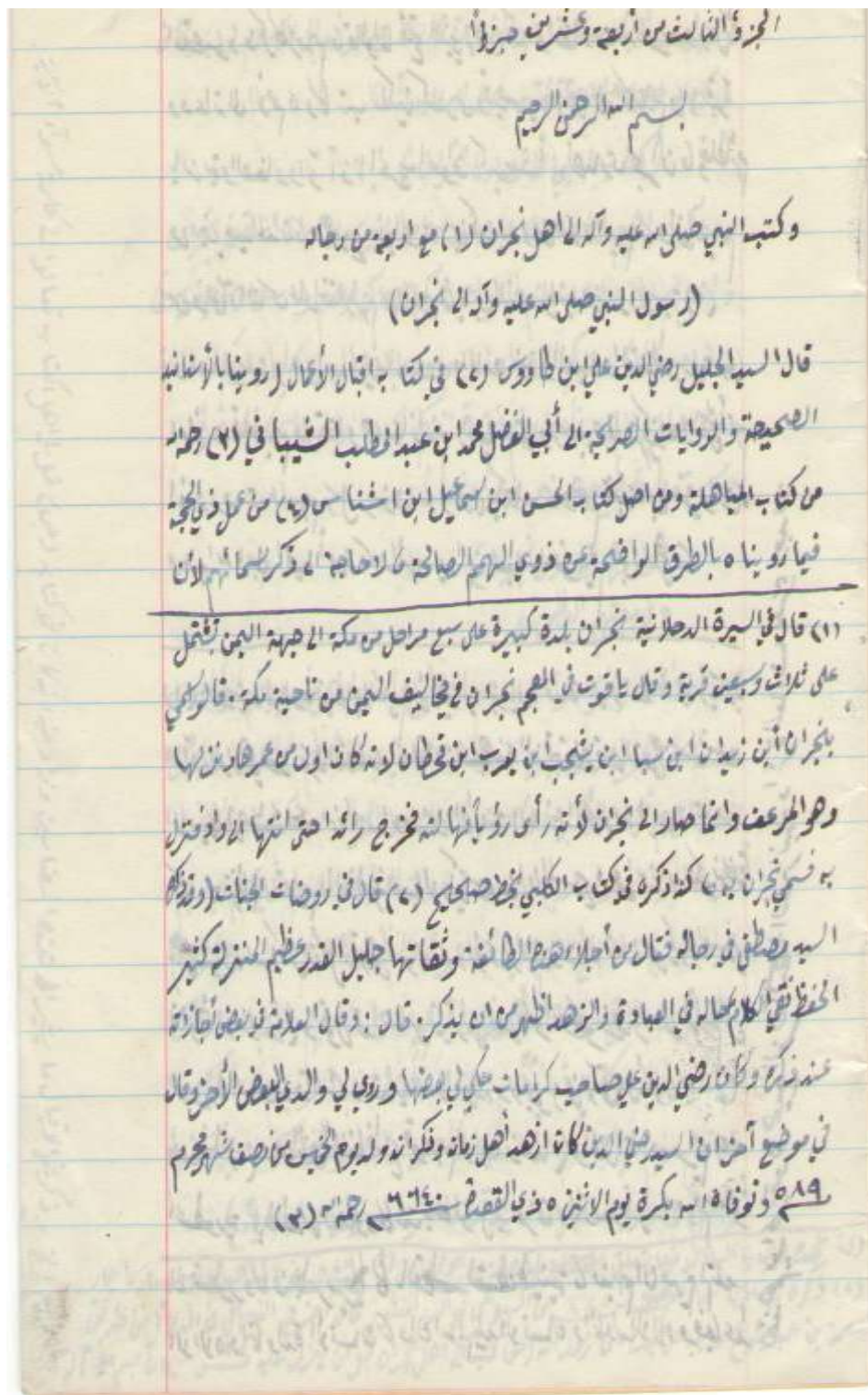
في محفوظات المؤلف كراسٌ بخط يد الشيخ ، يحمل عنوان :

فصول الكلام

الجزء الثالث من أربعةٍ وعشرين جزءاً

يدلُّ على أنه شرع بالفعل في كتابة هذا الجزء على الأقلّ بعد ما طُبِع منه . ولكنه لأمرٍ ما

توقف عن الكتابة ، بعد أن أتم منه ثماني عشرة صفحة . وهذه صورةُ الصفحة الأولى
من الكراس بخط المؤلف :



13- " الخطابُ المنير في عيد / يوم الغدير " . ذكره الشيخ فيما أحصاه من كُتُبِه على الغلاف الخارجي الأخير من كتابه " اليتيمة " (5) تحت عنوان : " المطبوع من مؤلفات المهاجر العالمي حبيب آل إبراهيم " ، ثم فيما استدرِك به على آغا بُزُرِك في كتابه " طبقاتِ أعلام الشيعة " (6) . ويُفهم من ذلك أنه كتابٌ مُستقلٌ مطبوعٌ . لكنني لم أعثر على نسخةٍ منه . بل ولستُ أذكرُ أنني رأيتُه في حياتي . وقد تذاكرتُ بشأنه مع عددٍ من تلاميذ الشيخ والمُعتمِنين بمؤلفاته فلم أجدُ عندهم أكثرَ ممَّا عندي . وعلى هذا فإننا إنما نذكره في عدادِ مُصنِّفاتِه استناداً إلى المُستندين المذكورين أعلاه .

14 - " اليتيمة " كتابٌ رمى منه مُصنِّفه إلى التعريف بما انتخبه من الكُتُب القديمة والحديثة وبمصنفيها ، مع بيان ما يمتازُ به كلُّ كتابٍ منها . فيذكرُ الكتابَ مُبيناً منزلته بين الكُتُب المُشاركة له في موضوعه . ثم يُنثي بالترجمة ترجمةً مُختصرةً لمُصنِّفه أو مؤلِّفه . وقد خصَّ بالذكر والتعريف واحداً وعشرين كتاباً ، وبالترجمة لعشرين علماً (لأنه استثنى مُنزلَ القرآن طبعاً) .
 طبع الكتابُ طبعةً وحيدةً في مطبعة العرفان في صيدا سنة 1352 هـ / 1934 م .

15 - " المطالب المُهمّة " . كتابٌ صنّفه تعليقا على مقالة ل محمد إسعاف الرشاشيبي نشرها في مجلة " العروبة " التي كانت تصدرُ في " القدس " .
 والنشاشيبي هذا كاتبٌ فلسطيني ، هو أحدُ عددٍ من الكُتّاب الذين ضلعوا ، عن علمٍ أو غيره ، في المشروع الصهيوني ، الذي كان يجري التحضيرُ له على قدمٍ وساق في ذلك الأوان ، بما فيه عن طريق إثارةِ الفتن بين المسلمين . فكتب أيضاً كتابه " الإسلامُ الصحيح " ، الذي حمل فيه حملةً شعواء على الشيعة . ممَّا كان أحدُ أساليبِ فتنةٍ مذهبيّةٍ ، رمتُ إلى خلخلةِ المجتمع الإسلامي ، كي لا يقف صفاً مرصوفاً في وجه الأطماع الصهيونيّة . وتابع نهجه هذا في المقالة المذكورة .
 ولقد بيّن الشيخ في مُقدمة كتابه وجهة نظره في أعمال النشاشيبي وغيره ، فقال :

(5) اليتيمة ، ط. مطبعة العرفان في صيدا 1352 هـ / 1934 م .

(6) الإسلام في معارفه وفنونه ، السنة الثامنة : 1 / 98 .

" فنحن بينما كُنّا نتوقّع من قادة الإصلاح ورؤادِ الحقّ ودُعاة الإلّفة ومحبي جمع الكلمة ولمّ الفرقة من علماء المسلمين وأدبائهم البيانات الشافية في الدعوة للإخاء ، والمقالات الضافية في نبذ التنازع والاختلاف والاختلاق ، إذا بالنشاشيبي ومَن على شاكلته يتقدّمون إلى عكس ذلك . يُريدون أن يُعيدوها جذعةً . يُريدون أن يُثيروها بين المسلمين حرباً عواناً ، رجوعاً إلى الأعقاب ، إلى الحقد القاتل والعداوة المميّنة . إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام ، وفي ب عض عصوره ، من تضارب الأهواء ، واختلاف الآراء ، وتبدّد الكلمة ، وتفرّق الأيدي . إلى الذل والصغار . إلى الاستعباد والاستعمار " .

" وما يُدريك لعلّ النشاشيبي وأمثاله ، وما أكثرهم اليوم ، يدّ من أيدي المُستعمرين ، وإصبع من أصابعهم العابثة في نفسيّات المسلمين وعقائدهم " (7) .

عالج الشيخُ في كتابه هذا عدداً من المُشكلات والإشكاليّات التي أثارها النشاشيبي في مقالته . من مسألة القول بنقص القرآن واختلاف ترتيبه ، وصحّة التأويل فيه ، وما يجبُّ العملُ به من الحديث ، وسيرة النبي (صلوات الله عليه وآله) في أهل بيته ، وسبِّ علي (عليه السلام) في إيمانه ، ومعنى الشيعة ، والإمامة عندهم .
 طُبِعَ الكتابُ طبعةً وحيدةً في مطبعة العرفان في صيدا سنة 1354 هـ / 1936 م .

15 - " ذِكرى الحُسين "

صنّف الشيخُ هذا الكتاب من ضمن خطّته الأنفة الذكر لكتابة موسوعةٍ شاملةٍ في تاريخ الإسلام تحت اسم " فصول الكلام في تاريخ الإسلام " . وقد قلنا آنفاً أنه كتب منه

(7) المطالب المهمة ، ط. مطبعة العرفان في صيدا 1354 هـ / 1936 م / 1 - 2 .

جزأين اثنين طُبعا . ثم شرع في كتابة الجزء الثالث منه ، ولكنه انصرف عنه بسبب مشاغله الكثيرة فيما يبدو .

والظاهر أنه صرف جُهدَه إلى كتابة وطبع " ذكرى الحسين " منه خصوصاً ، بسبب الحاجة الماسّة في " بعلبك " ومنطقتها إلى بعث الاهتمام بإحياء ذكرى سيّد الشهداء (عليه السلام) ، على نحوٍ يتناسبُ مع جلاله الذكرى وصاحبها . من ضمن خطته الشاملة العاملة على نشر الاهتمام بالشعائر الدينية .

طُبع في مطبعة العرفان في صيدا سنة 1354 هـ / 1935 م

16 – " سبيلُ المؤمنين " متنٌ فقهي تعليمي على نسقٍ. كتاب " الصراطُ المُستقيم " . بيدَ أنه أوسعُ منه مادةً وأوفى شرحاً . وما ذاك إلا لأنه وضعه ليخدم حاجةَ شيعه أهل البيت المعروفين بالعلويين في " سورِيّة " . ممّا اقتضى أن يكون بمستوى أعلى من سابقه . سواءً من حيث المادة ، أم من حيث طريقة وأسلوب المعالجة . ذلك أنه باتصال الشيخ بالعلويين ، وقد عرفنا ممّا علّقناه على سيرته أن اتصاله بهم قد بدأ سنة 1365 هـ / 1945 م ، - بدأ يكتشف أمرين : وفرة عدد المُتقنين بينهم ، وأشواقهم العارمة إلى وصلِ ما انقطع في قرونِ القهر والعزلة الطويلة . فرأى أن يتقدّم باتجاههم بعملٍ يُلبي الأمرين معاً . وكان " سبيلُ المؤمنين " ثمرةَ هذا التوجّه .

قدّم الشّيخُ لكتابه هذا بالكلمات التالية ، التي تُبيّن باختصار غرضَ ه من كتابه ومنهجَه فيه . فقال :

" نُلخّصُ في مقدّمة هذه الرسالة ما عليه المؤمنون الشيعة في أصول اعتقاداتهم وأصول فقهم . ثم نُبيّنُ في الرسالة نفسها ما هم عليه في فروع الفقه وأحكامه ، بصورةٍ سهلةٍ . لينتفع بها عامة الناس وخاصّتهم " (8) .

طُبع الكتاب طبعتين ، لم أظفر بنسختهما للتعريف بهما . ثم طُبع طبعهً ثالثةً في المطبعة التي أنشأها الشّيخُ في " بعلبك " ، سنة 1372 هـ / 1953 م على نفقة الفقيه

(8) سبيلُ المؤمنين ، ط. بعلبك 1368 هـ / 1948 م / 2 .

السيد جعفر المرعشي رحمه الله ، ليقدم مجانا للشريعة العلوية (9) . وجرى توزيعه عليهم بأعدادٍ وافرة .

17 – " المولدُ والغدير " . قصيدتان مَلحميتان ، يبلغ مجموع أبياتهما زهاء الثلاثمائة بيت . الأولى في مولد النبي (صلوات الله عليه وآله) ، والثانية " في يوم الغدير " . والقصيدتان من بدائع الشَّعر . وقد أتمَّ نظمهما سنة 1360 هـ / 1941 م ، ونشرهما في كُتَيْبٍ مُستقلٍّ في العام نفسه . وقد أوردنا نصَّ القصيدتين ضمن الباب الذي أوقفناه على شعره فيما يأتي .

18 – " المثلُّ الأعلى في الصَّبر والصلاة " . كُتَيْبٌ بيِّن فيه ما يتعلَّق بالصَّبر والصلاة ومنزلتهما من خُلُق المؤمن وعمله . كتبه سنة 1362 هـ / 1943 م . وطبع في السنة نفسها في مطبعة العرفان في " صيدا " .

19 – " أنا مؤمن " . سلسلةٌ من ثلاثة أجزاء وضعها للتعليم الديني في الصفوف الابتدائية في مدارسهِ . اتبَع في صياغة دروسها طريقةً مُبتكرةً . فكلُّ درسٍ منها يبدأ بلازمةٍ هي " أنا مؤمن . عرفتُ . . . الخ . " . كتبها في شهور سنة 1374 هـ / 1955 م . وقد طُبعتْ السلسلة بأجزائها الثلاثة خمس طبعات . آخرها في مطبعته في " بعلبك " .

20 – " الإيمان في أصوله وفروعه " . سلسلةٌ من جزأين ، وضعها كسابقتها للتعليم الديني ، لكنَّ هذه للمرحلة المُتوسطة . الجزء الأول في أصول الإيمان ومن الفروع الصلاة . والجزء الثاني في بقية الفروع . كتبها سنة 1377 هـ / 1957 م . وطبعا في السنة نفسها في مطبعته في " بعلبك " .

21 – " الحقائق في الجوامع والفوارق " . " كتابٌ يؤلَّفُ بين الشيعة والسنة .

على أساس التفاهم وضوء الدليل " . بهذه الكلمات عرّف المُصنّف بكتابه على غلافه . ثم بيّن فيما قدّم به لكتابه الحوافر التي دعتّه إلى تصنيفه . قال :

" ولعلّ بهذا تجتمع الكلمة ، وتتحدّ الأفتدة ، وتتعاضد الأيدي . فلقد ذهب من المسلمين ما كانوا يتنازعون يختلفون عليه من مُلك . وزال عنهم ما كانوا يتنازعون لأجله من سلطان . فكُنْ على يقينٍ بأن ذلك التعبير والتعيب في مسائل الدين لم يكنْ الغرضُ منها أمراً بمعروفٍ ، ولا نهياً عن منكرٍ ، إنما هي أُمورٌ كان يدسّها مَنْ يُريدُ استثمار الخلاف فيما بينهم " (10) .

ثم أنه بيّن المنهج الذي سار عليه في كتابه ، توصلاً إلى غرضه منه ، فقال :

" إعلمُ أن هذا الخلاف الواقع بين الشيعة والمذاهب الأربعة واقعٌ مثله بين كل واحدٍ من المذاهب الأربعة . فالخلاف الواقع بين الحنفية ، مثلاً ، وباقي المذاهب لا ينقصُ عن الخلاف الواقع بين الشيعة وبينهم . وكذلك الخلاف الواقع بين المالكية ، مثلاً ، والباقيين ، وهكذا . إلا أنّي لم أتعرضُ في هذا الكتاب إلى شيءٍ من ذلك ، ولا هو من قصدي . وإنما تعرّضتُ لبيان خصوص مسائل الوفاق والخلاف بين الشيعة والمذاهب الأربعة فقط " (11) .

وتحقيقاً لمنهجه الواضح هذا طفقَ يتناولُ المُقارنةَ بين فتاوى المذاهب في كلّ مسألةٍ مسألةً من مسائل الفقه . بادئاً بمواضع الاتفاق ، مُتتياً بمواضع الخلاف . صدر الكتابُ في جزئين . وطُبع في مطبعة العرفان سنة 1358 هـ / 1938 م ، ثم

(10) الحقائق في الجوامع والفوارق ، ط . بعلبك 1370 هـ / 1956 م / 12 .

(11) نفسه / 14 .

طبعة ثانية في بيروت على نفقة المرحوم الحاج أحمد كنج ، ثم طبعة ثالثة في " بعلبك " سنة 1370 هـ/1956م ، وهو من أكثر كتبه انتشاراً .

22 - " الإسلام في معارفه وفنونه " . كتابٌ مُتسلسلٌ رمى إلى أن يُقدّم

للقارئ مادةً مُتكاملةً في المعرفة والأعمال الإسلامية . يتألف كلُّ جزءٍ منه من سبعة أبوابٍ ثابتة هي ، بعد المُقدّمة : العقائد ، الفقه ، الأبطال ، الأخلاق ، التاريخ ، الأسئلة والأجوبة عنها . ولقد بيّن مؤلفه في مقدّمة الجزء الأوّل منه حوافره ومقاصده من عمله المُبتكر هذا . نقتبسه ، على طوله ، لأهميته . قال :

" كثيراً ما كان يختلجُ في فكري القيامُ بعملٍ أنفعُ به قومي . أحملهم فيه على المحجّة البيضاء والصراط المستقيم . أجمعهم على الورودِ إلى منهلٍ عذب . يصدرون منه ملأى القلوب والأفئدة " .

" [.....] إذ تقدّمتُ إليّ شبيبةٌ مُختارةٌ سئمتُ النظرَ في الجرائد والمجلات ، وإنفاقِ العُمُر وصرْفه في مطالعةِ كُتُبٍ لا تخرجُ منها بطائل ، ولا تتحلّى منها بباقي ولا بزائل "

" فرغبتُ إليّ بتأليفِ كتابٍ يصرفها عن ذلك الهوى ، ويأخذُ بيدها إلى معالمِ الرُشدِ والهُدى . وكنْتُ يومئذٍ في قريةٍ تُدعى ع لي النهري ، من أعمالِ رحلةِ البقاع ، في جوارِ رِيّاق ، المحطّةِ المعروفة . ولعلّ كثرةَ المخالطةِ والملابسةِ لغيرها من مُختلفِ الطوائف والأُمم جعلَ فيها ذلكَ الشعورِ الحي "

" وأنا ذلكَ الرَجُلُ الذي قد نَوّفَ على السّتين . وأرى عمري يذهبُ وأيامي تنطوي وتمرُّ مُسرعةً ولكنها لا تعود " .

" [.....] أنا في هذا التفكير ، وفي تلكِ المُحاكمة

مع النفس ، تعرّضُ لي أولئكِ الفتية من شبابنا ، والفئة الناهضةُ من أبنائنا ، فتعرضُ عليّ هذا الطلب ، وكأنهـا

تُهدي إلى قلبي سرورا ، فأجبتهم . . . الخ . " (12) .

فالقارئ الذي يتمعن في هذا النص يخرج منه بأمرين ، كانا وراء قرار الشيخ في فكرة الكتاب المتسلسل المُبتدعة ، بما فيها من أبواب ثابتة ، لم يسبقه إليها سابق ، فيما نعرف . أولاهما : أنه بدأ يُعاني من وطأة السنّ ، بعد أن غدا " الرجل الذي قد نوّف على الستين " . وهو الذي حمل على عاتقيه عبء تقديم الرعاية الدينيّة لسُكان مئات القرى في " لبنان " ، فضلاً عن اهتمامه البالغ بشؤون الشيعة في أنحاء " سورية " . بحيث كان يضطر إلى التجوال الدائم . وذلك أمرٌ لم يُعد من الممكن الاستمرار فيه ، نظراً لسنّه ولوضعه الصحيّ ، الذي كان دائماً وضعاً دقيقاً ، بسبب مرض السُكريّ المُبكر الذي ظلّ يُعاني منه طول حياته . فكان لا بُدّ ، والحالة هذه ، من ابتداع وسيلةٍ للتواصل الدائم مع الجميع ، تُعفيه من الانتقال الدائم . وثانيهما : إصغاؤه بانتباه إلى كلام الناس وما يقترحون ، وأخذها بعين الاعتبار . وقد سجّل في النصّ المُقتبس فضلَ السابقة في فكرة الكتاب إلى بعض الشُّبان من أهل قرية " علي النهري " المُجاورة لـ " بعلبك " . كما سجّل إعجابه بانفتاحهم الفكري ، بسبب كثرة المُخالطة لغيره من مُختلف الطوائف .

المُهمّ أنه في شهر صفر 1367 هـ / كانون الثاني 1948 م صدر الجزء الأوّل من " الإسلام في معارفه وفنونه " . وفيه مُقدمةٌ ضافيةٌ عرضَ فيها فكرة الكتاب وفذلكة منهجه على الأبواب الثابتة المذكورة . وفي أواخر السنة 1376 هـ / 1956 م صدر الجزء الأخير من المُجلّد الثامن . وهكذا يكون الشيخ قد ثابر على إصدار كتابه هذا مدّة ثمانين سنوات . أصدر اثنا عشر جزءاً وسبعين جزءاً . سبعون منها في السنوات السبع ، أي عشرة أجزاء كل سنة . وأربعة أجزاء فقط في السنة الأخيرة . كان يُحررها كلّها بقلمه . ولكنّ شحّ نظره كان يتفاقم بسبب مرض السُكريّ . ممّا ألزمه بالتقليل من الوقت المُخصّص للمطالعة والكتابة . ولذلك رأينا السنة الأخيرة من الكتاب تقتصر على أربعة أعداد . وإنني أتذكّر أنني في تلك السنة قدمتُ من " النجف " لقضاء فصل الصيف مع الأهل . وصادف أن كان في محفظتي عدسةٌ مُكبّرة ، قدّمتها له ، بعد أن لاحظتُ مُعاناته المؤلمة مع الكتاب والقلم . فسُرّ بها بادي الرأي . ولكنه سرعان ما أخذ يُلاحظ أنها تُسبّب

له تعباً مؤلماً في عينيه فانصرف عنها . وأخذ يستعينُ بمن حضر من أسرته أو تلاميذه ليقرأ له ما لا بُدَّ منه . ومع أنه وعد قراءه بأن يُتابع العمل ، فكتب في الصفحة الأخيرة من المجلد الثامن : " تمَّ المُجلَّدُ الثامنُ من كتاب الإسلام في معارفه وفنونه بعون الله تعالى . ويليه المجلد التاسع إن شاء الله تعالى " ، - فإنه اضطرَّ إلى وقف إصدار هذا العمل العزيز على قلبه نهائياً .

ولقد انتشر كتاب "الإسلام " انتشاراً واسعاً جداً في "لبنان" و"سورية" و"العراق" و"البحرين" و"إيران" والمنطقة الشرقية من الجزيرة العربية ، فضلاً عن بعض أنحاء "إفريقية" ، حيثُ يكثر المهاجرون من "جبل عامل" . وكانت مئات النسخ من كلِّ عددٍ تُوزَعُ فورَ صدورها على المُشترِكين بواسطة البريد . وما أزالُ أحتفظُ بالسَّجُل الضخم للمُشترِكين بخط الوالد رحمه الله . حيثُ لاحظتُ أن أكبر عددٍ منهم كان من شيعة أهل البيت (عليهم السلام) في "سورية" المعروفين بالعلويين . كما أن من يتصفحُ أعدادَ الكتاب سيلاحظ أيضاً أن أكثر الأسئلة التي أجاب عنها كانت واردة منهم . ممَّا يدلُّ على أن الكتاب والثقافة التي يحملها كانا يتفعلان بنجاح مع تلك الجماعة الكبيرة ومع أشواقها الكامنة لوصل ما انقطع أثناء قرون القمر والعزلة .

22 - " خطابُ النبي في شهر رمضان " . رسالةٌ أثبتَ فيها نصَّ الخطاب

المعروف للنبي (صلوات الله عليه وآله) مع شرحه والتعليق عليه بما يُبيِّن معانيه ومقاصده . كتبها سنة 1378 هـ / 1958 م . وطُبعت في " بعلبك " في السنة نفسها . وهي آخرُ ما صنَّف .

الفصل الخامس

شعره

- 1- شعر الشباب
- 2- مقطوعاتٌ نادرةٌ من أيام العِمارة
- 3- شعره المُوجّه / الوظيفي

- أولاً : شعرُ الشباب

كان في "كربلاء" ، فكتب إليه صديقه الشيخ عبد الكريم صادق رحمه الله أبياتاً ، أجاب عنها بالأبيات التالية :

وافى الفؤادَ بديعُ نظمك بالحِمي مُتبسِّمًا
 وفضتُ مسكَ ختامه وتلوتهُ مُترنِّمًا
 ألفيئته ذُرًّا على جيدِ الفتاةِ مُنظَّمًا
 وأصاب قلبا لا يرى إلا لقاءك مغنمًا
 عجبًا تعجَّبُ حيثُ قد أبدى حبيبٌ تظلمًا
 وتقولُ تهزُّلُ بالملامةِ ضاحكًا مُتبسِّمًا
 وعظيمُ حُبِّك إنَّني أمسيتُ فيك مُتيمًا

ثم كتبَ إليه جواباً عن أبياتٍ أُخرى :

وفدَّتْ وقد جُنَّ الظلامُ وفؤدُ نظمك فاستنارا
 وقد احتستت أسماؤنا من نظمها رُحنا سكارى
 لم ندر نظمك بعد ذاك قد احتسينا أم عُقارا
 ما روضةٌ فينانةٌ بتنا بها نجني الثمارا
 أبهى لديٍّ من اجتناء نظير نظمك إذ أنارا
 يا مَنْ كتمتُ هواه في قلبي وأضمرتُ استتارا
 وعليٍّ في شرعِ الهوى وأنا المُعذَّبُ فيه جارا
 ويُعدُّ لي ظلمًا وما يخشى بذلك ما تواری (1)

" من قصيدةٍ كنتُ قد أنشأتُها في بعض الأفاضل من الإخوان ، قرئتُ في محفل زفافه ،

أولها " :

أجفانُ مُقلتك الفواتر أم تلك أسيافُ بواتر
 أعشى سنالك نواظري والبدرُ أن يُعشي النواظر

كم حارَ فيكَ ذو النهى وكم اهتدى بسناك حائر
 ما شمتَ يا منفي النظير لكنه ذلك من نظائر
 فلو انَّ أربابَ الحمى أفنّوا بمعناك البصائر
 لم يُدركوا إلا بأنَّ حِجـاهمُ عن ذاك قاصِر
 مُرٌّ وانه ليس سواك لي ما دُمتَ من ناهٍ وأمر
 واسمح بقُربك إنني أفنيتُ فيكَ دمَ المحاجر (2)

أبياتٌ في رثاء والده رحمه الله . نظمها بعد عودته الأولى من "النجف" :
 غالتك نازلةُ الردى ولطالما سبقتُ يداك لنجدة المستجد
 ودعاك مُنفردَ المقام وإنما قد كنتَ واسطةَ المقامِ المُفردِ
 فمضيتَ لؤلؤةً تبددَ عقدها إذ كنتَ ناظمَ عقدها المُتجدِّدِ
 إن الزمانَ إذا أراد بأهله سؤاً أغارَ على الكريمِ المُنجِدِ (3)

في مديح الأمير فيصل في "دمشق" .
 مَن مُبلِّغٌ عنِّي نزارٌ أتته وافاك بعدَ تشتتٍ وتشرُّدِ
 مجدُّ تعالي أن يُبرامَ وسوددُ ينحطُّ عنه على السهى والفرقدِ
 لم تُضمِرَ النُّركُ اللُثامَ بنفسهـا إلا الوقوعُ بكلِّ عينٍ أو يدِ
 من يعرُبُ الغرَّ الكرامَ وإنما لبي زمانَ مُرادها الزمنُ الردي
 فلتأتِ يعرُبُ شيخُها ولامها مُنقادةً طوعاً لأكرمِ سيِّدِ
 الفيصلِ الفصلِ الشريفِ الصادقِ العذبِ الهمامِ الألمعيِّ المُنجِدِ
 من هاشمٍ وكفى بهاشمٍ مفخرأ من أحمدٍ وكفى الفخارُ بأحمدِ
 فعسى ليعرُبَ أن تفوزَ بغايةِ من شكره أو أن تفوزَ بمقصدِ
 عاجلتَ جمعهمُ بجيشِ كالردي من كلِّ أروع كالهزبرِ المُلبِدِ
 يلقي العدى بمتقفٍ في بأسه ومُجرِّدٍ من عزمه ومُهَنِّدِ

(2) نفسه / 34 .

(3) أيضاً / 37 .

أنى يكون لغيركم ما شددتم وبنيتموا من مَبْتَتَى ومُشَيِّدِ
 فليخسأ الراضي بغيركم فما بسواكم أرضى ولو جُرَّتْ يدي
 بك يارجى الرَّاجِي وكهفَ الخائِـفِ العاني ومُنْجِي الجازع المُسْتَجِدِ
 قرَّتْ عيونُ ذوي النهى فجميعهم بالحمدِ بين مُرَدِّدٍ أو مُنْشِدِ
 أمَّتْ غَلاءكَ عاملٌ بعديها من كلِّ عَرِيفٍ وشهمٍ أصيدِ
 تصلُ المسير على سوابق جُردها كالريح تطوي فدفاً في فد فدِ
 والعُربُ بعضٌ تابعٌ بعضاً فهُم لأمان حجَّك رائحٌ أو مُغتدي
 ضاء الشأم بنور وجهك فاغتندي كلُّ إليك بنور وجهك يهتدي (4)

" قلتُ مُراسلاً جناب الأخ التقيّ الشيخ ع لي أسعد [بسماً] عند قدومه لـ " جبل
 عامل" من "العراق" ، إذ كنا بها مُجمعيّن ، ففارقني ومضى . وكان ذلك في شهر ذي
 الحجّة 1328 :

وافعيتَ عاملَ ياعلي مُيمماً نحو الربوعِ .
 وطفقتَ تمرحُ في الرياض وفي رُبى الوردِ اللموعِ .
 هلا سألتَ ربوعه عن فِتيةٍ بهم ولوعي
 أحنى فراقهُم الضلوعَ وبعُدُ هم أفنى دموعي
 حيّي بعاملَ أُسرةً سكنوا بأحناء الضلوعِ .
 وشوارداتٍ في الفلا يمرحنَ في روض مريعِ .
 يصرعنَ أسادَ الوغى بفواتر اللّحظِ الرّيوغِ .
 ولربُع ميةَ والرباب وصرحةَ الأثلِ المهيعِ . (5)

" وقلتُ في رسالةٍ إليه أيضاً ، إذ كتب إليّ أن بعض الأصحاب ، وهو الشيخ حبيب عزّ
 الدين ، نجل المرحوم ، خدين الولدان والحق ، الشيخ محمد علي عزّ الدين ، يعتبُ عليّ
 لعدم مُراسلته . فقلتُ :

(4) أيضاً / 48 .

(5) أيضاً / 52 .

قُلْ لِلْحَبِيبِ مُعَارِضًا لَعْتَابِهِ : وَذُ مِنْ عِتَابِكَ
 كَمَ مَرَّةٍ أَهْدَى حَبِيبُ تَحِيَّةً وَقَفْتَ بِبَابِكَ
 تُرَكِّتُ وَمَا رُدَّتْ إِلَيْهِ وَعَهْدَهُ بِكَ غَيْرُ تَارِكِ (6)

" وقلتُ مُراسلاً جناب الأخ النجيب والذكي الأديب الشيخ علي مهدي شمس الدين عن كتابِ أتاني منه " :

يَا مُتَحَفِي بِالْوَكَاةِ غِرَاءَ تُعْرَبُ عَنْ وَدَادِهِ
 أَجَجْتَ فِي قَلْبِي الْمُحِبِّ لَظِيَّ تَسَعَّرُ مِنْ بُعَادِهِ
 لَنْ يُطْفِئَهَا إِلَّا لِقَاكَ فَجُدْ ، فَجُودُكَ مِنْ مُرَادِهِ
 لَوْ بَاخَ عَمَّا فِي حِشَاهِ مِنْ الْفِرَاقِ وَفِي فَوَادِهِ
 لَعَلِمْتَ كَيْفَ أَخُو الْغَرَامِ وَكَيْفَ يُمْنَعُ مِنْ رِقَادِهِ (7)

" وقلتُ مُهنئاً جناب العالم العامل والفاضل الكامل ، قدوة المؤمنين ، وثقة المحققين ، الشيخ كاظم عزّ الدين بقدمه من الحجاز . وذلك في سنة 1328 " :

نَسِيمَ الصَّبَا هَلَا مَرَرْتَ عَلَى نَجْدِ وَهَلْ جُزْتَ أَطْلَالاً لِمِيَّةٍ أَوْ دَعْدِ
 لَقَدْ فَاحَ مِنْ رِيَّاكَ عَرْفُ عَيْبِهَا بِنَفْسِي ذَاكَ الْعَرْفَ يَأْرَجُ كَالنَّدِ (7)

" وقلتُ مُهنئاً بعض السّادة من آل قشاقش في النجف الأشرف ، وذلك سنة 1330 " :

نَهَانِي عَنِ الْغَيْدِ الْجِسَانِ الْعَوَازِلُ وَبَالَغَ فِي نَهْيِي الْعَذُولُ الْمُخَاتِلُ
 فَسَالِمْتُ مَنْ أَهْوَى وَقَلْتُ لِعَاذَلِي إِلَيْكَ أَنْصَرَفَ عَنِّي وَدَّعَ مَا أُحَاوِلُ
 فَمَا أَنَا عَنْ حُبِّي لِسَعْدِي بِشَاغِلٍ وَهَلْ عَنِ هَوَى سَعْدِي أَمْرٌ بِنَشَاغِلُ
 تَعَشَّقْتَهَا وَهِيَ الصَّدُوقَةُ فِي الْهَوَى تَجُودُ بِمَا أَهْوَى ، وَإِنْ لَامَ عَاذَلُ

مَا لِرَيْمِ السَّفْحِ مِنْ وَادِي الْحَمَى أَسْرَ الْقَلْبِ وَمَا أَطْلَقَهُ

(6) أيضاً / 52-53 .

(7) أيضاً / 53 .

ما على استئساره أبكي ، بلى
قلتُ لِمَا شَفَنِي من حُبِّه
أختشي بالبُعدِ أن يُحرقه
سقمٌ ، والجفنُ قد أرقه
هائماً ما ضرَّ أن تطرقه (8)
إنَّ مَنْ أصبح صَبّاً كَلِفاً

" وقلتُ مُهنئاً جناب الورع التقي الشيخ محمد قعيق بزواجه في النجف الأشرف . وذلك

سنة 1330 " :

ما بين مُنعرَج اللوى وبروده
يحكي بوجنته الشقيق وقدهُ
ولكمْ بِمنعرَج اللوى من عاشقٍ
لا أنسَ حين أتى يهزّ خلاخلاً
فطفقتُ [...] (9) وبين مؤمِّلٍ
لولا الحِذارُ من الرقيبِ ضممته
ورشفتُ ما يحمي عِقبُ صدغه
مُتقلِّبين على الرياض كأنما
يا مَنْ له ذو النّهي خرّوا على
رفقاً بقلبٍ مُتيمٍ لعبتُ به
يكفيه من أعوادِ ذابلِ قدهُ
فالى مَ يُتبعُ وعدّه بخلافه
قسماً بريقتِه وحُمرةِ خدهُ
إنّ السُّهادَ لناظري ورقادهُ
مَلِكَ الجمالِ فصيرتُ ملكَ يمينه
هو في الجمالِ مُوحِّدٌ كمحمّدٍ
صدحَ الهزارُ بعِرسه طرباً على
يملا الفِنا ، والطلُّ يكتبه على

ظبيُّ أطلّ دمي بلفتةٍ جيده
يحكي قضيبَ البانِ في تأويده
أضحى قتيلَ وصاله وصُدوده
وحليّ قرطِ لَجّ في تغريده
إنجازُ موعده وخوفُ وعيده
ضمّ الحليّ لساعديه وجديه
من خمر ريقته ووردِ خدوده
وردُ الشقائق منه بعضَ وروده
أطرافِ مئزره وفضلِ بروده
نارُ الجوى وسهامُ لحظِ مُريده
طعنأ وفتكاً من عيونِ حسوده
والى مَ يُمنعُ وصاله بجنوده
وشهيّ مبسمه وبَرْدِ بروده
بيديه ، بين وصاله وصُدوده
وجميعُ أهلِ الحسنِ بعضِ عبيده
ربّ الكمالِ طريفه وتليده
أثلّ الرّياضِ ببارقِ وزروده
أوراقِ نرجسه وزهرِ وروده

(8) أيضاً / 53 - 54 .

(9) كلمة غير مقرّوة في الأصل .

ولئن أردت بأت تحيط ببابه
 أنبيك عن غيثٍ تفاقم مزنه
 جمع الكمال ، فليس يدرك شأوه
 ما شئت قل بمدحها فلقد صفا
 أدر الكؤوس وقل مقالته صادق
 خُبراً فخذ عني مقالة جوده
 وانصاع يهمل في حياض مُريده
 شعري ، ويقصرُ عنه نظمٌ مُجيده
 فكري بطيب سماعه ونشيدته
 لهديحهُ في الشعر بيتٌ قصيده (10)

" وقلتُ مراسيلاً لبعض الإخوان " :

أهدي إليك مع النسيم
 من قلبٍ ذي ودٍ إليك
 تحيتي وجوى اشتياقي
 نزيل أكناف العراق

" وقلتُ أيضاً " :

يا مَنْ أذابَ القلبَ في حُبِّه
 هلاً إلى عليك من وصلةٍ
 وعلمَ العُشَّاقَ طعمَ الهوى
 يشفى بها مَنْ ذاقَ طعمَ الجوى

أبتك ما عندي من الشوق والوجد
 ولا يتناهى ما يقهت وإن نأى
 وإن كان ما عندي يجلّ عن الحدِّ
 خيالك عن عيني وداوم في البعد

" وقلتُ في ولادة سيدي ومولاي الحسين عليه السلام " :

قف بالطلول وقل لك البشري
 وانشد على رغم العذول وقل
 واسمع نشيدك معشراً هتكوا
 بشراك حيدرة بمرتهن
 فالكون أشرق يوم مولده
 صمت لذلك أذن بعضهم
 يا خير من لبي ومن أسرى
 هذا لعمرى الآية الكبرى
 دين الإله وأضمروا الغدرا
 فيه الهداية للورى طراً
 والدين أصبح باسماً ثغرا
 فكان في آذانهم وقرا (11)

(10) أيضاً / 54 - 55 .

(11) أيضاً / 55 .

" وقلتُ مُراسلاً الأديبَ الفاضلَ والورعَ التقيَّ الكاملَ الشيخَ عبدَ الكريمِ صادقٍ " :

يا مَنْ أَلَحَّ بهجره	ظلماً عليّ وداوما
وأذاب قلبي بالصّدود	وفي هواه تقسّما
أنعم بقربك لي فما	مثلي يُعذبُ مُغرماً (11)

" وقلتُ مُجيباً جنابَ العلامةِ الشيخِ حبيبِ عزّ الدين عن كتابِ أتاني منه " :

وافتُ تحيتكم تَقولَ لنا ضحى آياتِ نظمك	
فأخذتها بيدِ السرور	مُقبلاً لجميلِ إسمك
وتلوتها فوجدتها	دُرّاً صفا في بحرِ علمك
عذراءَ يارحُ طيبُها	لكنه من طيبِ رسمك
زارتُ حبيباً قد أضربَ به النوى وعظيمِ ظلمك	
لولا تداركِهِ بما قد	صيغَ من وقادِ فهمك (12)

" وقلتُ مُهنئاً العالمَ العاملَ والفاضلَ الكاملَ الشيخَ عبدَ الكريمِ شرارةَ بقدومه

إلى جبلِ عاملِ سنة 1330 " :

جبينك البدرُ بدا واستتمّ	فأشرقتُ منه دياجي الظلم
ووجهك الوضّاحُ ديباجةٌ	طرزها بالوشي منك اللّم
وقدك الميَّاسُ في ميله	يحكي غصونَ البانِ غبّ النسم
وكم إلى العشاق من مرسلٍ	من لحظك الفتاكِ سهماً اصمّ
يا لائمي في حبه لو ترى	ما شمته من حُسنه لم تلّم
غداةَ في وادي زرودِ غدا	يميسُ دلاً فوق روضِ بسم
يجودُ لي بالمسكِ من خاله	وبالطلّى من ثغره المُبتسم
وقد غدا عِقداً يميني له	لكن كعقدِ جيده المُنتظم
يلفُنا من شعره مُرسلاً	ومُنثنٍ منه يجوزُ القدم
فيا غزالِ الجزعِ مَنْ غالني	ببُعدك المُفضي لطولِ السقم

مضت لنا في المنحنى من أضمر
 عينٌ علينا أو عذولٌ ينم
 يلفنا بُردُ التقى والكرم
 غضاً وأطاللي إليه شمم
 يظلّ نحوي مُقبلاً يبتسم
 بطيب عيش لم يُمازج بهم
 ونلت ما نلت ببعْدِ الهَمَم
 بهمّتي إلا العلى والكرم
 مضى لنا بالجَزَعِ من ذي سلم
 نجى من عنه تلقى الأمم
 أسرى فمهدياً يسيراً أو يُقم
 مهراقةً تجري فلم تتحسم
 فراقه لَمَّا تزلّ تضطرم
 فسار مُذسار النهى والكرم
 عظيم فضلٍ مع تمام النعم
 مُبين قولٍ من حكيمٍ حكم
 سوابقٍ عضت عليه العنم
 سمّت خطوبٌ وادلهمت ظلم
 يخطُ إلا ما يراه القلم
 مآزر الكربِ فشقّ الحُزم
 وفكرةٍ وقادةٍ في الأزم
 وفاز فيه أيّ فوزٍ أتم
 لطالبٍ مثل ابن موسى تؤم
 تزلّ فيها من خبيرٍ قدم
 لأمه وقت التّجى يقتحم
 عظيم فضلٍ أو جليل الحكم
 ومثله يُرجى لدفع البُهم

فيا رعى الله الليالي التي
 بتنا ضجيعين بها لا بها
 بعفةٍ تُزري بأهل الهوى
 مضت وقد كان شبابي بها
 فربّ يومٍ ماله راصدٌ
 ولم نزل من قُربه ه كذا
 حتى ركبنا العيسَ زيافةً
 وجدّ بي جدّي فلم أرتق
 تبدّل القُربُ وذاك الذي
 وصرتُ عند المرتضى أقتدي
 حتى به الله إلى قومه
 وفتت إذ سار ولي دمة
 أقول والنار بقلبي على
 من مُبلغٍ عني لمن قد سرى
 تحيةً ممّن عليه له
 ومُبلغٍ عني إلى عاملٍ
 لحائز السبِق الذي دونه
 هو ابن موسى من إذا في السرى
 يشقّ منها كلّ داج وما
 لطالما شدت عليه أسى
 بعزيمةٍ منه تفوت القضا
 أضاء من أنواره عاملٌ
 وأصبحت أطلاننا ما بها
 فكنت إذ حلت بها شبهة
 أكون فيه كالفضيل الذي
 فيكشف الرّيب بما نال من
 لمثله يُلقى زمام الورى

وعنده الفضلُ ومنهُ تُرى
وكفّه كالغيثِ ، لكنّه
فأين أهلُ الشعرِ في مدحه
حقائقُ الحقِّ ومعنى الكلام
يجودُ فيما لا تجودُ الدّيم
تجودُ من منظومها المنتظم (13)

" وقلتُ مُهنئاً العالمِ الفاضلِ السيّدِ شريفِ شرفِ الدينِ بقدومه إلى جبلِ عاملِ سنة

: "1331

رضابك أم صريف المدامة أم شهد
وذا غصن بان بالنقا متميل
سألتك رفقا بي فإني مُعدّب
فجد بلقي إن لم تجد منك بالمنى
ولا تُبقي من بعد نأيك في أسى
فما هي إلا ساعة نجتني بها
فكل قريب بالنوى متوعّد
وكل بعيد بالتداني مؤمل
فأقبل يسعى في الرياض وما على
فما هو إلا مثلها غير أنه
وما زال يسقيني ولكن رضابه
إلى أن بدا الواشي النهار بجنده
فراح وفي قلبي عليه تحسّر
تعلت عنه بالحديث وبالمنى
إذا ما لحي اللاحي عليّ فقل له
فما كل ذي دلّ يميذُ مهفهف
سأصدم كُتبان الفلا بنجيبه
وأبعثها نحو الشام تخبّ بي
وكيف وقد أضحي الشّريف زعيمه

وخذك ذياك المضرّج أم ورد
يرنحه غصن النسيم أم القد
بنار تذكّيها الصباية والوجد
وإلا فوعدّ لا جفاء ولا صد
عليك فحادي العيس قارب أن يحدو
ثمار وصل بعدها النأي والبعد
وليس له من كأسه أبداً بد
ولكن من يحظى بأماله فرد
شقائتها إذ مرّ يلثمها البرد
بدا أن من أذياه يأرج الند
وربّ رضاب دونه الرّاح والشهد
يسوق جيوش الليل وهي لها جند
ودمعي منهلّ وملء الحشا وقد
ودعدّ فلم يجد الحديث ولا دعد
على مثله مثلي يحقّ له الحد
ولا كلّ شعرٍ شمته مُرسلاً جعد
تخال الروابي إن سرت عكسها تعدو
لمغنى به السرّ الإلهيّ والحمد
وللناس إن أموه من كفّه الوجد

عن النيرين الشمس والقمر الوفد
 إذا قيل أين العلم والحلم والجِدُّ
 لخير بني الزهراء فليكن القصد
 وحق له دون الورى الذكر والحمد
 وبارحني فالقلب في إثره يعدو
 توجج ناراً شَبَّها في الحشا الوجدُ
 فقد حلَّ في أكنافها اليمُن والسعدُ
 رأته واحداً في الفضل ليس له ندُّ
 وإن سمحوا بالوعد لم يُخلف الوعد
 له الشرف الوضاح والفخر والمجدُ
 بيوسف ذاك الحبر والعلم الفردُ
 وليس لكلٍ منهما الحصر والعدُّ
 لمن سابقوه ما حواه وإن جدوا
 متون المعالي كالليوث وهم مُردُّ
 إليهم فلم للدهر من طوعهم بدُّ
 بهم ، فهم لله ما خلدوا جندُ
 فعبدُ حسين لا يُصد وإن صدوا
 وأبدى رسوماً منه لولاه لم تبدُ
 به ، وعلى أمثال ذا يحسنُ الجدُّ
 عُراه ، وأعلى كلما منه قد هدوا
 ومنه وإلا لا عطاءً ولا رفدُ
 تجد عيلاً في الفضل ليس له حدُّ
 لمن يُجره التيار والفضل يمتدُّ
 فهلهل مذ وافى به الحجر الصلْدُ
 لنيل المعالي والمنى الحر والعبْدُ (14)

على أنه استغنى بنور جبينه
 يُشارُ بأطراف الأنامل نحوه
 فقلُّ مُسمِعاً إن حلَّ في الناس مُشكلاً
 لقد حُصَّ بالذكر الجميل عن الورى
 أقام بقلبي فهو غير مُباحٍ
 ولم تزل الذكرى لسالف قُربه
 فبُشرى لأرض حلَّ فيها بقومه
 وطوبى لأبصارٍ رأته فإنها
 من الهاشميين الكرام إذا دُعوا
 بنى لهم الرحمان منزلَ سؤددٍ
 سما رفعةً فوق الكواكب والسهى
 هو البحر علماً والنجوم فضائلاً
 رقى لسان المجد طفلاً فلم يكن
 سرى سيره أشباله فتسنموا
 وألقت يدُ الأيام طوعاً زمامها
 أيطمع في الإسلام وهو مُشيِّدُ
 لئن صدَّ عنه النائبات ججاجُ
 لقد شدَّ أزر الدين مُدَّ شدَّ أزره
 فتى شاده أحكام ما جاء جده
 فأبرم منه كلَّ أمرٍ تفككت
 إليه وإلا لامسيرٌ ولا وخدُ
 إذا رمت أن ترقى المعالي فلذ به
 وخذ عنه ما يتلى عليك فإنه
 ليهنهم وافى الشريف ربوعهم
 وداموا على مرَّ الدهور يؤمهم

" وقلتُ مُستهزئاً بعض الرؤساء على الأخذ بناصر الدولة الإسلاميّة ، حيث أنها كانت في ضنكٍ لقيام الدّول عليها . وذلك سنة 1330 " :

قعدتَ ودينُ الله أصبح في ضنك	يُناديك ياذا الحزم والعزم والفتك
قلبٍ فما من بعد هذا معيشةٌ	لذي غيرةٍ حيث الوُلاةُ ذوي الشّرك
لقد قام أهلُ العلم منهم فهل توى	تقاعدنا حزمٌ عن الطعن والسفك
فما هو إلا الجُبْنُ والخوفُ فانتض	حسامك يا ابن الهاشميين للعرك
فإمّا ماتٌ بعد هذا بعزّةٍ	وإمّا حياةٌ (15)
بجدّك هذا الدين كان مؤيِّداً	وتأييده فرضٌ وأنت له تحكي
فقُثم واصلها ناراً يشبّ ضرامها	بكل كميّ في العريكة ذي فتك
أعن شيمة تضحى ذوو الدين كلها	على ما أصاب المسلمين أسىً تبكي
ونحن جلوسٌ في الغريّ كأننا	أجانب قد حزنا عن الدين للشرك (16)

" وقلتُ " :

إني إذا رام الزمّا	ن يردّ لي باعاً طويلة
وعليّ فوقت السّهام	نوائبُ الدهر الجزيلة
فتمسّكي بأبي الحسين	يردّ أسهمها كليلّة
فهو الوسيلة في الأمور	لمن به يرجو الوسيلة
هيهات تلقى لي على	مرّ الدهور سوى الفضيلة
حيث الوصي مجنّتي	في كلّ حادثّةٍ جليلّة (17)

" وقلتُ مُهنئاً جناب الفاضل الكامل الشيخ حسين عبد الله بعروسه ه ، وذلك في شهر جمادى الأولى من سنة إحدى وثلاثين بعد الثلاثمائة وألف " :

يا مَنْ رأى البدرَ بجُنح الظلام بدا على الأرض بزّي الغلام

(15) خرمٌ ضاع به بقية الشطر .

(16) حديث النعم 60 - 61 .

(17) نفسه / 61 .

بدرٌ ولكن تاهَ فيه الورى
خطت يدُ الحُسنِ على خده
ونظمت من شَعره غُرةً
بكل يومٍ لي بوادي منى
توعدني بالسلمِ أعطافه
كان بين القَربِ لَمَّا بدا
فكلما لجَّ بتغريده
له سلاحان إذا ما مشى
فذا طعونٌ من دننا نحوه
فيارعى الله زماناً به
ولم يكن ثمَّ سوى ما بدا
وغيرُ ما نمَّ على ما به
يلفتنا الشوقُ ولا طارقُ
فخصره المُننى وأجفانه
وعينه الوسنى وأعطافه
أما بأرض الشام من مُنصفِ
أغرى بقلبي لينُ أعطافه

فأعجبِ البدرَ تتيهُ الأنام
لاماً فثمنا وصلَ ميمِ بلام
على كمثلِ الشمسِ أبهى نظام
مواقفُ معروفةٌ والخزام
بها وساجي اللحظ يرمي السهام
وبين قلبي المُستهام التزام
يلجُّ قلبي بالهوى والغرام
مُهفَهفُ رمحٌ ولحظٌ حسام
وذا لرائيه يسوق الحِمَام
غدا نديمي والرضابُ المُدام
..... (18)

مِن (19) ماء غيثِ ركام
سوى الصبَا جاءت برياً البشام
قد أورثنا جسمي الضنا والسقام
قد سلبا عنى لذيذَ المنام
يفكّني من أسر ريم الشّام
حتى إذا ما جئتُ جرَّ الحسام

" وقلتُ مخاطباً مولاي ابا الفضل العباس عليه السلام " :

أتيتك والإحسان منك سجيّة
أبا الفضل أنت المُستغاث لكلّ ما
وبي ظمأٌ للهوردٍ من بحرهِ الصافي
يُرجي الفتى والكوكب المُشرف الهادي

لي بالحسين وجدّه وأبيه
ما أرتجي من عفو ربّي عن خطأ
وبأمه وأخيه ثم بزنيه
أسلفته وصحيفتي تُحصيه

(18) بياضٌ في الأصل .

(19) كلمة غير مقرّوة .

" ومما قلته بزفاف النجيب الفاضل والمهذب الكام ل الشيخ محمد تقي صادق ،
المعروف بحسن الذوق واعتدال السليقة . وإنما نتوسم منه ، رعاه الله ، الرقي إلى أسمى
معارج العلى . زاد الله في توفيقه . وذلك سنة 1332 " :

أجفان مُقلتك الفواتر	أم تلك أسيافُ بواتر
أعشى سناك نواظري	والبدرُ أن يُعشي النواظر
كم حارَ فيك ذو النهى	وكم اهتدى بسناك حائر
ما شمتَ يا منفي النظير	لكنه ذاتك من نظائر
فلوان أربابَ الحجى	أفنوا بمعناك البصائر
لم يُدركوا إلا بأن	حجاهمُ عن ذاك قاصر
مُرّ وانه ليس سواك لي	ما دُمتَ من ناهٍ وأمر
واسمح بقربك إنني	أفنيتُ فيك دمَ المحاجر
فكثير هجرك لم يدع	لي في البرية فيك عاذر
هبني على الألم الصبور	فعن فراقك غير صابر
ما زلتَ تقتلني بغمز عيونك السود السواحر	مُعذباً والطرفُ ساهر
ألقيتَه بلظى هواك	قلا تكن للعهد خافر
إن لم يكن وصلٌ لديك	والغدرُ عند ذوي الغدائر
كم جنتني فغدرتَ بي	بأن تكونَ عليّ جائر
ما خلّتُ يا مهوى النفوس	مُ شققتَ بها المرائر
لفتاتٌ جيدك وهي أسها	لفتاتُ آرامٍ نوافر
ما خللتُ إلا أنها	من الورى أبداً أُحاذر
يا مُفلقِي ، وأنا عليه	وسواي في العشاق غاير
أعلى مَ غدري في الهوى	غيري على السلوان قادر
فارفق بنفسي إنما	ظلماً لمُضنى فيك هاجر
واعطف عليّ ولا تكن	يومُ السرور لكل فاطر
وانعم بوصلك لي فذا	روضُ الهنازاهِ وزاهر
هذا التقى غدا به	على الورى فيه أفاخر
ندبٌ إذا رُمتَ الفخار	

أنست بمرآه النفوس وفي مُحَيَّاه النواظر
 فتلا مجيدَ ثناهِ فـي وادي المسرَّة كلُّ حاضر
 ومضى بيوم زفافه طرباً يُغرِّدُ كلُّ طائر
 سمحُ الأكَفَّ كأنهن لـدى النـدى سُحِبُ هوامر
 ذو فكرةٍ ما شابها كـدرٌ ولا حُجبتُ بساتر
 تجدُ الخفيَّ من المعاني المُشكلات لـديه ظاهر
 يعلو بمدحتـه القريض فكلُّ شعـرٍ فيه شاعر
 ولقد كساه زفافه حلاً وحلياً من أساور
 أخذ المكارم عن أبيه أبي المكارم والمفاخر
 البحر علماً فالتمس من سره عُـررَ الجواهر
 ذو همّةٍ تنحط عن إدراكها الشَّهْبُ الزواهر
 ماذا أقولُ بمُفـرِّدٍ جمِّ المناقب والمآثر
 جُلِّتْ مناقبه لـدى تعدادها عن حصرٍ حاضر
 لك يا أبا الحسن (20) غبَّ التفاضل والتفاخر
 لم يجر ذكر كرامةٍ إلا وكان لها مِبـادِر
 فلك الهنا في فاضليـن هما السرور لكلِّ ناظر (21)

" ومما قلنته في زفاف النجيب الأديب والفاضل الأريب الشيخ محمد بسما حفظه

الله تعالى في السنة المذكورة " :

البانُ والنرجس والوردُ عيناك والقامةُ والخذُ
 وثرعك الأثـنـبُ سلساله لمجتليه الرّاحُ والشَّهْدُ
 تُحيي فؤادي كلما قانـي إلى الرّدى جيّدك والقـدُ
 فاعجب لباريه بتكوينه يُردي ويُحيي كلما يـدو
 أضلّ من أهداه عن رُشده ففيه أمسى الغيِّ والرّشْدُ
 وقلتُ لَمَّا زارني بعد ما قد نالني في حُبّه الجُهدُ

(20) كلمة غير مقروءة في الأصل .

(21) حديث النعم / 61 - 64 .

ما أنت يا مهوى النفوس امرؤٌ إن أنت إلا ملكٌ فردٌ
 سُبْحانَ باريك على صورةٍ ليس لها في خلقه ندٌّ
 الوجه مثل الصبح مبيضٌ والشعر مثل الليل مُسودُّ
 بما ترى فاحكم فإني لك المُطيع في الحبِّ بل العبدُ
 يا أهيفَ القامةِ يا قمر التمام يا واحدُ يا فردُ
 لأنت في نفسي وفي خاطري وفي فؤادي أينما تغدو
 هجرتُ من أهوى وأجهدتُ في هواك نفسي والهوى جهدُ
 أجِدُ في الوخدِ رجاءَ اللقا ولذَّ لي في حبِّك الوخدُ
 وما سوى لقياك يطفئ لظىً بمهجتي إذ شُبِّهَ الودُّ
 فقام لكن كل أحشائه جوىً ، وملء مهجتي وجدُ
 وضمّني لكن تأذى لى العناق من ضمّي له النهْدُ
 فكان راحي منه درياقه وكان مني عقده الزتدُ
 وبتُّ لا واشٍ ولا حاسدٌ اخافه كلا ولا ضدُّ
 أُزيلُ بالتفاح من خده ما في فؤادي ترك الصدُّ
 إلى أن الليلُ انقضى فانقضى هنئ عيش كله رغدُ
 فقام يمحو رسمَ ما خطَّ في الكتيب المُلتقى البردُ
 يفوحُ من اذنيه كالماء سرى النسيمُ العطرُ والندُّ
 وقمتُ لكن ملء نفسي أسيً وملء قلبي والحشى وقدُ
 وصرتُ لا حولاً ولا قوَّةً لهول ما بي صنع البُعدُ
 محمداً فيك اقام النهى وقام فيك الفضلُ والمجدُ
 كريمٌ أخلاقٍ ولكنها بكفِّه للمعدَمِ الوجدُ
 متى أبت همته أن يرى إلا إليه الشكرُ والحمدُ
 يلقه بُردُ العلى والتقى لله ما قد جمع البُردُ
 أخلصته ودّي وحقُّ إلى أمثاله أن يُخلصَ الودُّ
 عظيم فضلٍ ليس من شأن ما غدا به مُنفرداً عدُّ
 فقل لمن قد رام في غيره تشبيهه اقصرُ إنه فردُ
 نعم ، إذا ما رُمت خُبراً به فبحرُ علمٍ ما له حدُّ

سمى بمجدٍ حيث رام العُلَى وغيره جدّ به الجُدُ
وبلبلُ الأفراح في ربعه لا زال أنساً دائماً يشدو (22)

" وقُلْتُ وقد قدمتُ على مولاي الحسين عليه السلام ، ومعِي من الإخوان مَنْ تَقَرُّ^١
بهم كل عين " :

لَمَّا علمتُ بأن وفدك منك يرجعُ بالسرور
أزمتُ أن أصلَ المسيرِ إلى رحابك بالمسير
ولقد أتى لخطيره ما للخطير سوى الخطير
إن أنت أرجعتَ الأسير بذنبه مَنْ للأسير

" وقُلْتُ وقد زارني صفوةُ الخلان وأصدقُ الإخوان ، الكوكبان اللامعان ، والفاضلان
الألمعيان ، السيّد محمد سعيد [فضل الله] والشيخ عبد الكريم مغنّية في مدرسة الق طُـب ،
وقد كنتُ جعلتها محلاً للاشتغال ، فلم يجداني . فلبثنا مدّةً في الحُجّرة . وقد كتب الشيخ
عبد الكريم على ورقةٍ وجدتها موضوعةً بعد رجوعي " :

قالوا إذا بزغ الصباخُ فلم تجدُ من كوكبٍ إلا رأيتَ مُغرّباً
كذبتهم فوراً وقُلْتُ مؤرّخاً بزغ ابنُ محمودٍ صباحاً كوكباً
وكان قد عثر عليها في ترجمة المولى العلامة الشيخ حسين مغنّية . قالها في
تاريخ ولادته [يعني تاريخ ولادة الشيخ عبد الكريم مغنّية . وهو المعنيّ بـ " ابن محمود "]
فكتبها . ففهمتُ من هما أنهما قصدا ذلك . فأعلماني أنّنا صباحاً ، بهذين البيتين ،
فأجبتهما " :

ياليت إذ بزغ صباحاً لم يكن نأيٌ وبُعدي عن لقاءهم حاجباً
فافضّ مسك ختام صفو حديثهم بكرةً على أن التلاقي تيباً
وأبْتُ من صافي المحبّة ما انطوى قلبي عليه مُفصّلاً ومُبوّباً
أهاً لذاك وبالهـا من حسرةٍ راحتُ مُشرّقةً ورحتُ مُغرّباً (23)

(22) حديث النعم / 64 - 66 .

(23) نفسه / 66 .

" وقُلْتُ فِي ابْنِي : عَلِي ، أَبِي الْحَسَنِ نَوْرِ الدِّينِ ، وَسُلَيْمَانَ ، أَبِي جَعْفَرِ جَمَالِ الدِّيْنِ
(24) . وَهُمَا صَغِيرَانِ " :

كَالذَّرَّتَيْنِ أَضَا صَفَاؤُهُمَا	عَوَدْتُ ابْنِي اللَّذِينَ هُمَا
إِلَّا كَمَعْنَى مِنْ جَمَالَهُمَا	مَا النَّيِّرِينَ عَلَى كَمَالَهُمَا
وَلنَعَمَ كَافٍ اللهُ رَبَّهُمَا	بِاللهِ رَبِّ النَّاسِ رَبَّهُمَا
مَا اشْتَدَّ حِينًا فِي عِدَائِهِمَا	لَا أُخْتَشِي صَرْفَ الزَّمَانِ إِذَا

" وَمِمَّا قُلْتُهُ مُخَاطَبًا وَمُعَزِّيًّا مَوْلَايَ وَمِ لَازِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بَوْلَدِهِ
سَيِّدِي الإِمَامِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ " :

وَرَامُوا بِكُمْ ، وَاللهُ يَا بِي بِكُمْ ذُلًّا	لئن أوسعوكم حيثما كنتم قتلا
فَرَامُوا بِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ حَتْفَهُمْ فَلَا	فَمَا ذَاكَ إِلا حَيْثُ كُنْتُمْ سِيُوفِهِ
مِنَ الْمَنْزِلِ الأَدْنَى إِلَى الْمَنْزِلِ الأَعْلَى	وَمَا ظَفَرُوا إِلا بِنَقْلِ أَهْلِيهِ
إِلَيْكُمْ ، وَمَا الأُخْرَى لِعَمْرِي كالأُولَى (25)	وَمَا عَلِمُوا أَنْ انْتِهَاءَ مَسِيرِهِمْ

" وَقُلْتُ فِي أَحَدِ الْعُلَمَاءِ الرُّؤَسَاءِ ، عَنِ لِسَانِ آخَرَ مِنَ الْفَضْلَاءِ ، مُعَاتِبًا " :

مَلَابِسَ عَزَّ وَاسْتَقَامَتُ جَوَانِبِهِ	بِكَ الدِّينُ يَا مَشْكَاءَ مَصْبَاحِهِ اكَتَسَى
بِصَارِمِ عَزْمٍ لا تُفَلِّ مَضَارِبِهِ	فِيَوْمَاكَ إِمَّا ضَارِبٌ فِي عَدُوِّهِ
بِثَاقِبِ فِكْرٍ لَيْسَ يُحْجَبُ ثَاقِبِهِ	وَإِمَّا مُجَلِّ عَنِ غَوَامِضِ كُنْهِهِ
فَفِي فَضْلِكَ الْمَعْرُوفِ تَحْدُو رِكَائِبِهِ	أَرَى الرِّكْبَ إِنْ أودَى بِهِ الْوُخْدُ وَالسُّرَى
فَمَنْ بِحَرِّكَ الزَّخَّارِ يَغْرِفُ طَالِبِهِ	وَإِنْ جَفَّ عَنِ طَالِبِهِ الْعِلْمُ وَاخْتَفَى
إِذَا جَفَّ مِنْ جَوْفِ الْغَمَامِ سَحَابِهِ	وَجَارَى النَّدَى مِنْ رَاحَتِيكَ فَيُوضِئُهُ
بِشَخْصِكَ تَمَثَّلاً لَهَا عِيَّ جَانِبِهِ	فِيَا مُقْتَفٍ إِثْرَ الْفَضَائِلِ حَسْبِهَا
اسْتَبَاقًا وَلَمْ يُعْجِزْكَ مِنْ ذَاكَ هَارِبِهِ	إِلَى مَ الْعُلَى أُعْجِزْتَ شَارِدَةَ الْعُلَى

(24) تُوْفِي عَلِي رَحِمَهُ اللهُ شَابًا غَرِيبًا فِي " الْكُوتِ " . أَمَّا سُلَيْمَانُ فَقَدْ تُوْفِي فِي " بَعْلَبَكِ " سَنَةَ

1414 هـ / 1993 م .

(25) حَدِيثُ النِّعَمِ / 67 .

وإِما عطاءً جَلَّ ما أنتَ واهبه
صفاهُ ومن صافى أخاه يُعاتبه
قريبٌ ، وذِيك البعيد تقاربه
وقلّ الذي في الناس تصفو مذاهبه
ألا إن خيرَ الرأي في المرء صائبه

ويا واهباً إِمّا رشاداً نبّته
إليك عتابٌ من أخ ساق عتْبُهُ
أُعِيذُك أن أُمسي البعيد وأنني
فما أنا إلا من صفا فيك مذهبي
نزوعاً إلى مُستصوبِ الرأي فيكمُ

هواها لكسبِ المال لا للمكارمِ
على الضيمِ إعطاءً الذليلِ المُسالمِ
على منكبِ الشرّعى وهلمِ النعائمِ
وهل شأنٌ مثلي غيرَ وردِ العظائمِ
فَرَوا بسيوفِ المجدِ نحرَ المكارمِ
تفرّقَ عن ماضٍ من العزمِ صارمِ
إبَاءُ أباةِ الضيمِ من آلِ هاشمِ

دع الناسَ إذ يفتادها بالشكائِمِ
فإني امرؤٌ آليتُ لا أُعطينُ يدي
أشُقُّ بنفسِي معظمَ الأمرِ راقياً
وأوردها من كلِّ أمرٍ عظيمه
فإني من قومٍ إذا جدّ جدّهم
من التاركي جيشِ النوائبِ شُرْباً
فإنّ بهم في كلِّ أمرٍ ونائبِ

" في رثاء العسكري عليه السلام " :

وفي أيّها الناسُ استطلّ عويلها
وخير الورى والعالمين قتيْلها
فروعُ زكتُ كُلاً وطابتُ أصولها
ولم تتحكّم في الرقابِ نصولها
أوارَ أسيّ لن يستتبّ شعيلها
عقيقاً بحيثُ اخضلّ منها مسيلها(26)

لأيّ خطوبِ الدّهرِ عيني أُسيلها
أهاشم ما للبيضِ شيمتُ عن الهدى
سليلُ عليّ ، ابن الجواد ، ابن جعفر
أليس عجيباً أن تحكّمَ فيكمُ
فرزءُ أبي المهديّ خلّق في الحشا
وأفرح أجفاناً تنظّم دمعها

" في صاحب الأمر ، عجل الله الفرَجَ بظهوره . وقد أحاطت بنا الشّدائد ،
واعتورتنا مُبهماتُ المصائب " :
ورُبّ أبيضٍ يُستسقى بطلعته

لا يعرف الضيغَ مَنْ قد حلَّ ساحتَه
أمسكتُ حبلَ اعتصامي في ولايته
مهما تفاقمت الأخطارُ والنوبُ
وقلتُ فلتكثر الأهوالُ والنوبُ
رفيعَ علياهُ من محتومه الهربُ (27)

أيُّ عُذْرٍ للاثمي فيك يُذكَرُ
أو ما شامَ نورَ وجهك وهو السَّاطعُ المُضِي كُلِّ مُحضَرُ
بعدهما قد رأى سنالكَ وأبصرُ
ما مقالِي وفي جمالك عقلُ العارِفِ الدَّقِيقِ تحيِّرُ
كلمالِجٍ بالتأملِ فكري
ما تحرّى الرَّشادَ مَنْ عنك ألوى
في معانيك ضلَّ عنها وقصّرُ
جيدُهُ إذ رأى بل ما تدبّرُ (28)

مُتقطّعاتٌ من قصيدة طويلة قالها في رثاء الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسن عزّ
الدين ، أوردها في الترجمة التي علّقها له في ذيل كتاب (حديث النعم) :
أيُّ امرئٍ حيثُ جاء الأمرُ والقدرُ
إن المنايا ساهمٌ ليس ينفَعُ في
نجا فكان له في هذه الظفرُ
إصدار مُطلقها إذ تُرسَلُ الحذرُ
ما أحسنَ الدهرُ يوماً لامرئٍ فصفا
إلا وعاد زماناً صفوه كدرُ

أنطقُ لسانَ يدِ التبيانِ مُجتهداً
أنت الحقيقةُ والمعنى المُرادُ بها
وقلُّ به ما تشا ، إن كنتَ تقتدرُ
وَجُلُّ هذا الورى الأوهامُ والصورُ
أنت الذي تعملُ الأقلامُ في يده
قد جلَّ رُزوكَ حتى ما فؤادُ فتى
ما ليس تعملهُ الصمصامةُ الذكرُ
من البريئةِ إلا ملوهُ كدرُ

ما مرَّ نعشكَ محمولاً يُطافُ به
ولا أطلَّ بمسراهُ على شجرٍ
إلا بكاكِ أسى من فقدك الحجرُ
إلا انحنى لك ذُلًّا ذلك الشجرُ
أنا لا يحلُّ بمن قد زارها ضررُ
ماذا على قُربِ أرضٍ قد حلت بها

(27) أيضاً / 81-83 .

(28) أيضاً / 82 .

وما على الناس لو حجّوا إليك لئما

من قبل حجّوا إلى مغانك واعتمروا (29)

قُلْتُ لَمَّا عَلَا الْمَشِيبُ خَطِيْبًا منبرَ الرّأس في البلاغ وأنذر

لا تعظني ، فلست أجهل أن العُمر ولّى فلا يعود وأدبر (30)

(29) أيضاً 70-71 .

(30) أيضاً / 67 - 68 .

- ثانياً : مقطوعات نادرة من أيام العمارة

في التحريض على الحملة التبشيرية

أبني الهداية هل علمتم أنه
 ليّل الضلال له على صُبْح الهدى
 شُنّت لمحو هُداكم الغارات
 بمعاركٍ فيما مضى ثارات
 زحفت بنوه على صعيد طروسها
 ورمأحها الأقلام لا الأسلات
 وتغلغات حتى بدا بحشى الهدى
 من فتك سُمّ مدادها فتكات
 زعموا الهداية في غواية نهجهم
 فمضت تُسددهم هناك غزات
 لا تستقيم لكم وقد ملأ الفضاء
 قبل الفوات على الصعيد قناه
 لا يظفر الجيش اللهم بقصده
 ما لم يكن منه إليه غزاه
 أين الحمأة حقائق الرشد التي
 أمست وليس لها الغداة حُمات
 كانت تدور على شرائع دورها
 حذر العدو ججاج وكُماء
 ولهم إذا اشتدّ القراع وأقحمت
 عُلبُ الرجال علائم وسمات
 كشفت بأنهم هم أبطالها
 وأنتم بنو تلك الألى أفعالهم
 قصرت مغاوركم على فلواتكم
 هذي المشارق والمغرب أصبحت
 قوموا فحاموا عن حقائق دينكم
 إن لم تزيلوا في طهور هُداكم
 إن لم تدسّوا في سُموم كلامهم
 وعليهم دارت لهنّ رحاه
 في ذا السُّبات ، وليس ثمّ سُبات
 وتطاحنت لكم بها الهامات
 لسباق أقلام الورى حلبات
 إنّ اليراعة للعليم قناه
 رجس الغواية إنكم لرُفات
 درياقكم لا تسبّين حياة (1)

أهدى إليه المرحوم الشيخ جعفر النقدي ، قاضي " العمارة " آنذاك ، ومن أصفياء

(1) عن الدفتر الذي كتب فيه مسودة الجزء الأول من مجلة الهدى .

الشيخ ومناصريه ، — كتاباً من تأليفه شرح فيه قصيدة " الباقيات الصالحات " للشاعر عبد الباقي العمري ، طالباً منه تقريره ، فكتب أبياتاً ذكر منها :

رأيتُ بهذا الشعر رمزاً فهمتهُ
وما كلَّ شعرٍ رامزٌ فيه مُنْشِيهِ
إذا فاز أربابُ القريض بمدحهم
فإنَّ لباقي الشعر فوزاً بباقيهِ
دراري لباقي أعجم اللفظ كنهها
فشفتُ لآلي جعفرٍ عن درارِيهِ (2)

يكاد حنيني للغريين كلما
ولولا دموعٌ لا أزال أسيلها
تذكرتُ عهدي فيه يوردني التلف
لتطفئُ وجدني هدني الوجدُ والشَّغف
أيا ساكني أرض الغريِّ ليهنكمُ
عبيرُ شذى التفاح من روضة النجف
ذهبتم بخير النشأتين بقُربهِ
وخلّيتموني مُبعداً ما كذا النَّصَف
إليكم دموعي وهي حُمُرٌ أذيلها
عقيقاً ، فهل من دُرٍّ واديكمُ خلف
لقد اسلفتني أرضكم صدقَ ودّها
وهيات من ذي الصدق نسيانُ ماسلف
ثرى عبقتُ في أرضه نفحة الهدى
وخالصُ سرِّ العلم والحلم والشرف (3)

كتب له المرحوم السيّد محمد صادق بحر العلوم ببیتين من الشعر ، يُهنئه بعيد الأضحى سنة 1348هـ / 1929م ، فكتب إليه في جوابهما :

أيا خيرَ مَنْ جاءت به هاشميّةٌ
وضاءَ بصُرُحٍ من سنا وجهه السّفْرُ
بك العيدُ أمسى مُشرقاً متألّقا
فكنتَ فخارَ العيدِ إذ ذهب الفخرُ

كتب له السيّد نفسه ببیتين أيضاً يُهنئه بعيد الفطر سنة 1349هـ / 1930م فأجابه :

ليهنك أن العيد أصبح بلسماً
برغم العدى ثغر الهداية والرشد
قصدتُ بأعمالي هدى آل أحمدٍ
وإني امرؤٌ لا أنتني الدهر عن قصدي

(2) الإسلام في معارفه وفنونه : السنة الرابعة ، الجزء الثاني / 120 .

(3) مجلة " الهدى " : السنة الأولى / 309 - 310 .

" وكتب لي العلامة المصلح الشيخ حبيب العاملي المهاجر من العمارة سنة 1349 :
 إنَّ قلبي يهواكَ واللهُ يـدري أنني لم يكن فـؤادي هـواء
 غـيرَ أنـي علمتُ أنـك فرعُ عن أُصولِ طابَتِ فطالتُ ذكاءا

" كتب لي العلامة المصلح الشيخ حبيب المهاجر العاملي من العمارة بمناسبة عيد الفطر
 على بطاقة في جواب ما أرسلته له مُهنئاً له بذلك العيد على بطاقة سنة 1350 :
 أتحتفتني رسالة العيد منكم بالتهاني وحبِّ ذاك الهناء
 إنما العيدُ يا خليلي وفاءٌ (صادقٌ) منك لم يزل و صفاءٌ (4)

(4) المقطوعات الأربع عن مصوِّرة مجموعات السيد بحر العلوم المحفوظة في مكتبة "تراث
 الشيعة" بـ " فم " المقدِّسة .

- ثالثاً : شعره الموجه / الوظيفي

" وقلتُ في مولد الزهراء سلام الله عليها "

" قرئت عندنا في بعلبك ، في حفلة أُقيمت على نفقة الشيخ الجليل الميرزا هاشم

الأشتياني سنة 1359 هـ / 1940 م :

أصبح الدهرُ ضاحكُ الثغرِ باسم
ملاً العالمين نورُ سناها
زهرةٌ فتحتُ بروضِ قريشٍ
بسقتُ للسماءِ عزاً ومجداً
إن تسلني أنبيك عنها فإني
هي إحدى الأشباح حيث تجلتُ
حدرتُ من سما الوجودِ تهادي
من أبٍ سابقٍ وأمٍ أصيلٍ
طهرتُ محتداً ونفساً وطابتُ
وهي لولا أن الوصيَ علياً
كفوؤها لم يكن لفاطم كفوؤُ
فتجلى الوحي المبين فوقى
يلزمُ المسلمين فرضُ ولاها
معلنًا طهرها ، وأتى لبنتِ المصطفى
عصم الله فاطماً وأباهما
فئةً صاغها الإله لتبقى
ونجوماً تسترشدُ الناسُ فيها
روتُ الناسُ عن أبيها مقالاً
وكلامُ النبيِّ وحيٌّ وهل في
يغضبُ الله للبتولِ ويرضى
إنما فاطمُ البتولةُ شمسٌ
ملأتُ فجوةَ الزمانِ سناءً
وتجلتُ في عترةٍ من بنيتها

يومَ ميلادِ بنتِ أحمدَ فاطم
أيُّ نورٍ ملا سناه العوالم
في على الدوحة الشريفة هاشم
وعلى وهي فتي كمام البراعم
ما أنا اليومَ عنك ذلك كاتم
يمنة العرشِ شخصُ نورٍ لآدم
من كريمٍ لأمهاتٍ كرائم
من لدى المبتدا لآخر خاتم
وتعالت مناقباً ومكارم
خيرة العرب كلها والأعجم
إن عن كنفها النساء عقائم
مدحها صادعاً يشق الصلادم
وجديرٌ بأن توالى الأعظم
معلنًا طهرها ، وأتى لبنتِ المصطفى
عصم الله فاطماً وأباهما
فئةً صاغها الإله لتبقى
ونجوماً تسترشدُ الناسُ فيها
روتُ الناسُ عن أبيها مقالاً
وكلامُ النبيِّ وحيٌّ وهل في
يغضبُ الله للبتولِ ويرضى
إنما فاطمُ البتولةُ شمسٌ
ملأتُ فجوةَ الزمانِ سناءً
وتجلتُ في عترةٍ من بنيتها

وهدوا العالمين سُبُلَ المكارم
من سنى فضلهم وصوب الغمام
وأنافوا فما لهم من مساهم
فالسواقي من الحيا المتراكم
مُضمر السرِّ ، مُخْتَفٍ ، مُتْكَاتِم
ويُخِيفَ الهُدَى ويُخْفِي المكارم
وطمّت أبحرٌ وقامت دعائم
جيدَ غاوٍ وأوقفت جورَ ظالم (1)

ملأوا الخافقين علماً وحلماً
ما سنى الشمس في الحقيقة إلا
ساهموا الناس في الفضائل طراً
قبس الناس شُعلة الفضل منهم
لكن الدهر لا يزال كعبدٍ
لا يرى غير أن يُغَمَّ المعالي
وأبى الله فاستنارت نجومٌ
رسمت خطّة الرشاد فألوت

" في مَولِدِ النَبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ " (2)

يُملي علينا وأدوارُ القضا قلمُ
وهي المبينة لا يُجدي بك الكلمُ
إلا الأسنّة والهنديّة الخذمُ
حرى يزجّ بها من قولي الضرمُ
جلت غياهبه منهم وجوههمُ
أتت على أسدها منهم سيوفهمُ
فوق الأنام ولم يُرفَع لكم علمُ
للمشركين ، وهم ساداتهم ، خدَمُ
مغمودةً وعلينا هذه العُغمُ

الدهرُ يخطب فينا والنهارُ فمُ
فإن تصاممت عن آيات مقوله
ضلّ الأنامُ فلا يهديهمُ ابداً
من مبلغ القائم المهديّ مُرسلةً
يابن الذين إذا ليلُ الخطوبِ دجى
وإن عدت تبغى الإسلام عاديةً
أعلامُ نابذة الإسلام قد خفقت
والمسلمون بكل الأرض قاطبةً
أُعِذُ نصرَكَ أن تبقى صوارمه

* * *

من السهادِ وقلبي كلّه ألمُ
دُرّاً تُضئ له الأسدافُ والظلمُ

صبرتُ حتى جفوني كلها وجعُ
أصوغُ خالصَ نصحي في قوالبه

(1) الإسلام في معارفه وفنونه ، السنة الثالثة / 489-91 . وبخطه في دفتر ، باختلاف يسير

في ترتيب الأبيات .

(2) نشرها مع القصيدة التالية في كراس مستقل سنة 1360 هـ / 1941 م .

وأسمعتُ كلماتي مَنْ به صممُ)
 أتّي ابن بجدتها إن زلتَ القدمُ
 والسُمرُ تحطمُ والهيجاءُ تضطرمُ
 إذا هوى بضعيفِ القوّةِ السأمُ
 وقائدي لهوايَ العلمُ والحكمُ

والليلُ مُعتكِرُ والصبحُ مُبتسِمُ
 إلى المنونِ ولا يدرون أين همُ
 يخفى بها ظاهرٌ أو يُبدَ مُكتتمُ
 سيّان بين يديه الوُجُدُ والعدمُ
 إلا انثنى الغيُّ عنه وهو مُنهدمُ
 إلا ببدأ ومُريدُ التلم مُنثلمُ
 فكان منه له واقٍ ومُعتصمُ
 عن الطريق وإن ضيموا أو اهتضموا

نهجَ المُدى والمعالي للورى فسموا
 تسلّ خبيراً بصيراً عارفاً بهمُ
 من أمرهم أو بهم في الناس مُنكتمُ
 فأشرقتُ بضياها العُربُ والعجمُ
 وكيف يبلغُ شأنَ المُصطفينِ فمُ
 فاختاره قمرأ تجلى به الظلمُ
 بل كان ميلادَ علمِ الله لو علموا
 بما أشار من الآياتِ لو فهموا
 عن التكلّم أم في فيهم اللجُمُ
 عليائه ، فالمُحكّم المرصوص مُنهدمُ
 أجاها الحق أم زلتَ بها القدمُ
 مَنْ يقصدُ السمعَ أم في الأرض تنتظمُ

(أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي)
 وأصبحتُ قارعاتُ الدهر تعرفني
 أُلقي بنفسي وليلُ النقع مُعتكِرُ
 يسمو بي الحزمُ للعليا بلا سأمِ
 يقودُ غيري هواهُ في أعنته

الشمسُ جاريةٌ والشهبُ ناظرةٌ
 والناسُ من بينها تجري على قدرِ
 ولا تزالُ الليالي في تصرفها
 والعائلُ الفردُ مَنْ لم ينخدع أبداً
 لا يبتغي الغيَّ هدماً من جوانبه
 ولا يُرادُ انثلامُ من مكانته
 وذلك أن نصيرَ العدلِ ناصره
 لله أنفُسُ قومٍ لم تزلْ أبداً

أولئك الصيد من عمر والعلی رسموا
 سلني بهم إن تسلني عن حقانقهم
 وهل ترى بعد هذا النور مُكتتماً
 فالمصطفى بزغت في العُربِ طلعته
 كم قيل فيه فلم يبلغُ علاهُ فتىً
 أراد للخلق باريهم هدايتهم
 ما كان ميلاده ميلادَ ذي جسدِ
 أشار للخلق باريهم بمولده
 ما للملوك لدى ميلاده خرسن
 وما لإيوان كسرى قد تساقط من
 وما لمعبودة الأصنام ساجدةٌ
 ما للنجوم تهاوى فهي راجمةٌ

لك المعارف وانفادت لك الأمام
فاحكم ، فأنت لعمرى الشاهد الحكم
عن الفضول ، وخلق كآله كرم
الدنيا تعجُّ بها الأنعام والنعم
كلا ولا انصرفت يوماً لها الهمم

* * *

تقبل كأنك ممنوعٌ ومُنْفِطِمٌ
فيه ولا مسَّه من قبل ذلك فم
طفلاً ، ولا امتصَّه من قبل ذلك فم
عيناً تسحُ وأخرى منه تنسجم
في طفله ، فاغتنم فالفضل مُغتنم

* * *

راويهم من جليل الآي مُتَّهَمٌ
راه منه بغيرا الرهبُ العَلَمُ
وأورق الشجرُ المهشومُ فوقهم
إلى اليتيم الذي لم يأتَه الخالمُ
بانه خيرُ رُسلِ الله كلهم
بديعة الشكل مختوماً بها الكلمُ

* * *

وطالما هلكت في غيها الأمام
له معاجز لا يحصى لها قلم
وهي المحجَّة ، ماذا عنه صدكم
وهي القويمه ما اجتاحتكم النقم
من البرية لا عُرب ولا عجم
منذ الوجود ، فلم يُعبد بها صنم
على الفتوح ، ولم يُغمز لها علم
في الأرض ، تكشف في أنوارها الغمم

يا أيها المرسل المختارُ قد سلست
قد صاغك الله من مكنون جوهره
نفسُ تعالت عن الأدناس وارتفعت
وعقَّة لو تجلَّت في محاسنها
لم يلو جيدك يوماً نحوها طمعُ

جادت حليلة بالثدي الملى فلم
وأقبلت بالجهم الجاف لا لبناً
ثدي حليلة لم ترضع به أبداً
يجيش بالدر في فيه كان به
فتلك أي يريك الله مظهرها

سائل قريشاً ، وهل فيما يحدثه
سائلهم ما رأى وفد الشام وما
سائل لم اخضرت الأعواد يابسةً
سائل بغيرا وماذا بات يقدمه
سائل بغيرا وماذا ظل يُنطقه
تلك النبوة جاءت في مظاهرها

سائل قريشاً وغي القوم أهلكهم
يا أيها الناس إن المصطفى شهدت
ماذا الذي صدكم عن نهج شرعته
لو لم تردوا على المختار دعوته
للمصطفى معجزات لا يكذبها
من ظهر الأرض من أصنام قد عُبدت
ومن تألف جمع العرب فاجتمعت
ومن أتى بقوانين الهدى فرست

قد تاه فكري في أغوار حكمته

من أين أوتي هذا العلم والحكم

يأيها الناس إن الله فضّلهُ
إن يتبع القمرُ السّاري إشارتهُ
أو ينبعُ الماءُ من أطرافِ راحتهُ
فطالما انقادتُ الأكوامُ طائعةً
ما أحمداً إن تسألني عن حقيقتهُ
برأه خالقُهُ نوراً ، وشِرعتهُ
ودينه الحقّ دينُ الله لا عِوجُ

وخصّه حيثُ لا لوحٌ ولا قلمُ
طوعاً له فتجلّى وهو مُنقَسِمُ
كالغيثِ يهْمُرُ سحاً ثم ينسجمُ
له ، فيقضي بما يقضي ويحتكمُ
إلا خِلاصةُ خلقِ الله كلهمُ
مَلجئٌ ، ومنهاجُهُ منجئٌ ومُعْتَصِمُ
فيه ولا مِرْيَةَ كِلا ولا سَقَمُ

مَنْ مُبْلِغُ العُربِ أن لا ترتقوا أبداً
ولن تسودوا وقد أصبحتمُ خولاً
يقضي عليكم بما شاء الهدى ولقد
مِلْتُم عن القصدِ إذ مال الزمانُ بكم

حتى تدورَ رحى الإسلامِ بينكمُ
حتى تسودَ دُعاةُ العدلِ عندكمُ
كنتم وغيركمُ يقضي برأيكمُ
وليتكم فنتمُ إذ لم يفِ الكِلمُ

تركتُم آلَ بيتِ المصطفى عبيراً
وسُمتُم فارسَ الإسلامِ حيدرةً
مَنْ وازرَ المصطفى ، مَنْ هدّ ساعدهُ
ومَنْ وقاهُ قریشاً وهي مُجمعةُ
ومَنْ ببدرٍ سطا فيهم فبَدّهم
ولم يدعُ ، وفمُ التاريخِ شاهدهُ ،

وفئهم دون فيءِ الناسِ مُنقَسِمُ
سوءاً ، فهل هوذا من قبلُ سامكمُ
مبنى الضلالةِ ، مَنْ قد ثلّ عرشهمُ
تُریده بمواضيعها فردّهمُ
وفلّ في سيفه البتّار جمعهمُ
بسيفه العُضْبِ قرماً من قرومهم

ويومَ أُحدٍ وقد جاؤا وقائدهم
فكرّ فيهم أبو السّبطين يحملهم
يلقى كتابهم فرداً فيرجعها
وغادر القائد الطاغي وأخوته
وعاد ذاك اللّوا الخفّاق مُنكساً

للموتِ في الجفَلِ الجرّار كِبشهمُ
للحُتفِ ، والنقْعُ بالهاماتِ يلتطمُ
قسراً تعجُّ بها الغيطانُ والأكمُ
من بعده وحياضُ الموتِ وردهمُ
وهل يُطيق امرؤٌ يحمي لؤاهمُ

أحزابُهُ الأُسْدُ لا يُلَوِي لَهُم شَمُّ
تَقْدِمُ لِعَمْرٍوِ ولا سُلَّتْ سَيُوفُهُمُ
مِنْكُمْ لِعَمْرٍوِ ، فلم تَنْبَسْ شَفَاهَهُمُ
كَالْيَيْثِ تَرْجُفُ مِنْهُ الْبَيْدُ وَالْأَجْمُ
أنا لِعَمْرٍوِ وَلِلْأَحْزَابِ كُلِّهِمْ
بِضْرِبَةٍ تُغْرُهُا لِلْحَشْرِ بِيْتَسْمُ
لو صَاحَ بِالْمُسْلِمِينَ الذُّهُمُ لَانْهَزَمُوا
كَلَا ، ولا رُكْنَ إِلا وَهُوَ مِنْهُمْ
لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيَّ وَجْهَ الثَّرَى قَدِمُ

وَأَيْنَ أَنْتُمْ وَعَمْرٍوُ جَاءَ تَتْبَعُهُ
فَخَالَطَ الْمُسْلِمِينَ الْخَوْفُ مِنْهُ فَلَمْ
وَالْمُصْطَفَى فِيهِمْ يَدْعُو أَلَا رَجُلٌ
وَأَقْبَلَ الْفَارِسُ الْكَرَّارَ حَيْدَرَةً
يَقُولُ ، وَالْقَوْلُ مِنْهُ غَيْرُ مُخْتَلَفٍ ،
وَبَادَرَ الْقَرَمَ عَمْرًا مِنْ مُهَنَّدِهِ
وَعَادَ يَحْمَلُ مِنْهُ رَأْسَ ذِي لَبِيدٍ
فَلَا لِيُوا عَادَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُنْحَطِّمْ
لَوْلَا حَسَامُ عَلِيٍّ لَمْ يَطَأْ أَبَدًا

* * *

مِنْ وَجْهِ مَرْحَبٍ وَارْتَاعَتْ جِيُوشُهُمْ
بِكَفِّهِ بَعْدَمَا أَهْوَتْ بِكَفِّهِمْ
كُلُّ الْيَهُودِ وَأَتَاهُمْ لِقْدَهُمْ
يَمْنَعُهُمْ مِنْ عَلِيٍّ بِبَابِ حَصْنِهِمْ
فِي سَدِّ يَأْجُوجَ مِنْهَا أَنْدَكَ سَدَّهُمْ
كَفُّ الْوَصِيِّ بِهِ لَمَّا بِهِ أَرْدَحَمُوا
كُلُّ الْخَلَائِقِ مَا أَعْيَاهَ قَلْعَهُمْ

وَيَوْمَ خَيْبَرَ إِذْ وَلَّتْ كِتَابِيهِمْ
فَجَاءَ حَيْدَرُ يَحْمِي رَايَةَ خَفَقَتْ
وَقَدَّ مَرْحَبًا فِي عَضْبٍ لَوْ اجْتَمَعَتْ
وَأَمْ حَصْنَهُمْ ، وَهُوَ الْمَنْيَعُ ، فَلَمْ
وَمَدَّ كَفًّا لَهُ لَوْ مَدَّ أَنْمَلَهَا
بَابُ الْقَمُوصِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا صَنَعَتْ
أَلْقَاهُ حَيْدَرٌ مَقْلُوعًا ، لَوْ أَنَّ بِهِ

* * *

لَمْ تُغْنِ شَيْئًا ، وَضَاقَتْ أَرْضُهُمْ بِهِمْ
لَيْثٌ ، وَأَنْهَمُ فِي جَمْعِهِمْ غَنَمُ
يَا لَلْعَجَائِبِ مَنْ أَمْسَى يَسُوقُهُمْ
وَالْغَيْظُ مُحْتَكَمٌ فِيهِ وَمُحْتَدِمُ
وَقَامَعَ الشَّرْكَ حَيْثُ الشَّرْكَ يَزْدَحِمُ
فَالْجَيْشُ مُنْهَزَمٌ وَالْدِينُ مُنْتَلَمُ
وَالْبَيْضُ تَرْجَمُ شُهْبًا وَالْقَنَا أَجْمُ
وَالرُّوسُ تَنْدُرُ وَالْأَرْمَاحُ تَنْحَطُّمْ
يَدَاهُ فِيكُمْ بِفَيْضِ الدَّمِّ يَرْتَطُّمْ

وَفِي حُنَيْنٍ ، وَيَا لَللَّهِ كَثْرَتُهُمْ ،
كَأَنَّ قَائِدَ جَيْشِ الشَّرْكِ حَيْثُ أَتَى
يَسُوقُهُمْ جُرُولٌ وَالشَّرْكَ تَتْبَعُهُ
يَقُولُ قَائِلُهُمْ ، وَالْغَمُّ أَفْعَدُهُ
اللَّهُ يَنْاصِرَ الْإِسْلَامَ صَارْمُهُ
عَجَّلَ فَدَتِكَ الْوَرَى يَابِدَرًا هَالَتْهَا
فَجَالَ حَيْدَرَةً وَالنَّقْعُ لَيْلٌ دُجَى
وَبَاتَ آخِرَهُمْ لَمْ يَدِرْ أَوْلَهُمْ
وَوَلَّ جُرُولَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا فَتَكَتْ

* * *

مواقف لأبي السَّبطين شاهدة
 جهاتموه فوفاكم يُسيغ لكم
 فما ذهبتُم بأعضالٍ تنوؤبكم
 وما تفرق بعد المصطفى جنب
 اطاع باريه فانقادت لطاعته
 يا مَنْ له الشمسُ رُدَّت بعد غيبتها
 يا مَنْ له انقادت الدنيا برُمّتها
 إنّي اعتصمتُ بملجا غير مُنتم
 ياخيرَ مَنْ خلقَ الرحمن من بشر
 واليتُّ حيدرَ طفلاً لم أزلُ أبداً
 ياأبى لي الرشدُ والعلمُ الصحيح وهل
 وإنما حزبه حزبُ الإله فلا

فاستنطقُ الذكرَ عن آياتِ حيدرةٍ
 واستخلصَ الرأيَ من قولِ النبي به
 غداةَ يصدغُ فيهم قائلاً علناً
 ومَنْ يُعادي عليّاً لم أكنُ أبداً
 هل تأتِ بكرُ الليالي بعد حيدرةٍ
 صلّى الإلهُ على الهادي وعترته

" في يومِ الغدير "

أرأيتَ كيف سما على الأكوان
 أرأيتَ كيف بدا بمكة وانجلى
 أرأيتَ كيف اللهُ أكملَ دينه
 أرأيتَ إذ يوم الغدير رقى به المختارُ ، فالقاصي وعي والداني

منح الإلهُ عباده بوليّه
 قبساً من التبيان والفرقان

في حيدرٍ فأتت بكلِّ بيان
بحراً يعجُّ بمُنقَى العقيان
نطقت ، وكم نطقٌ يضمُّ معاني
كليمُ الجمادِ يرنُّ في الأذهان
الأحوال تكشفُ عن دقيقٍ معاني

وتكلّمت عن مجده بلسان
شرف الكليم بمجمل التبيان
طفلاً ، على ضربٍ من البرهان
والبيت ، تعلم ، فوق كلِّ مكان
وحنينٌ حيث تصادم الجيشان
أضحت لديه تخرُّ للأذقان
هَبَلٍ ، وحطّم منه كلَّ بنان
ضرباً كمثلِ عليّ في الميزان
بعليّ صاروا في الوجود الفاني
إذ قادها قسراً بلا أشطان
شيدت له فوق المهاد مباني
إن قاده قبضاً بكلِّ عنان
كالذكرِ أو كالواحدِ الديان

ومن الضلال الجهل بالقرآن
فلحيدرٍ أمرٌ عظيمُ الشان
صدعت به الآيات من عمران
للمرتضى من بعد أحمد ثنائي
والناس عاكفةً على الأوثان
أمري وأن له بها سلطاني
ما كلُّ مقدمٍ أميرٍ طعان

الله آياتٌ تبالج نورها
أننى نظرت رأيت في أسفارها
فالكعبةُ الخرساءُ في ميلاده
لم تُدرك الأذانُ همسَ كلامها
ليس اللسانُ فقط يُبين ، وربما

إن أظهرت نار الخليل مقامه
أو أفصحت سينا وأظهر طورها
أو كلّم الناس المسيح بمهده
فلقد تكلم بيته عن حيدرٍ
وتكلّمت بدرٌ وأحدٌ بعدها
وتكلّمت أوثانُ مكّة عنه إذ
وعلا على كتف النبي فحط من
ما كان إبراهيمُ إذ أودى بهم
كلُّ يحطّم منهم لكنهم
وتكلّمت أسدُ العروبة كلّها
وتكلّم الإسلام أن بسيفه
والعلمُ ينطقُ ، وهو أمنع مقولاً
وتكلّم الذكرُ الحكيمُ ، ومن ترى

سورٌ من القرآن أحم أيها
نزلت بحيدر فاستمع لخطابها
أو ليس نفسُ عليّ نفسُ نبيّه
وله سواها المحكمات فلا تخل
وله الخلافةُ والإمامةُ نالها
إذ قال أحمدُ من يوازنني على
فتأخروا عنه وأقدم حيدرٌ

يا أيها البطلُ الذي لم تُثْنِه إلا بطالُ من إنسٍ ولا من جان
والفارسُ الجَلْدُ الذي ما فرَّ في
والصارمُ العَضْبُ الذي فلَّ الهُدَى
والناطقُ الفذُّ العليمُ بكُلِّ ما
والعابدُ الفرْدُ الذي اربى على
لم تُنتخبْ قمرًا يُضئُ ومرجعاً
إلا ليتضحَ الطريقُ ويُهتدي
النفسُ تنزعُ للفسادِ بطبعها

زعموا الإمامةَ في الشرايعِ منَّةً
وتأولوا نصَّ الغديرِ وأنكروا
سبحانه يذُرُ العبادَ بحيرةً
وترى يهونُ على محمدٍ هدمُهُ
والله يعلمُ كيف كانوا وهو في
زعموا وأنبت الله تعلمُ أنه

لا تلزمنَ بحكمةِ المئنانِ
ما قال في سرِّ وفي إعلانِ
بعد الهُدَى ويهدُّ ما هو باني
ولقد تحمَّلَ فيه كلَّ هوانِ
قيد الحياة من النفاقِ العاني
زعمُ نفته بداهةُ الوجدانِ

أوحى لأحمدَ أن يُبلِّغَ فيه ما
ومحمدٌ وهو المُطيعُ لربِّه
لكنه خشى الخلافَ وإنما
فمضى يُسدِّدُ للبلاغِ مقالةً
فأنته من أمرِ الإلهِ عزيمةً
يا أيها المُختارُ بلِّغ ما أتى
ومحمدٌ كالبرقِ أو كالسيفِ أو

أوحى إليه بمُحكَمِ القرآنِ
أُتراه يُعرضُ عن نِدا الرحمانِ
بيدِ الخلافِ فشا وبالأضغانِ
والله من هذا قريبٌ داني
يخشى ويخشعُ عندها الثقلانِ
فيه فما بلِّغتَ من قُرآنِ
أمضى وأنفذَ من قنا المَرانِ

نادى بخمٍ والجموعُ كثيرةٌ
وعليٌّ دون محمدٍ، لكنما
يا قوم إنَّ عليَّ مولى من أنا

والكلُّ كاد يكون من آذانِ
كفَّ النبي وكفَّه سيَّانِ
مولاه من إنسانها والجانِ

منه وحربُ علي حربي الثاني
عادي الإلهَ وذاك إذ عاداني
في كلِّ عصرٍ دائماً وأوان

يا قوم سلِّمُ علي سلِّمي فاسمعوا
يا قوم من عادي علي فإنما
نصُّ تـرى الإسلامَ تتلو آيه

أرأيتَ كيف الكُلِّ في إذعان
مجدُ الخلافةِ شامخ النبيان
أن ينقضوه بوائيق الأيمان
ذاك النهوض لهم من الخسران
قهرراً كقيصر أو أنوشـروان
الإسلامَ مكسوراً بلا أعوان
فيهم وقُطب رحاه في أشجان
واستسلموا للفارس العدناني
الإسلام حتى مُنتهى البلدان
قد نال من فتحٍ ومن عُمران
أضحت تَباع بأبخس الأثمان
أفضت لمثل يزيد أو مروان

قروا هناك وبخبخوا لبلاغه
حتى إذا قُبض النبي وقد بدا
وتمكنوا من نقض ما قد أجمعوا
نهضوا وليت دروا بما هو جالبُ
فتغلَّبوا فرقوا منصّةَ أحمدٍ
كفأوا إناءَ الدين أو قد غادروا
ودعوا عليّاً وهو ربُّ قناته
ولو انهم أعطوا الإمامة أهلها
لرأوا رواق العزِّ مضروباً على
ورأوا بأن لم يبلغوا معشارَ ما
ولما رأيتَ اليومَ أشلاءَ الهدى
ما ذلك إلا أنّ كرسي الهدى

الجانى خلافكم وغير الجاني
وأولوا النهى والعدل والإحسان
من آل حربٍ أو بني سُفيان
منهاج حربٍ ، أو بني عثمان
فتقوّضت من سائر الأركان
فالصبح بان لمن له عينان

يا قوم حسبكم الخلف فقد وهى
يا قوم آل محمدٍ أهلُ الهدى
دفعتهم عن حقهم أيدي الشُّقا
أو آل عبّاس الذين مضوا على
دولٍ لغير الله كان ركونها
فتمسّكوا بولاء آل محمدٍ

سيما الإمامة معقد التيجان
أرأيتَ نورَ الشمس في اللعان
قطع السراب يُخال في القيعان

فئة يراها الله معقوداً بها
خفاقة العذبات يلمع نورها
تجد الغوامض من خلال بيانها

والمرء ما إن زال في حُسبان
سيان أنت وذو الشَّقاسِيان
أنى يُعادلُه مقالُ ثناني
ثقلين ، إنَّ خايفتي الثقلان
أبدأ ، ومَن والاهمُ والاني
أُتري يُنالُ منى بوهم أمانى

لا تحسبن ، وقد تركت سبيلهم
تُفضي إلى فوز النجا ، هيهات ذا
أولم يقل ، والقول قول محمد
خلقت فيكم عترتي وكتابه
فتمسكوا بهما فنهجي نهجهم
منّاك نفسك إذ تركت سبيلهم

وليُعقدنّ عليه في أكفاني
مني محلّ الروح من جثمانى
في السابقين لديهم ميدانى
من أمرهم ولو انهم إخوانى
ونبيّه ، إنّا إذن سِيان

ولقد رضعت ولاهم من مبدأى
حلت مودة آل بيت محمد
منهاجهم نهجي ، وميدان التقى
وتركت من عاداهم متبرئاً
أُحِبُّ من أضحى يُحادد ربّه

من ذلك العبد الضعيف الجاني
لفظاً بمعناه غدا ذا شان
ولوت تصاريفُ الهموم عناني
ما قد عراه فهديّتي ورماني
ولو انني الجبل الأشمّ لواني
إن جال فارسُ نصركم بيमान
يا ليتني سابقتُ في الميدان
فذوو المعالي خيرة الشجعان
ما إن برعديدي ولا بجبان

هذي أبا حسنٍ إليك هديتي
صغرت ولكن فيكم عظمت وكم
أودت أبا الحسن الخطوبُ بمقولي
وعرا فوادي من أليم مُصابكم
ولواني الوجدُ المُبرح فيكم
أنا أعزل ، نصري لكم بيراعتي
فازت فوارسكم بنصر لواء الهدى
إن الشجاعة في الفتى رمز العلى
أنا ذلك العبدُ الذي أليف العلى

ولّى لديّ بهالوا الكُفران
ببراعتي وبراعتي وبياني
إرجع ، فحظك صفقة الخسران
قد بات أمتع من قُرى العقبان

شهدت مواقف لي بنصر لوكم
أتبعنهم ضرباً على أعقابهم
فالنهم شذراً وقلت لقطبهم
وحميت ذاك التغر حتى أنه

أنّ العمارة في تباين. جمعها
لا تستقيم على طريق واحد
طبعتها فجرت على سنن الهدى
ثم انثنت لبعابك مُرابطاً
أسطو بمقول لا يُفلّ فرنوده
أنا ذاك حيثُ أكون ، لا مُتواكلُ
المُتفرّق الأشكال والألوان
أتى ومن كُلى بها زوجان
جرى السفين على هدى السكّان
دامي الفؤاد مُعذب الوجدان
وبأدهم مُوفٍ على الأقران
عن مقصدي ، كلاً ولا أنا واني

الخاتمة

إيهاماً وليّ الأمر أنت بقيّة السلف الذين مضوا إلى الرضوان
بل أنت مفرع ذلك الشعب الذي
لعبت به الأيدي فأصبح لا يرى
هذا ولولا فتية نصروا الهدى
لَعَفَتْ معالمكم وغُيّر رسمها
عطفاً وليّ الأمر إنّنا معشرٌ
ومن الضروري انخداع الناس في
عطفاً فقد صرنا لعمرك مذقة
كدنا لطول الهضم من أعدائكم
لا نُبصرُ الحقَّ الحقيق ولا نرى
هذا الشباب الغضّ من أبنائنا
وإذا ترى الأفذاذ من فتياننا
إنّ الشكاية من هوان طال في
الله ملجؤنا وأنت وسيلة السلاجي وقصدُ الحائر الولهان
أوهاه طول تحكّم العدوان
إلا بصيصَ معالم العرفان
بجميع ما في الوسع من إمكان
وتبدّل الإيمان بالخذلان
كالناس أرواح على أبعاد
هذا المحك الأصفر الرنّان
للشاربين وقبسة العجلان
وتراكم الأشجان والأحزان
ذاك الضياء البحت رأي عيان
أغوته كفّ غواية الشبان
يوماً ترى الخذلان في الفتیان
شعبي الودييع فجرّ كلّ هوان
الله ملجؤنا وأنت وسيلة السلاجي وقصدُ الحائر الولهان

القوائد التالية ، عدا ما أُشير إليه ، مُستلّةٌ من سلسلة كُتبه (الإسلام في معارفه وفنونه) ، وغالباً من الافتتاحيات . حيث درج في هذه زمناً على التقديم بأيةٍ من كتاب الله عزّ وجلّ أو حديث شريف ، ثم يُنثي عليها بأبيات . ولذلك فإننا ، حرصاً على أمانة المعنى المتكامل من جماع الآية والشعر ، سنثبتها كما وردت .

ذو العرشِ إلا أن يكونَ عظيماً	خُلِقَ النبيّ محمدٌ خُلُقُ أبى
أن كان في مهدِ الرضاعِ فطيماً	ما انفكّ يتبّعُ المكارمَ من لدُنْ
وتنالُ منه أباً أبرّ رحيماً	تجدُ العروبةُ منه وهي تعقه
بهمُ وأرفهمُ فصرتَ زعيماً	أز عيمَ خلقِ الله كُنْتَ أبرهم
يجدون مثلكَ في الأنامِ كريماً	يأتيكَ سائلهمُ فتكرمهُ وهل
جهلاً ، وهل عرفَ الجهولُ عليماً	ويُقابلُ الحُسنَى بسوءِ مقالةٍ
عرفوكَ إذ جهلوا عليكَ حليماً	فكظمتَ غيظكَ معرضاً حلماً وكم
وتنيلهُ الإحسانَ والتّكريماً	لم تنثنِ من أن تزيدَ عطاءهُ
قومتَ ميلَ لسانِهِ تقويماً	حتى تبدلَ قولهمُ فبدا وقد
انقذتَ من لهبِ الجحيمِ أثيماً	أنقذتَهُ وهو الأثيمُ وطالما
أن يرتقي بكَ جنةً ونعيماً (3)	فمن الذي من بعدِ هذا لا يرى

" يا ايها الناس قد جاءكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لِمَا في الصدور وهدىٌ ورحمةٌ

للعالمين "

يجود به على المَرضى الطيبُ	وهل في غير قول الله قولٌ
ارتوتُ منه البصائرُ والقلوبُ	وكيف ترى الشفاءَ به إذا ما
وشطّ بها عن القصدِ المُريبُ	ومن ذا للقلوبِ إذا استرابتُ
فإنّ محمدَ الرأيِ المُصيبُ	دعوا الآراءَ تذهبُ حيثُ تهوى
بها تُجلى الغياهُبُ والخطوبُ	وبعد محمدٍ أعلامُ رُشدٍ

تقولُ فتلتوي عنها قلوبٌ وتعتنقُ الهدى منها قلوبُ (4)

وقائلٍ ليس هذا الدين مُضطهداً حتى أتيتَ تُحامي عن حقائقه
فقلتُ إنني امرؤُ رُبيتُ من صغري بنعمةِ الدين أجري في سوابقه
وإذ رأيتُ أصولَ الدين باسقةً وصارم الغيِّ يفري في بواسقه
بادرتُ أدفعه في مقولي ويدي وصارمي وسِناني في مفرقه
لا أرهبُ الدهرَ مهما جَلَّ ربقته والله حصني من جاري بوائقه (5)

كتب إلى المرحوم الشيخ عبد اللطيف إبراهيم جواباً على رسالة وقصيدة :
عليك سلامُ الله ما هبت الصِّبا وغردَّ فوق الرِّقمتين حَمَامُ
بلى ليس يُجدي الشائقين سلامُهم (إذا ما تناءتُ أربعٌ وخيامُ)
ولكنه الوجد المبرِّح في الحشى وسيماه هل إلا ثنىً وسلامُ
ولقيا قلوبٍ قد تناءت جسومها ولم ينأ عنها مربعٌ ومقامُ
فباتت تُناجيكم بنور صفائها ويُفصِّحُ عنها منطِقٌ وكلامُ
لئن صُننت حبيّ مُدةً وكتمتَه فهل يبقَ مكتوماً هوىً وهيامُ (6)

" وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ "

أيها الطالبُ المُجدِّ رويداً لا تظننَّ ويحك العلمَ سهلاً
كثيرُ الكاتبون فيه فهذا في طريق الهدى وذلك ضللاً
أكثرُ الناس إن تدبَّرَ تجدُهم بينَ مَنْ نلَّ أو أذلَّ وذلاً
فتخيَّرَ ذاك الذي قال فيه خالقُ العالمين " أحسن قولاً " (7)

(4) الإسلام في معارفه وفنونه : السنة الأولى : 3 / 102 .

(5) نفسه / 118 .

(6) أيضاً ، السنة الأولى : 2 / 94 .

(7) أيضاً ، السنة الأولى : 4 / 149 .

" الذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم

كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم "

يُسْرَتِي مِنْ بَنِي قَوْمِي وَجُلَّتْهُمْ	أُسْدٌ كُفَاةٌ مَذَاوِيدُ مَنَاجِيدُ
أَنْ لَا أَرَى ذَلِكَ الْغَرَبِيَّ يَسْبِقُهُمْ	وَالسَّبْقُ عِلْمٌ وَتَصْدِيقٌ وَتَوْحِيدُ
يَأْيُهَا الْمُؤْمِنُ الصَّدِيقُ دُونَكَ مِنْ	فِرْقَانِ أَحْمَدٍ تَشْرِيفٌ وَتَمَجِيدُ
لَا يَنْبِيئُكَ عَنْ خَيْرٍ تَحَاوَلَهُ	دُنِيًّا تَغُرُّ وَعَيْنٌ خُرْدٌ غِيْدُ
وَالْخَيْرُ عِلْمٌ وَأَخْلَاقٌ وَكَفٌّ أَدَى	عَنِ الْأَنَامِ وَتَسْبِيحٌ وَتَمَجِيدُ
سَابِقٌ فَإِنَّ اسْتِبَاقَ الْمَرْءِ يُوصلُهُ	الْمَجْدُ فِي الْجِدِّ مُوْصُولٌ وَمَعْقُودٌ (8)

" يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكم "

يا أيها الناس إن الله فضلكم
بأحمدٍ خيرٍ خلق الله تفضيلاً
إن تنظروا تُبصروا من صُحفٍ شرِّعته

مناهجَ العدلِ إجمالاً وتفصيلاً
لا تُدرِكُ النَّاسُ أَسْرَارَ الْحَيَاةِ إِذَا
هَذِي الْحَقِيقَةَ فَاَمْشَوْا فِي طَرِيقَتِهَا
ما العدلُ صار لرأس الناس إكليلاً
لا تطلبوا عن طريق الحق تحويلاً
كشفتُ عنها فأمست غير مُبْهَمَةٍ
لفظاً ومعنىً وبفسيراً وتأويلاً (9)

في رثاء حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه

أَبْكُوا الْأَبِيَّ أَخَا الْأَبِيِّ	أَبْكُوا الْحَمِيَّ أَخَا الْحَمِي
أَبْكُوا لِحَمْزَةٍ فِي الْغَدَاةِ	مَدَى الزَّمَانِ وَفِي الْعَشِيِّ
بَطْلُ الْحُرُوبِ وَكِبْشِهَا	وَهَزْبِ رِهَا الضَّارِي الْجَرِي
كَمْ فَلَّ بِالْعَضْبِ الْجِرَازِ	وَبِالسَّنَانِ السَّمْهَرِي
أَمْثَالِ عُتْبَةَ يَوْمِ بَدْرٍ	وَشَيْبَةَ الْبَطْلِ الْكَمِي
وَبِيَوْمِ أُحُدٍ كَمْ أَبَادِ	وَفَلَّ صَارْمُهُ قَوِي

(8) أيضاً ، السنة الأولى : 6 / 263 .

(9) أيضاً ، السنة الأولى : 6 / 282-83 .

ومضى وأطرافُ الأسننة والصّوارم تلتوي
يُهلي الرجال بسيفه ناراً تشبّ وتصطلي
وترى الكُماة ورا الكُماة تحيدُ عنه وتنثني
ما انفكّ يضربُ فيهم بحسامه دون النبي
حتى قضى بسهام وحشيّ الشقي ابن الشقي
فانهدّ من حصن النبوة ذلك الركنُ القوي
واشتدّ غيظُ محمدٍ وبكاه أولَ من بكى
ولقد رآه مُجرّداً مُتردياً بدمٍ زكي
قد مثلتُ فيه اعتداءً هندُ بنتُ المعتدي
أهأ لهاشم بعد فارسها الحمي الهاشمي
مَن للنبيّ إذا دجبت ظلمُ النوائب بالنبي
يايومَ حمزة قد أرقّت من المدامع أدمعي
وحنيتُ من وقعِ المصيبة والرزيّة أضلعي
وتركتُ آلَ الله في غمٍ يروحُ ويغتدي
لو يُفتدي عمّ النبي بأهلٍ يثرب لافندي (10)

" وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أُجيبُ دعوة الداعِ إذا دعان فليستجيبوا لي

وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون "

يا أيها الغافل عن ربّه وعن مدى رحمته الواسعه
أما سمعتَ الله في ذكره يدعوك يا ذا الأذن السامعه
كن معه واسمع له تهتدِ إن الهدى والرشد فيمن معه
قد يدرك المرءُ على ضعفه الدنيا لدى أُبّهةٍ أو ضعفه
لكنما الأخرى لأهل النهى لأهل تلك الأنفُس الخاشعه (11)

(10) أيضاً ، السنة الأولى : 7 / 312 .

(11) أيضاً السنة الأولى : 8 / 352 - 53 .

"وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِن لَّهُ مَعِيشَةً سَنَكًا وَنَحْشِرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى " .

فَارْفِقْ بِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ فَلَقَدْ هَدَاكَ لِرُشْدِكَ الدِّيَانُ
لَا تُعْرَضَنَّ فَإِنِ إِعْرَاضَ الْفِتْنَى نَقِصْ وَفِي يَوْمِ الْجَزَا خُسْرَانُ
الْعِزُّ يَكْسِبُهُ الْعَلِيمُ بِعِلْمِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ يُجْتَوَى وَيُهَانَ
هَذَا السَّنَا مُتَأَلِّقٌ وَشُعَاعُهُ ضَاءَتْ بِهِ الْأَزْمَانُ وَالْأَكْوَانُ
وَلِرُبِّ يَوْمٍ رُمْتَهُ فَرَوَى بِهِ عَنكَ الْقَوِي وَهُوَ بِكَ الطَّغْيَانُ
فَتُرَدُّ كَالْأَعْمَى يَقُودُكَ لِلرَّدَى الْإِعْرَاضُ وَالْإِهْمَالُ وَالْخِذْلَانُ
تَدْعُو فَيُعْرَضُ عَنكَ إِنَّكَ يَا فِتْنَى يَوْمَ الْجَزَاءِ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ
هَذَا الَّذِي أَمْسَى وَأَصْبَحَ خَاشِعًا أَنْظِرْهُ كَيْفَ بِنُورِهِ بُرْهَانَ
مُتَتَوِّجًا إِكْلِيلَ نُورِ عُلُومِهِ إِنِ الْعُلُومَ لِأَهْلِهَا تِيحَانُ (12)

" ذكر لي بعضهم أنه قال له بعضُ القارئین لكتابنا ، نريدُ من الشيخ أن يأتينا بشئٍ جديد ، يعني أنه يريدُ من طريف العلم لا من تليده . فقلت له على البدهاهة :

هل العلمُ إلا ما تقادم عهده وحامتُ عليه بالبحوثِ البصائرُ
تلاحظه بالنقدِ طوراً وتارةً توضِّحُ منه ما طوته العبايرُ
تناوله الأيدي إلى أن يروا به الحقيقةَ لا ترتابُ فيها النواظرُ
بنى الأولون الشئ ثم ارتقوا به فمذ أكملوه استنتجته الأواخرُ
ولو أننا حيثُ انتهينا لموردٍ وردنا لما غمَّتْ علينا المصادرُ
ولكننا نبني ونهدمُ كالذي يروحُ ويغدو فهو حيرانُ سائرُ
كبيركم لم يدر مافات قبلةً وناشئكم دارتْ عليه الدوائرُ
فكيف نريكم صفحة الأمر والهدى

كَمِينٌ بِمَا قَدْ نَمَّقْتَهُ الْمَحَابِرُ

أُرِيكُمْ لَكُمْ أَنْ تَصْعَدُوا مِصْعَدَ الْعُلَى

وَأَنْ لَا يُرَى مِنْكُمْ لَدَى الْجِدِّ عَائِرُ (12)

" إنَّ الذين يلحدون بآياتنا لا يخفون علينا "

يا ابن الذين بجهلهم رغم المُبشِّر والنذير
 عملوا كما شاء الهوى وبنوا القصورَ على القصور
 ومضوا وليس لديهمُ منها ولا شروى نقيـر
 أغراهمُ الأملُ الطويل بجانب العُمر القصير
 فمضوا إلى سوء المصير بجهلهم سوءَ المصير
 لا تحسبنَ بأنهم يخفون في طيِّ الدهور
 إنَّ الخبير يرى الصغير كما يرى كِبَرَ الكبير
 لا يخدعتك ما بنوا فمالُ ذلك للدثور
 فاحذر ولا تلحد فإنك غير مخفي الظهير
 واعلم بان الله يعلم ما تخبأ في الصدور (13)

" إنَّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب .
 الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربَّنَا
 ما خلقتَ هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار "

الفكر يُرسلُ لليبب أشعةً في الكائنات حديثها وقديمها
 كالشمس تُرسلُ في العوالم نورها مُتغلغلاً بدقيقها وعظيمها
 ولطالما اتضح الخفي وأُبـرز المكرهُنُ شوفَ جهولها وعليمها
 الفكرُ مرآةٌ ترى بصفائه غيبَ المجاهلِ بؤسها ونعيمها
 الفكر يبعثُ في القلوب رشادها ويُقرُّ أيَ عِظاته بصميمها
 الفكرُ يكشفُ عن غوامض لم تزل مكتومةً فَيُبينُ عن مكتومها
 فارسيلُ أشعتهُ فإنك بالـعُ بسنا لوامعها خفيَ علومها
 واجر على السنين القويمة إنما يجيُ الهدايةَ من جرى بقويمها
 خُذها إليك حقائقاً مكشوفةً أبرزتها بالفكر من مكنونها (14)

(13) أيضاً ، السنة الثانية : 1 / 2 .

(14) أيضاً : السنة الثانية : 2 / 50 .

" والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين "

ليس السبيلُ إلى اليقين بمُخْتَفٍ
لكنما حَجَبَ البصائر أن ترى
فإذا أردتَ بأن ترى وبأن تُرى
طَهَّرْ فؤادَكَ واستقمْ ، إن الأولى
وخذُ المعارف من معادنِ كنهها
واحذر خِداغَ أخي الخِداغِ فإنه
إن المعارف نور قدسٍ لم يكنْ

كلاً ولا هو بالبعيدِ النَّائي
ظُلِمَ الذنوبُ وفتنةُ الأهواءِ
كالشمسِ تكشفُ غُمَّةَ الظلماءِ
طهروا فطاروا في سما العلياءِ
فالماءُ يُطَلَبُ من غديرِ الماءِ
مثلَ السَّرابِ يلوحُ في الصحراءِ
يُلقى به إلا إلى الأكفلاءِ (15)

في مَوْلِدِ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام . كتب بها إلى لجنة الاحتفال

بالمُناسبة في مدينة " الكوت " :

أرسلَ الفكرُ نظرةً في فضائه
أنجبتُ مكةً عليّاً فنَّادتُ
وعلى البيتِ تائهاً يتلالا
جاءت الطَّهْرُ فاطمٌ وعليها
فإذا البيتُ كلُّه في فضاءٍ
يتلقَى الطَّهْرُ التي قصدته
أُتراه يدري بأنَّ عليّاً
أُتراه يدري بأنَّ عليّاً
أُتراه يدري بان سوف يُردي
هُبَلٌ والعكوفُ من سطواتِ الدهرِ
أُتراه يدري فرحَّبَ بالطفولِ
أُتراه يدري بأنَّ عليّاً
ويسلُّ العُضْبَ الجرازِ فيُردي
إنما البيتُ بنيةٌ وعليّ

فرأى حيدرأ بعلياً سمائه
جنباتُ الدنيا بنور سنائه
بزغ النورُ من فسيح فضائه
من بهاء الجنين أسنى بهائه
وبناه ورحبُهُ وفنائه
ليكونَ الجنينُ من نزلائه
سوف يحميه من أذى دُخلائه
يُنزلُ اللات من على كبريائه
هامةَ المُرتقي بأعلى بنائه
يُمسون تحت حذائه
يدخلُ البيتَ تحت حرز لوائه
هامةَ الشُّوس في سبيلِ ولائه
روحُ ذاك البنا ورمزُ ارتقائه

عرف البيت والذي قد بناه
 بعلومٍ لولا عليٍ لحالت
 فعلي الأذن التي قد وعته
 عالمٌ ناسكٌ حليمٌ تقوي
 ليت شعري من ذا يساوي علياً
 تستضي النجوم إذ لا علي
 فدع الناس واعتصم بعلي
 واحذر البعد بالثقاوة إن المـ
 مرض الناس والشفاء لديهم
 من عذيري من جاهلٍ ليس يدري
 دونك البدر قد ملا الأرض نوراً
 فاقتبس فالعلوم في الناس طراً
 فراه نوراً يزج بنور
 والقلوب التي تلقف عنه
 تثبت الورد فهي روض أريض

بعلي بعزمه ومضائه
 فجلاها بفهمه وذكائه
 والفؤاد الذي ارتوى بصافي روائه
 فارس بارزٌ على قرنائيه
 وهو البدر في سماء علائه
 فإذا جاء أظلمت في ضيائه
 لا يبالي مستعصم بولائه
 راء قد يجتوى لبعد شقائه
 طاعة المرء سلسيل شقائه
 الفرق ما بين دائه وبين دوائه
 والسموات أشرفت بسنائه
 قبسات من صفوه وصفائه
 لخضم يزج ماءً بمائه
 مثل أرض ريانة بروائه
 بشذاه بزهره ببهائه (16)

كان يقرأ في كتاب (الكون العجيب) لحافظ طوقان ، فسنحت له الأبيات

التالية :

قيل للناس إذ الناس على
 إنما الأرض وما حاط بها
 كلها خلقٌ عليمٌ قادر
 ثم أجزاها فجاءت ترتمي
 من صغيرٍ دقّ عن دركٍ ومن
 كلمات تهتدي العمي بها
 فالتوا كالبهم لا تلوي إلى

غفلةٍ والجهل فيهم مُحكمٌ
 والسموات العلى والأنجمُ
 قادهما والكونُ خالٍ مُظلمٌ
 وكما خُطّ لديها تُرسَمُ
 مائرٍ فيه السّمكُ الأعظمُ
 ودلالاتٌ يعيها الأبكَمُ
 ملجأً يحمي وراعٍ يفهمُ

ثم ساروا ، وإذا نزرُ بهم
يصرِف الوصفَ الذي نَصَّ لهم
ايها الواصفُ من أكوانه
قد علمنا من خفايا سرّه
قد أخذناه من الوحي الذي
قد تخبّطتم قرونًا عِدَّةً
بعدهما ضياء وبيان المُبهَمُ
ويرى الرأيَ الذي آتاهم
ما جلى المظهر ما لا يُكتَمُ
وخبايا الكون ما لا تعلمُ
جاء والنور الذي لا يُظلمُ
ثم أبتم للذي أنكرتم (17)

" سنرّيهم آياتنا في الآفاقِ وفي أنفسهم حتى يتبينَ لهم أنه الحقّ أو لم يكفِ
بربّك أنه على كلّ شيءٍ شهيدٌ " .

الشمسُ والقمر اللذين تجاريا
كُلُّ يَدُلُّ عليك لكن الهوى
أُطيقُ مَنْ أهوى بليل ضلاله
أمسى يُعاني من تلاشي عزمه
لا يُبصرُ الأفقَ المُبين ولا يرى
إيهاً لمصروعٍ رأى من قبله
فمضى يسيرُ على ضلالٍ طريقهم
والأرضُ والفلكُ العظيمُ الشّان
ليلٌ يضيعُ به سنا البرهان
صوّلَ الكُماةَ وجولةَ الفرسان
وُدجى الهوى ما ليس في الحُسان
من نفسه ما بان للوجدان
صرعى الهوى والغيّ رأى عيان

لا للنذير ولا لصدعِ بيان
تجري بسُبلِ شقاوةٍ وهوان
وإليك خُذْ هذا سبيلَ أمان (18)
يا أيها المخدوع ويحك إنما
أنظرُ تأملُ هذه آياته

" وقد سنحتُ لي أبياتٌ تُشيرُ إلى ذلك المعنى [أن الله تعالى هو واجبٌ

الوجود لذاته] :

طلبوا الدليل على وجودك فانبرت
شهدوا حدوثاً في الوجود فأيقنوا
فئةٌ تطالبُ من الآثار
قَدماً ببارئهِ القديم الباري

(17) أيضاً ، السنة الثانية : 3 / 122 .

(18) أيضاً ، السنة الثانية : 3 / 131 - 32 .

لم يُخطئه بثاقب الأفكار
يجري بلا حس ولا إشعار
علمُ الإله وقُدرةُ الجبار
مثلُ النهار أريبةً بنهار
الأسنى يفيضُ بزاهر الأنوار

سامي وجودك فاقدُ الإبصار
وسبقتَ بالإعذار والإنذار
طُراً ، فلم تُستترَ عن النظار
وحبيبهَا في السرِّ والإجهار

إلاّ في علني وفي إسـراري
يُمسي بقربك مسكني وقـراري
خير العباد وصفوة الأطهار (19)

ولو انهم رجعوا لثاقب فكرهم
وذوي شعورٍ قي الوجود وآخر
ظهرا بها كالشمس في وسط الضحى
وبدّتْ به حكمُ الإله جليّةً
فبكلِّ شئٍ زاخرٌ من نوره

أنت الدليل عليك حيثُ يشكُّ في
بك قد عرفتك إذ وهبتني الحجي
وظهرت لي في كلِّ شئٍ ظاهرٍ
عميت عيون لا تراك رقيبها

أنا لا أرى لي يا إلهي ملجأً
فأفض عليّ من المعارف ما به
جوار بيت محمدٍ ووصيّه

قصيدةٌ كتب بها إلى الشيخ عبد اللطيف إبراهيم . جواباً على رسالةٍ وقصيدةٍ منه .
وقد كان رحمه الله من معارف شيوخ شيعة أهل البيت (عليهم السلام) المعروفين باسم
العلويين . ومن أوائل من بنى الشيخ علاقة طيبة معهم من هذه الطائفة .

مثلما قلت والعقولُ شُموس
حيثُ رمزُ الهدى وتهوى النفوس
عرفتهم لونَ الحياةِ الدروس
تزدهي منه أسطرٌ وطُروس
كيف يمشي إلى العروس العريس
ولك السبقُ حيثُ تكبو الرؤوس
لك سبقُ الولاء والتقدير

يا حبيبي إن الحياة ظلامٌ
فنفوسٌ ترقى بها للمعالي
اتخذوا من معارك الكون درساً
أبصروا مشعل الحقيقة فيها
فمشوا نحوها صفوفاً بشوقٍ
فإذا أنت في الصفوف مجلٍ
فهنيئاً عبد اللطيف هنيئاً

أنت في ذلك السِّبَاقِ ملهكُ
 قد شربتَ الولاءَ طفلاً رضيعاً
 وتطلعتَ للمواردِ طُوراً
 فأبتَ فيك آيةُ المجدِ إلا
 قد لمسنا من آلِ أحمدِ نوراً
 لبسَ اليومَ أهلهُ المجدَ غضاً
 معشرٌ جاهدوا وجادوا فباتوا
 إن تكن منهم فلا غرّوا إن الناسَ صنفانِ سائسٌ ومَسوسٌ
 ولك السِّبِقُ في سياسةِ خلقِ الله ، لله لم تُملكِ الفلوسُ
 مشعلُ الحقِ كيفما كان بادٍ
 وله في مقاومِ الذَّبِّ عنه
 فدعِ الأدهمَ المُحلِّقَ يجري
 لا ولا القنبلَ الذي طار منه
 ذاك يُحيي وإن هذا مُميتٌ

يردا العزَّ والعلاءَ تَميسُ
 وله فيك مُذْ وُجِدتَ رَسيسُ
 فنفيسٌ هذا وهذا خسيسُ
 أن يكونَ الرّويّ ذاكِ النفيسُ
 هو في الرّوعِ للنفوسِ الأنيسُ
 ولهم في غدِ الهناءِ لبوسُ
 باسمي الثغرِ والأنامِ عبوسُ
 إن تكُن منهم فلا غرّوا إن الناسَ صنفانِ سائسٌ ومَسوسٌ
 ولك السِّبِقُ في سياسةِ خلقِ الله ، لله لم تُملكِ الفلوسُ
 لم تُغيّرهُ أعصُرٌ وطقوسُ
 ودفاعِ الأعداءِ فوارسِ شوسُ
 لا سُيوفٌ ولا دُرُوعٌ وطموسُ
 ذائباً في الفضاءِ ذاكِ الخميسِ (20)
 وعلينا أن لا تموتَ النفوسُ (21)

" ويومَ يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقولُ أنتم أ ضللتهم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا السبيلا . قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متّعهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بورا "

ضلّوا السَّيْلَ عن المُراد ولم يعوا
 فترى كأنَّ أشعةَ النورِ الذي
 ياغافلين تنبّهوا إنَّ الهُدى
 وتأمّلوا أو ليس كلُّ مُكوّنٍ
 إن كان في يده مَدارٌ أُموره

نصَّ الكتابِ ومُحكَمِ التنزيلِ
 ضاءَ الأنامِ به دُجى التّضليلِ
 ملاءَ الأنامِ وعمَّ كلِّ قبيلِ
 في الكائناتِ يأولُ للتحويلِ
 فَمَن الذي ألجأهُ للتبديلِ

(20) إشارةٌ إلى القنبلة النووية التي قصف الأميركيون بها مدينة "هيروشيما" اليابانية ، قبل

أشهرٍ قليلةٍ من نظم القصيدة.

(21) الإسلام ، السنة الثانية : 3 / 174 - 75 .

إِنَّ إِلَهَهُ هُوَ الَّذِي خَضَعْتَ لَهُ الْأَشْيَاءَ مِنْ مُسْتَحْقَرٍ وَجَلِيلٍ
وَبَقِيٍّ وَلَيْسَ سِوَاهُ بَاقٍ دَائِمًا كُلُّ يَسِيرٍ إِلَى الْفَنَاءِ بِسَبِيلِ (22)

" وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ إِنِّي أَنَا
النَّذِيرُ الْمُبِينُ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ "

بني الشمس (23) أنتم إذ أنيخت رواحليديكم عن الأهل العشيـرة والأهل
وضعت لكم نفسي لأرفع شأنكم وذلكت لها كي لا ينالكم ذل
خشيت عليكم أن يطأطأ هامكم إذ اجتمع الناس التأخر والجهل
تعالوا بنا نرفع لواء الدين عالياً فقد حق للدين الحنيفي أن يعلو
ودونكم مني كتابي فإنه له في سما العلم التقدم والفضل

* * *

لقد سبقتنا الغرب في الأرض سبقتها ويوشك أن يمسي لها في السما الفصل
أتغلبننا حتى على ما بدا بنا وأشرق فينا إنه الخزي والذل
تعالوا نسرو في ذلك المنهج الذي سرى فيه من قبل الأنمة والرسل
فإن تنصروني عاد فوز انتصاركم إليكم ، وإلا فالغريب له أهل
رضيت من الدنيا الكفاف إذ الغنى الدين والأخلاق والعلم والفضل (24)

" وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ، وَمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأُحْيَى بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ،
وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " .
يا واسع الأكوان علما ومُنِيلُ تَرْبِ الْأَرْضِ . فهما
ومركب العقل المُنِيرِ بمُظْلَمِ الْجَنَابَاتِ أَعْمَى

(22) أيضاً ، السنة الثانية : 4 / 186 .

(23) يعني أهل مدينة بعلبك ، لأنها كانت تحمل في بعض ماضيها اسم " مدينة الشمس " .

(24) الإسلام . . . ، السنة الثانية : 6 / 314 .

قد كان يوطأ في التراب
 ووهبتة الإحساس حتى
 لم يُعمل العقل الرشيد
 لعبت به الأوهام حتى
 وسطا على العرّ الضعيف
 وعدى عليك فأنكر النعمى
 ياجاهلاً جحد الوجود
 مهلاً فإنك للتراب

فصغته لحمًا وعظما
 بزّ أهل الأرض فهما
 ولا أطاع الله يوما
 صار أخيلةً ووهما
 يقوده جوراً وظلماً
 وكم لك فيه نعمى
 ولم يفده الكون علما
 وللجزا ستعود حتما (25)

" إنّ أخوف ما أخافُ عليكم اثنان ، اتّباعُ الهوى ، وطولُ الأمل . أمّا اتّباع
 الهوى فيصدّ عن الحق . وأمّا طول الأمل فيُنسي الآخرة " (الإمام عليّ عليه السلام)
 يظلّ الحجبى والعقلُ في الناس مُبعداً
 إذا قام داعي الحقّ أقفر ربّعهُ
 وإن قام داعي الغيّ باتت ربوعهُ
 ترى الموردَ العذبَ الرّويّ مُعطّلاً
 لقد طالّت الأمال في الناس والتوتّ
 ويبقى الهوى رغم الهدى العُمر م عبودا
 وأصبح عن أن يُظهر الحق مصدودا
 تعجّ ، وأمسى قصده الغيّ مقصودا
 وموردَ غسليّن الجهالة مورودا
 عن الرّشد ، إنّ الرّشد أصبح مفقودا

* * *

أقول لعُرسي والندى يستفزّني
 تُناشدني : هلاً استرحت سرّويّة
 أخافُ على قومي تُذاذ عن الهدى
 دعيني أُكشّف ذلك الغيّهب الذي
 فإنّ يراعي السيف أقوم حُجّة
 إذا ضربت كفي به مفرق الدّجى

وأفاقنا تلتاغ من ظلمة سودا
 ويا لهف نفسي ، عزّ ذلك مقصودا
 ويُمسي لّوا التضليل يخفق معقودا
 أراه على أطلال قومي ممدودا
 وأقوى من الرّمح الرّديني مشدودا
 بدا الصبحُ منه والدّجى انقلّ مطرودا (26)

(25) أيضاً ، السنة الثانية : 7 / 386 .

(26) أيضاً ، السنة الثانية : 8 / 434 .

" نَفَسُ الْمَرْءِ خُطَاؤُهُ إِلَى أَجَلِهِ " (الإمام علي عليه السلام)

أقولُ ، وعُمري قد تقوَّضَ وانقضَى
مضتْ غُرُّ أَيْامي وعضَّ شَبِيبتي
تَنازَ عني الأيَّامُ حُلُوَ مطامحي
كانِّي ، وما بي من أَسَى وتألَّمِ
فأسفني ، يا لهفَ نفسي على عمري
كأنْ لم تكُنْ ، من حيثُ أدري ولا أدري
فتبتزَّها منِّي وأشرقُ بالمُمرِّ
يهدِّمني ، الخنساءُ تبكي على صخر

رويدك يا مُستقيلَ الأمر لا تدعُ
فما عُمرَكَ المحدودَ إلا لِياليًا
وأفاسُكَ العجلى خُطَاكَ لَغايَةً
حذارِ بأن تُمسي وكفَّكَ من جنى
مجالاً لأيدي الغيِّ تعبتُ بالأمر
تجى ولا تدري ، وتمضي ولا تدري
تراها بعيداً وهي منك على شبر
متاعبها صُفراً فتُوفي على صِفر

كأنك بالأيام مررتُ ، فما ترى ؟
وهل يلمسُ المردومُ غيرَ مُوسدٍ
وأعظَمُ من ذا أنه قد تصرَّمتُ
فلا أنت للعهدِ الذي فات راجعُ
أتسليمُك الأيامُ إلا إلى القبرِ ؟
وتلمسُ منه غيرَ صخرٍ على صخر ؟
وفاتتكَ أيَّامُ طوتكَ على جمر
و لأنت في العهدِ المُقيم على صبر (27)

يلومونني في نُصرة الدين والهدى
ولستُ امرءاً توهيه قِلَّةُ صُحبةٍ
إذا لم يكنُ لله حولي عطفةٌ
وما لومهم عن ذلك المجدِ يُثني
ولا كثرةُ الأصحابِ حولي تُقويني
فما أحدٌ من موقفِ الضيقِ يُنجيني (28)

سَمَتَ بعلبكُ اليومَ منها ولم يكنُ
وحولي من الصَّيدِ المغاويرِ فتيةٌ
لها في سما العلياءِ والمجدِ والندي
ليسمو على الأقرانِ إلا مثيلُها
أضاءت بهم أفناؤها وطلولها
منازلُ تأبى أن يُذللَ نزيلها

(27) أيضاً ، السنة الثانية : 9 و 10 / 492 .

(28) عن دفترِ بخط المؤلف محفوظ لدينا .

فروعٌ تحاشى أن تكونَ لدى الهدى
وهل تليدُ الأسادُ إلا بواسلاً
على غيرِ ما كانت عليه أصولها
وتفالتُ في الزلزالِ إلا فحولها (29)

أبياتٌ كتبها بخطِ يده على الغلاف الداخلي لنسخته من كتاب (كنز الفوائد)
لأبي الفتح الكراكي :

يقولُ المُلحدون وكم مقال
جميعُ الكائنات على دهورٍ
فليس لها بعمرٍ الدهر مبدا
فقلتُ لهم مقالَ أخي اعتبارٍ
مقالكمُ التناقضُ فيه بادٍ
إذا وُجِدَتْ بموجدها البرايا
وإلا فالقديمُ غدا حديثاً
أليس من السخافةِ في مكانٍ
اعتقادُ أن مصنوعاً قديماً
لهم يأباهُ ذو العقلِ السليمِ
تَنِمُّ لنا إلى أصلٍ قديمِ
وإن وُجِدَتْ بموجدها القديمِ
نشأ فجرى على طُرقِ العلومِ
لذي فهمٍ بانظارِ الخصومِ
فليس سواهُ يوصَفُ بالقديمِ
أو انعكسا بعكسٍ مُستقيمِ
بدا منهُ ذوو الجهلِ المُقيمِ
ويا عجباً لمصنوعٍ قديمِ

أبياتٌ كتبها بخطِ يده أيضاً على ورقةٍ ذيلها بتوقيعه :

عَنّ لي بالأمسِ في نادي هُدَى
صِغْتُ فيها الشَّعرَ ذُراً لامعاً
فاحفظوه في حنايا ذهنكمُ
أكسبتنا خبرةُ الناسِ بهم
أنا لا أخشى من الناسِ امرءاً
قد حلبتُ الدهرَ حتى بان لي
وتيقنتُ بأنِّي صائِرٌ
فإذا أحسنتُ جوزيتُ به
فاعتبرُ أو لا تَكُنْ مثلَ الألى
كلماتٌ ، يالها من كلمات
فبدا شعري دراري لا معات
فلعمري إنها نغمُ العظّات
نظراتٍ في الليالي ثاقبات
ما اتَّقيتُ اللهَ في المُتَّقيات
صفوهُ ما بينَ تلكِ الحلبات
بعد هذا العُمرِ قَسراً للمات
حسناً ، والويلُ من ذي السَّيئات
درجوا لكنْ لمهوى الدركات

ثم عادوا يسكبون العبرات
ليت شعري ما تفيذ الحسرات
غير كسب الباقيات الصالحات

ضحكوا إذ ضحك الدهر لهم
حسرات كل أيام الفتى
لا أرى للمرء كسباً صالحاً

" تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة

للمتقين "

ولكنه ممّا الـمّ به صعبُ
أُسرِعَ دون الرّكبِ أم فاته الرّكبُ
مطايه ، هل يبدو لنا ذلك الدّربُ
ودون مواطي رجله السبعة الحُجبُ
إليه وهل إلا المُجرّدة النّجبُ

نعم إن ميدان التقى واسع رحبُ
سلوا ذلك المُجتاز فيما اجتيازه
سلوه عن الدّرب الذي سلكت به
سلوه فقد أمسى ودون مقـرّه
سلوه فهل غير الجياد مطيهُ

* * *

فلا وعرها وعرّ ولا صعبها صعبُ
فليس لها إلا التقى موردُ عذبُ

علا ظهرها مُستعذباً موردَ الرّدى
تجافى به عن مورد الغي جانباً
سرت بين أشواك الحياة دليلها

إلى المُرتقى الإخلاصُ والصدّقُ والحبُ

إذا ما بدا في عرضة السّير حاجبُ

وفي السّير قد يُغري التعرّضُ والحجبُ

ولا الربوات الرّاسيات ولا الهضبُ

اسفتّ فلا الآكام تقصر خطوها

تسير ، فطوراً تنظرُ الشّهبَ فوقها

وأخرى ترى من تحتها الأنجم الشّهبُ

حديث عيان لا خيال ولا كذبُ

بكفك فاحذر أن تضلّ وأن تكبو

وفي حاجر خلّ وبالمنحنى صحبُ

سألنكم بالله هل يُقسّم القلبُ (30)

رويدك لا تعجب فإنّ حديثنا

هي النفسُ والتقوى وإنّ زمامها

ولي بالحمى من ذلك الرّبع وقفةُ

تقسّم ذاك القلبُ المتيمّ بينهم

" زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ " (آل عمران
/ 14) .

تَزَيَّنْتُ بِالْغُرُورِ الْمَحْضِ دُنْيَانَا	وَاسْتَخْدَمْتَنَا لَهَا شَيْبًا وَشُبَّانَا
هَذِي بَوَاتِرُهَا أَوْدَتْ بِمَعْظَمِنَا	وَأَصْبَحَتْ مَلءَ هَذَا الْبَرِّ قَتْلَانَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا صِرْعَى بَصَارِمَا	وَمَحْنَةٌ تَتْرَكُ الْعَرِيفَ حَيْرَانَا

يَا مُنْقِذِي مِنْ مَهَا وَيَهَا وَزَبْرَجَهَا	حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي قَدْ كَانَ مَا كَانَ نَا
أَعُوذُ مِنْكَ بِعَطْفٍ غَيْرِ مُنْقَطِعِ	وَرَحْمَةٍ جَمَعْتَ عَدْلًا وَإِحْسَانَا
أَنْ لَا أَكُونَ الَّذِي ضَاءَتْ بِصِيرَتُهُ	وَبَدَّ هَذَا الْوَرَى عِلْمًا وَعِرْفَانَا
وَأَصْبَحْتُ هَذِهِ الدُّنْيَا بِرِمْتِهَا	لَدِيهِ كَالنَّعْلِ لَا قَدْرًا وَلَا شَانَا (31)

"أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ" (الحديد/ 16)

أَرَأَيْتَ فِي عِلَلِ الْأَنْعَامِ	وَفَتَكِهَا بِقَوَى الْعَلِيلِ
وَرِضَاهُ فِي فَتَكَاتِهَا	كَالْجَهْلِ فِي نَفْسِ الْجَهُولِ
فَتَرَى الْقَتِيلَ بِجَهْلِهِ	مُلْقَى إِلَى جَنْبِ الْقَتِيلِ
وَتَرَى الْجَدِيلَ عَلَى الثَّرَى	مُتَجَدِّلاً فَوْقَ الْجَدِيلِ
وَالنَّاسُ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا	بَعْضًا إِلَى الْمَرَعَى الْوَبِيلِ

تَمْشِي الْأَنْعَامُ بِظُلْمَةٍ	وَمَتَاهَةٍ وَبِلَا دَلِيلِ
فَتَرَى الرَّعِيلَ مُكْدَسًا	مُتَحَطَّمًا فَوْقَ الرَّعِيلِ
وَتَرَى الشَّجَاعَ الْقَرَمَ يَبْـحَثُ لِلنَّهْوِضِ إِلَى نَزُولِ	
لَا يَرَعُوي هَذَا وَلَا ذَا	يَسْتَفِيقُ مِنَ الْخُمُولِ

وَالذِّكْرُ يَهْتَفُ فِيهِمْ	هَذَا الْهُدَى ، هَذَا سَبِيلِي
------------------------------	---------------------------------

الواسعُ الرحبُ المُضَيِّ
لِهناءة العيش الرَضِيِّ
حيثُ الحياهُ هي الحياة
لكلِّ منظورٍ جميل
لمغرس الشرفِ الأثيل
غنى المنى وشفاء العليل

* * *

ما أن أن يردَ الفرات العذ
ويرى المُصدَّقَ خاشعاً
أين العقولُ بأهلها
بَ ذو الرأي الأصيل
لله للذكرِ الجميل
ذهبتُ وأين هُدى العقول (32)

" خيرٌ للمرأة أن لاترى رجلاً ولا يراها رجل "

كان الرسولُ مُعلماً من ربِّه
فافاضه حكماً وآياتٍ علَّتْ
الله أرسله ضياءً لا معاً
وعلَّتْ ببضعته البتول فضائلُ
لا غرو أن سُئل النبيُّ فلم يُجبْ
الله يعلمُ والرسولُ وألَّهُ
قالتُ ، وفاضل علمها من علمه
خيرٌ لمن بلغَتْ فأمستُ مُرتمي
أن لا تراه ولا يراها فالشقا
في نظرةٍ لكنما هي فتنةٌ
ما يصنعُ الرجلُ الجهولُ إذا رأى
ما للعفافِ وسيلةٌ إلا الجفا
ضربَ الحجابُ على النساءِ صيانةً
إن النفيسَ إذا يُصنُّ يغلى وإن
والقلبُ يخشعُ في الفراغِ لربِّه
فلذلكم قالتُ وإن مقالها

ولديه علمٌ دقيقه وجليله
أين المُحيطُ بمنتهى تأويله
في العالمين ومدَّة بقبيلته
سل ذكره عن علم فضل بتوله
إلا البتولُ على حقيقة سُوله
أن البتولَ منارُ ضوءِ رسوله
طراً ، وفاضلُ قيلها من قيله
بصر الفتى وسبيلها كسبيله
بوصولها من لحظه ووصوله
يُمسي العزيزُ بها أذلُّ دليله
والنفسُ هامتُ منه في تضليله
والبُعدُ عن مجرى الهوى ومسيله
لذيولهنَّ من الخنا وذيوله
يُبدلُ فإنَّ الرخصَ في مبدوله
فالبُعدُ والعصيانُ في مشغوله
كاسليل يندفقُ من مجرِّ سيوله

أدنى النساء من الإله منازلًا وأحقّها بالقرب من مأمولهِ
 مَنْ لا تزال مَصونَةٌ في بيتها إنّ الصَّيانَةَ في لزوم نُزولهِ
 يا بنتَ خير الأنبياءِ وبضعةِ الهادي وادي وزوجِ وصيّهِ وخاليهِ
 أسمعْتِ إذ ناديتِ حيًّا والورى قد مال عنك فمات حيثُ ميولهِ
 أمسى يشقُّ إلى الفناء سبيلهُ ودليلهُ للقصدِ شرُّ دليلهِ (33)

" وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها " (إبراهيم / 34)

إلهي جُدتَ لي من كلِّ شيءٍ وهل أُحصي لِمَا قد جُدتَ عداً
 أتيتُ ولم أكن شيئاً ولكن أردتَ بأن أكونُ فكنْتُ فرداً

جنينٌ في غواشي الكتم ينمو ولا يُدرى به صدرأ ووردا
 تقيه الحادثاتِ مُعطّفاتٍ كستهُ مئزراً منها وبُردا
 وهبُ أنّ الغذا يأتيه قصداً فيُشبعهُ ، وإن لم يجر قصدا
 فمن أين الهواء ، وقد أقامت عليه يدُ القضاء الحتم سداً
 وأيُّ يدٍ بنتهُ من منيِّ وقوتُ ساعداً منه وزندا
 وأوجدتِ النواظرَ مُبصراتٍ لتُدركَ ما تشاقرباً وبُعدا
 وكيفتِ المسامعَ لا قطاتٍ تجرُّ من الفضا همساً ورعدا
 وقوتُ أرجلاً كالسَّيل تجري لتغدي البيدَ إرقالاً ووخدا
 وأيدٍ قابضاتٍ باسطاتٍ لتجني سائغاً وتسيعَ رفا
 وكم من آيةٍ في كلِّ عضو وهل تُحصي لأي الله عداً

فقل لي أيُّ جارحةٍ أفادت بأن غيرُ الإله لها تصدى
 ومَنْ ذا يدّعي إيجادَ شيءٍ فكان لموجدِ الأشياءِ نداً
 تعالى الله ليس له شريكٌ ولا ضدُّ ، ومَنْ تلقاه ضداً

إلهي أنت باري الخلق طراً وموحيهم له خُراً وعبدا
 خلقتهم لتكرمهم فلمّا عصوك حصدتهم للنار حصدا
 ولو عقلوا وقد أفعمت هذا الفضاء لأجلهم هدياً ورشدا
 لأمسوا في نعيم الخلد طراً ومن يجهل يدع عدناً وخُلدا (34)

" لو لم تُوجِرْ إلا فيما تُحبّ إذن قلّ أجرُك "

إذا لم يكن للمرء إلا على الذي يُحبّ ثواب قلّ فيه ثوابه
 وأكثر ما يُجزى الفتى بمُصابه وإن قلّ مكروهاً لديه مُصابه

وكان رسول الله أعجب كائن يكون لديه جوعه وارتعابه (35)
 فلا تملل المكروه مهما تعاطمت نوائبه أو لجّ بالعض نائبه
 فإن جميل الصبر عند مُصابه يُوهنها مهما ألحت صعابه

ولذّب جناب الله في كلّ حادثٍ وهل يعصم اللاجين إلا جنابه
 ودونك بابي أحمدٍ ووصيه فأحمد شفاعً وحيدرُ بابه
 فسيح رحاب لا ترى غيرِ واله إليها ، ولكن لا تضيق رحابه
 لو الكون طراً أم باب محمدٍ لحاجاته ما كان سلباً جوابه
 يمدّ يداً لم يحجب الله كفها لشئٍ وإن ردّ الأقف احتجابه

أبا حسن من للغريب الذي نأى فهدّ قواهُ نأيه واغترابه
 وهل ينفع المرء المُوسد في الثرى تقرّبه من قومه واقترايه
 فليس له إلا ولاكُم وسيلة إذا لجّ أعداءه وجلّ مُصابه
 وأسلمه أصحابه وبدا له من الله ما قد غاب عنه حسابه (36)

(34) الإسلام ، السنة الثالثة : 5 / 194 - 95 .

(35) في الحديث : كان أعجب ما يكون لديه في الدنيا أن يكون جائعاً خائفاً .

(36) الإسلام ، السنة الثالثة : 6 / 242 - 43 .

ذكر وقوف السيد الحميري في كُناس "الكوفة" وقوله: "مَنْ جَاءَ بِفَضِيلَةٍ لِعَلِيٍّ لَمْ أَقُلْ

فِيهَا شِعْرًا فَلَهُ فَرَسِي هَذَا وَمَا عَلِيٌّ" ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

عجبتُ للسَيِّدِ فِي عِلْمِهِ	وحفظه ما لم يَكُنْ يُحْصِي
مَنْ ذَا الَّذِي يُحْصِي لَصِنْوَالْهُدَى	مَا جَلَّ عَنْ عَدِّ وَعَنْ إِحْصَا
يَقُولُ وَالشَّعْرُ لَهُ طَيِّعٌ	لَمْ يَعْصِهِ مِنْهُ الَّذِي اسْتَعَصَى
مَنْ جَادَ فِي فَضْلِ عَلِيٍّ بِمَا	غَابَ ، فَمَا شَعْرِي لَهُ اسْتَقْصَى
أَعْطَيْتَهُ مَا حَمَلْتَنِي وَمَا	عَلِيٍّ لَا أَنْقِصُهُ شِقْصَا
فَجَاءَهُ حَامِلٌ أُعْجُوبَةٌ	يَنْصَهَا فِي فَضْلِهِ نَصًّا
قَالَ ، أَتَى يَبْغِي الصَّلَا حَيْدَرُ	وَحَيْدَرٌ مِعْرَاجُهَا الْأَقْصَى
فَانْسَابَتْ الْأَفْعَى إِلَى نَعْلِهِ	كَأَنَّهَا هَمَّتْ بِهِ عَقْصَا
وَمُذْعَا بِالنَّعْلِ أَهْوَى لَهُ	طَيْرٌ تَرَى مِنْ فَعْلِهِ لِصًّا
وَطَارَ بِالنَّعْلِ إِلَى أَنْ هَوَتْ	مِنْهُ ، غَدَا يَنْكُصُهُ نَكْصَا
وَسَلَّمَ اللَّهُ أَبَا شُبَّارٍ	مِنْهَا فَلَمْ تُوْذِلْهُ شَخْصَا (37)

يَقُولُونَ بِالْمَالِ الصَّلَاحُ لِأَهْلِهِ	فَقُلْتُ لَهُمْ : لَا ، بَلْ بِهِ الْكِبْرُ وَالْكَفْرُ
صَلَاحُ الْفَتَى بِالْعِلْمِ يَحْوِيهِ وَالتَّقَى	يُلْتَبَى مَا فِي ذَيْنِ مِنْ أَحَدٍ نَكْرُ
فَعِلْمُ الْفَتَى يُرْضِيهِ حَيْثُ يُرِيدُهُ	وَتَقْوَاهُ تُرْضِيهِ إِذَا ضَمَّهُ الْقَبْرُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا فِي غُرُورٍ وَخُدْعَةٍ	مِنْ الْمَالِ ، لَا فَخْرٌ هُنَاكَ وَلَا ذُخْرُ

وَلَوْ أَنَّنِي اسْتَقْبَلْتُ مَا صَارَ مُدْبِرًا	مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَجْرُ عَلَى أَسْرِي الدَّهْرُ
أَنَا الْيَوْمَ مَأْسُورُ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ	لِيُنْهَضَنِي أَمْرٌ وَيُقْعِدَنِي أَمْرُ
وَلَوْ شِئْتُ كَانَتْ لِي عَلَيْهِ وَأَنْ لِي	الْحُكُومَةُ وَالسُّلْطَانُ وَالنَّهْيُ وَالْأَمْرُ (38)

(37) نفسه ، السنة الثالثة : 7 / 292 .

(38) ايضاً ، السنة الثالثة : 8 / 355 .

فإن رأوا صارفاً عنها يُباغتهم بصرف ما حاولوا منها فصوّلتهم
 عليه مهما حباهُ اللهُ تأييداً
 يا للرجال أما في الناس من رجلٍ يقولُ صدقاً بلا خوفٍ ولا وجلٍ
 هذا عليٌّ وإنّ النصَّ فيه جلي ما بالكُمُ قد تراجعتم على عجلٍ
 عنه وقد كان يومَ النصِّ مشهوداً
 اللهُ خصَّ عليّاً بالإمامةِ في كتابكم بل بكلِّ الكُتُبِ والصِّحفِ
 فهو الشريفُ الذي لا زال في شرفٍ يسمو على الناس في فضل وفي نصِّفِ
 وفي كمالٍ إلى أن جاوز الصِّيدا
 إنّ الأئمّةَ إثني عشرَ أولههم عليٌّ والحجّةُ المهديّ آخرهم
 كواكبٌ طلعتْ فيها الأمانُ لهم واستجمعتْ تتلّالاً قبلهم ولهم
 حتى تبدّدَ منها الجهلُ تبديداً
 بمثلِ هذي الليالي وهي مُظلمةٌ تبلّجُ النورُ فيها فهي نيّرةٌ
 إنّ الإمامةَ تمّتْ فهي كاملةٌ ببدرها الحجّةُ المهدي سائرةٌ
 لتبلّغَ العرشَ تصويباً وتصعيداً
 تألّقَ النورُ من إشراقِ غرّته فأعان والبدر في إكمالِ طلّعه
 كلُّ يُنيرُ ولكن ذا ببهجته وذا بنور هُداة في بريّته
 شتّان ماذا كهذا يمنحُ الجوداً
 شتّان ما البدرُ إلا من فواضله أوفى على الناس أو من بعض نائله
 هذا ابنُ طه ولولا فضلُ نائله لم تُلفِ إلا ضليلاً في مجاهله
 وبارئ الخلق لا ينفك مجحوداً
 أنبا به ربُّه من قبلُ وانتظمتْ به الإمامةُ لمّا شمسها طلعتْ
 فكلّما هي في أسلافه لمعتْ تذكّروا منه ذاك النصر وانتظرتْ
 به الإمامة تسديداً وتأييداً
 يا ليلةَ النصف من شعبانٍ كم ظهرتْ فيك من النعمِ الجلّيّ وكم بلغتْ
 بك الخلائقُ من آلاء ما سلفتْ إلا بمولد طه حينما بزغتْ
 شمسُ النبوةِ تشریفاً وتمجيداً
 إنّ تخفَ عن أعين النظّار هيبتهُ لم تخفَ عنّا لدى الجلّيّ حمايتهُ

من أجل ذلك قد أمست شريعتهُ
 محفوظةً بين أيدينا ووجهتهُ
 إلى رعايتها حفظاً وتسديداً
 ماذا يُريبك من تطويل غيبتهِ
 وإن مُدَّةَ عيسى قبل مُدَّتِه
 كُلُّ سيرجع لكن بعد رجعتِه
 فينا سيرجعُ عيسى في مُهمَّتهِ
 فلا يُرى بعدُ غيرُ الله معبوداً
 وتلك أحكامه ما بين شيعتهِ
 محفوظةٌ وهي طراً في رعايتهِ
 وأصبحت بسناً عليها هدايتهِ
 مَهْدِيَّةٌ لا ترى إلا لدعوتِه
 وقوله فيهم حمداً وتشبيداً
 أعلامهم كنجوم الليل ساهرةٌ
 وليس إلا لدعوى الحق ناظرةٌ
 فلا تُرى قالةٌ في الشرع خارجةٌ
 عن الهدى لا ولا في الدين كاذبةٌ
 إلا ولوا قيلها محواً وتفنيداً
 تباعدت عن بني الدنيا وزُخرُفها
 وأمعنّت في صُدودٍ عن سفاستها
 فأعجزتهم جميعاً في موافقها
 وأصبحت بذراً م في تنا صُفها
 وما استطاعوا لها رداً وتحبيداً
 الله أيّد أشياغ الهدى وعَلَت
 بهم لتلك المعالي خِلَّةٌ سطعت
 إيمانهم برسول الله مُذْ بزغت
 آياته وبذاك النور مُذْ صدعت
 نصوصه بعلي المرتضى سيّداً
 يا لأنمي في هوى الهادي وعترته
 ما أنت مثلي بعلمي في أدلّته
 لو كُنتَ تعلمُ مثلي كُنه صفوته
 ومُرتضاهُ على علمٍ بخيرته
 ما كُنتَ ألويتَ عن ذاك الهدى جيّداً
 ضلّ الورى بللهوى سيراً على سُبل
 لم تنته بهمُ إلا إلى فشَل
 وخيبةٍ أسلمتهم بين مُبتهل
 يبغي الرجوعَ وثانٍ مات في وجل
 وآخرٍ في لظى سجّين مصفوداً
 هذي طريقتنا لله واضحةٌ
 ورايةُ الحق فينا الدهرَ لائحةٌ
 ماذا يُريبك منها وهي صالحةٌ
 وهي التي بولا المهدي فالحةٌ
 تُمجّدُ الله في تقواه تمجيدا (40)

" الجنّة تحت ظلال الأسنّة "

كُتِبَ الجهادُ لغايةٍ علويّةٍ
فاسمعُ أوْصُصُ عليك من أنبائهِ
بُعِثَ النبيُّ مُبلِّغاً شرعَ الهدى
بُعِثَ النبيُّ ليُحيي الموتى وكم
لا لالقتال أتى النبي ولا لأن
كلا ولا ليكون تحت نفوذه
ما كان ذلك قطّ قصدَ محمدٍ
لكن هناك زعانفُ غلبتهمُ
وتوطأوا زُمراً لإطفاء الهدى
فتقدموا ، وهم الألوف ، لهدمه
ماذا تُريد ، وهل لفكّ رقابهم
فلذاك إنّ الموت تحت ظلالها

هي لالأنام سعادةٌ وتقدّمُ
وافهم فشرّ الناس من لا يفهمُ
أيّ مُفصّلةٍ ونصّ مُحكّمُ
حيّ تراه وهو ميتٌ مُعدّمُ
يُمسي بهم وهو الرئيسُ الأعظمُ
وبجيبه دينارهم والدرهمُ
ولنفسه من ذا أجلٌ وأكرمُ
أهواهُم فتصامموا أو قد عموا
إنّ الهدى ليلٌ لديهم مُظلمُ
هيهات إن بنا الهدى لا يُهدمُ
غير الأسنّةِ والحُسام المخذمُ
شرفُ الفتى وخلوده المُتحتّم (41)

هذي حقائقنا تبلّج نورها
وكتابنا الإسلام أمسى ظاهراً
فخذُ المعارف من فصول فنونه

وبدا سناها مُشرقاً يتألّق
ولوأه ما بين البريّة يخفقُ
وخذُ الهدى منه فما هو مُشرق (42)

" وقفتُ مرّةً على قلعة بعلبك ، وفيها ما يُدهش من دقة الصنعة وبيد النحت وجميل

التصوير ، فقلت " :

تُعطيك قلعة بعل من مناظرها
نظرتها ويد الإبداع تُخبرنا
فراعني ما تجلّى في هياكلها
وقمتُ أقرأ منها ما يُعبّر لي

أيّاً من الفنّ أو أيّاً من العبرِ
بمنطق النحت والتقيش والصوّر
من باسِق الفنّ أو من سابق الأثرِ
عن ذلك البشر الماضي من البشرِ

(41) أيضاً : السنة الرابعة : 1 / 3 - 4 .

(42) أيضاً : السنة نفسها : 1 / 5 .

فأفصحتُ بلسانٍ غير ذي عِوَجٍ الجسمُ في كِبَرٍ والعقلُ في صِغَرٍ
 إن امرءاً يعبدُ الأحجارَ مُنعكفاً على تماثيلها أوطى من الحجر (43)

قصيدة نظمها سنة 1950م ، جواباً على قصيدة ألقاها أحد الشبان العلويين في مدينة " طرابلس " اللبنانية ترحيباً بقدوم الشيخ . وقد ضمّنها رسائل واضحة وفي غاية الأهمية مُوجّهة للأخوة العلويين :

إليك يا صاحبَ الإيمان تبيانُ آياته كحكيمِ الذكرِ فرقانُ
 أعلمُ بأنَّ الهدى والدين ما احتجبا لولا عُرورٌ وخذلانٌ وطغيانُ
 أتى بها المُصطفى بيضاءَ لامعةً كالشمس ما ضلَّ فيها قط إنسانُ
 فاستبصرَ الناسُ لكنَّ الذي لمعتُ فيه الهدايةُ عمّارٌ وسلمانُ
 وآخرون رأوا في المُرتضى علماً يرقى به للعلى تقوى وإيمانُ
 فيمّموا شطره والناسُ لا هيئةً عن ذلك النورِ قحطانُ وعدنانُ

* * *

الناسُ في جانبٍ والمالُ همّتُها والمرتضى همّةُ عدلٍ وإحسانُ
 فصدّعَ المالُ أشلاءَ الورى شذراً سوى القليلِ بدينِ الحقِ قد دانوا
 ولم تزلْ والقليلُ الحقِ ينهضُهُ والناسُ للباطلِ الخداعُ أخذانُ
 ماذا الذي زادهم عنه واشغلهم وإنه بنميرِ الحقِ مـالانُ
 فاصبحوا والهوى دينٌ وليس لهم على الهدى أي نورٍ أينما كانوا

* * *

يشدّهم للحضيضِ الجهلُ حيث مضوا والعلمُ غاضٍ وأهلُ العلمِ قد بانوا
 حتى أتى الناسَ في الدنيا يقودهمُ إلى المهاوي بها شرٌّ وشيطانُ
 هذا لحزبٍ وذيّاكم لآخرٍ والأحـ زابُ كلهمُ للحقِّ عدوانُ
 فابعدُ عن القربِ منهم واتخذ أبدأً طريقك الحقِّ ، إنَّ الحقَّ إيمانُ
 واعرفُ سنا الحقِ من أهليه إنَّ لهم عليه مهما اختفى أو غاب بُرهانُ

* * *

كواكبٌ هي قسطاسٌ وميزانٌ
وقولهمُ ذكرٌ وقــــرآنٌ
منارُها العدلُ ، إنّ العدلَ عنوانُ
مثلاً ، وهل مائلَ الإيمانِ كُفرانُ
كالنّور والنار تعذيبٌ وتبيانُ
نوراً ، وهل ضلّ بالأنوار إنسانُ
ناراً وعلمك أشجانٌ وأحزانُ

* * *

فإنّ أهلَ الهدى والرّشدِ إخوانُ
حبٌ وصدقٌ وإخلاصٌ وإذعانُ
مُستثبتين فلم يبعُدْ بكم شأنُ
نورٌ فليس لديهم قطُّ حيرانُ
منائكم عُراه ولم ينبو بكم أن
كلا ولا ابتعدوا عنكم ولا بانوا
منّا ومنكم ، فتشتيتٌ وهجرانُ
فأظلمَ الحقُّ ، ما للحقِّ أعوانُ
كُلُّ يرى أنه عدلٌ وإيمانُ

* * *

نورُ الحقيقةِ بالإيمانِ مُزدانُ
تهفو ، كما قد هفا للماءِ عطشانُ
شوقٌ وحُبٌّ وتذكّارٌ وتحنانُ (44)

هذا عليٌّ وأهلوه أدلّتُهُ
أئمةٌ كلّهم نورٌ وفعلهمُ عدلُ
فاجهدْ لترقى بهم في خطّةٍ صلحتْ
خذها نصائحَ لن تلقى لها ابداً
واعمل فما العلمُ إلا شُعلةٌ ظهرتْ
فإنّ عملتَ به كانت أشعتهُ
وإن تاخّرتَ عنه كان مُسعرهُ

هُديتَ للرّشدِ فاعملْ لاتني أبداً
حيّاكمُ الله من قومٍ سجيتهمُ
جريتُم في مضامير الهدى قُدماً
مُستمسكين بأهل البيتِ إنهمُ
لم تبعدوا عن مجاريه ولا انفصمتْ
لم يثبّكمُ بعدكمُ عنهم ولا انصرفوا
لكنّ تلك الظروف السّود قد بلغتْ
وزلزلتْ بكثيرٍ عن مواقفهم
فهامتْ الناسُ في أهوائهم وغدى

إليّ يا ابنَ أخي ها قد أضاء لنا
إليّ إني قد خلقتُ إخوتكم
بهم لكم مثل ما فيكم لهم أبداً

في رثاء المرحوم السيّد عبد الحسين نور الدين . وكان قد توفي سنة 1370هـ/1950م

فجأةً في بيت الشيخ ، أثناء زيارته له . وقرأت في تشييعه :

إن لم ترّد بك عذبَ المشربِ العبرُ بقائدِ الفكر لم يُحمّدْ لك الصّدْرُ

فالصّفوف ما انفكّ مقرونأ به الكدرُ
بل دون لا معتيه الشمسُ والقمرُ
مكانه الفذّ حتى غاله القدرُ
وفلّ ساعدَ زندي فهو مُنبتَرُ

* * *

فقدان شخصك كسرٌ ليس ينجبرُ
إذ ليس ينفعُ في إعضالها بشرُ
مدارها وهداها فيك ينحصرُ
ولا يفكرُ إلا حيث تفتكرُ
إذ أنت جارحتاه السّمعُ والبصرُ
وقلّ به ما تشا إن كنت تقدرُ
وجلّ هذا الوري الأوهام والصّورُ
ما ليس تعمله الصّمصامة الذّكرُ
شعثُ النّواصي علاها الحزنُ والكدرُ
فرقان أحمدَ والإنجيلُ والزّبُرُ
فيعمُرُ الذّكرُ والقرآنُ والسّورُ
لله ليلُك إذ تجلّي به الفِكرُ
به ولمّا جلّ في نوره النظرُ

* * *

كلّ ابن أنثى سيلفى وهو مُنقبرُ
تلقيك عن ظهرها الوّحاتُ واليكرُ
عيناك نوراً ببطن الأرض ينظمرُ
إلى المُهيمنِ حبلٌ ليس ينبترُ
لا ينطفي ، وضياء الرّشدِ مُشتهرُ
ودونكم منه نورٌ كلّه بصرُ

لا تبتغي من صروفِ الدهر صافيةً
هذا أبو أحمدٍ (45) كالشمس لامعةً
ما أن أضاءَ بهذا الأفق مُرتقياً
فحطّم الدهرُ ركني فهو مُنحطّمُ

إيه أبا أحمدٍ كسرُ الشريعة في
قد كنت مؤلها في كلّ مُعضلةٍ
وكنت منها إذا عدت مراجعها
لا يُسمعُ العلمُ إلا حيث تُسمعه
ولا يحسُّ له ستمعٌ ولا بصرُ
أطلق لسان يد التبيان مُجتهداً
أنت الحقيقة والمعنى المُراد بها
أنت الذي تعمل الأقالِم في يده
كأنّ نعشك والأملأك تحمله
تابوت موسى به سرّ الجليل به
أبصرت ليلك تحييه بطاعته
ويُصبح الليلُ نوراً يُستضاء به
ما كنت أحسب أنّ الدهر يُفجعني

مهلاً ذويه فإنّ الأمر مطردُ
إنّ الليالي لنُجبُّ أنت راكبها
مهلاً ، أبو أحمدٍ نورٌ وهل نظرتُ
مهلاً ، فإنّ التقى معراجهُ ولهُ
مهلاً ، فإنّ ضياء الفضل مُتصلُ
فدونكم منه ذكراً كلّه شرفُ

يا راحلاً ترك الدنيا مشوّهةً
ليهنئك اليوم نعمى لا انقطاع لها
وجنةً تُنظرُ الدنيا بجانبها
بدونه والعلى أودى به الذُّعْرُ
ومنزل ما به ذلٌّ ولا قَتْرُ
لا شئٍ قد نفاها الذلُّ والصغرُ (46)

في رثاء السيد نورالدين أيضاً . تُليتُ في حفل يوم أربعينه :

قُلْ للهضاب الشَّمَّ من عاملٍ
أو قامت الحربُ على ساقها
كلاهما طيفٌ سريعُ الخطى
لكن إذا غابت نُجومُ الهدى
وأصبح الناسُ ولا مُرشِدُ
هناك إن شئتِ العويلَ اعولي
لا تجزعي إن مسك الضُّرُّ
مُلتهباً من أُنْفَقها الشَّرُّ
يوشكُ أن يكشفهُ الفجرُ
ومات عنك العالمُ الحَبْرُ
فيهم ولا نهْيٌ ولا أمرُ
فليس إلا المطعمُ المُرُّ

نسيتِ يا عاملُ ذاك الهدى
نسيتِ راياتك خفاقةً
يُريدها النسرُ ليجتازها
نسيتِ أن الصَّيدَ من فارس
واليومَ أبناؤك يستأثرونها
رضيتِ أن تُمسي لأبنائه
هبْ أنه أغنى وأنتِ لكِ
أيسدُ ذلُّ الفقرِ حُرّاً وهل
فيك ، وذاك الموقفُ الحُرُّ
تسيرُ معقوداً بها النَّصْرُ
فيرتمي من دونها النسرُ
قادتهمُ أعلامُك الغرُّ
رُغماً على معطسك الكفرُ
ذيلاً ، وأنتِ دونك الصِّدرُ
من دون أبناء الورى الفقرُ
يُذللُّ بالفقرِ فتى حُرُّ

غاب أبو احمد فاعجب له
أراد أن يمضي فخافتْ بأن
أو ينطفي إن لم يكن نورهُ
فشاء أن يبقى لأبنائه
في أوجه قد غيَّبَ البدرُ
يفوتها إن فاتها الفخرُ
مُجتمعاً في أُنْفَقها النورُ
ذُخراً ، ألا فليعظمُ الذخرُ

وبكّر النّاعي إلى عاملٍ ينعاهُ فهو الحادثُ البكرُ

هذي أيّديه على قومهِ جلتُ فلا يُحصى لها حصيرُ
فكان إذ جفتُ ينابيعُها وجفَّ مَبدأها هو التّرُّ
البحرُ يرويكُ ، فإن غارَ في الأرضِ فلا ريٌّ ولا بحرُ
والسُّحْبُ تغشاكُ فإن أقلتُ عنكُ فلا غيثٌ ولا قطرُ
وكفّهُ غاضتُ نَداهُ فلا روضُ بواديكُ ولا زهرُ

جفتُ رُبوعُ العلمِ في عاملٍ فجفَّ منها المجدُ والفخرُ
وأصبحتُ بعدَ أبي أحمدٍ مُقْفرةٌ يبكي بها القفرُ
والذكرُ قد أمسى وآياتهُ مهجورةٌ يُنسى بها الذكرُ
غابتُ مصابيحُ الهدى والتقى في قبره لو يعلمُ القبرُ
وأصبحتُ عاملٌ من بعده تكلّى وأحشاها بها جمرُ
كأنها الخنساءُ في نوحها تبكيه إذ فارقتها صخرُ
وتلدمُ الصّدرَ على فقده حُزناً ، لقد فارقتها الصبرُ
إنّ بني عاملٍ أبناؤه وأنه فيها الأبُّ البرُّ
فاجتمعتُ تبكيه من ضرها هيهات في مَنْ يُكشفُ الضرُّ

مهلاً ، فهذا القطرُ من عاملٍ فذٌّ فلا من مثله قطرُ
إن أجذبتُ كلَّ بلادِ الورى يبقى وفيه الدّرُّ والدّرُّ
فلا يزالُ الدهرُ مُستنبتاً يفيضُ منه للورى القطرُ
فلا يغيبُ البدرُ من بينهم إلا إذا أخلفهُ بدرُ
هذا أبو أحمدٍ لمّا يغبُ حتى بدا في بيته بدرُ
والتمعَ الصبحُ وطابَ السرى في ربّعه ، فليُعنقُ السفرُ

يا آلَ نورِ الدينِ أنتم على طولِ المدى منبُعهُ التّرُّ
جزاكمُ الرحمانُ خيراً وهل إلا لديكمُ ذلكُ الخيرُ

" وَقُلْتُ مُؤرِّخاً وَفَاتِهِ " :

ما كَلُّ مَنْ آمَنَ مُسْتَبْصِيراً
قَرَّبَهُ اللهُ بِإِيْمَانِهِ
فَرَبَّمَا أَوْقَفَهُ أَنَّهُ
لَمْ يَغْفِرِ الذَّنْبَ لِإِخْوَانِهِ
يَأْمَنُ رَأْيَ السَّيِّدِ تَسْمُو بِهِ
هَمَّتْهُ الْعُلْيَا لِرِضْوَانِهِ
بُشْرَاكُمْ جَاءَ فَطَوْبَى لَهُ
أُرْخَتُهُ (جَاءَ لَغُفْرَانِهِ)

0 7 3 1 هـ (47)

في المبعث النبوي الشريف

النُّورُ يَبْعَثُهُ الْمُنِيرُ اشْعَةً
تُجْلَى بِهَا ظِلْمٌ وَيُكشَفُ غَيْهَبٌ
وَإِذَا اسْتَطَالَ امْتَدَّ فِي آفَاقِهِ
لِيَرَاهُ دَاجِيُّ الظُّلَامِ فِيهِ هَرْبٌ
وَلَرُبَّ نُورٍ ظَلَّ دَهْرًا سَائِرًا
عَجَلَانَ يَطْفُو فِي الْفِضَاءِ وَيَرْسُبُ
مُتَأَلِّقُ اللَّمَعَانِ فِي أَفْلَاكِهِ
لَا يَنْطَفِي أَبَدًا وَلَا هُوَ يُجَجَّبُ
وَكَذَلِكَ أَحْمَدُ إِنَّ أَحْمَدَ كَوَكَبٌ
بَعَثَ الضِّيَاءَ وَأَيْنَ مِنْهُ الْكَوْكَبُ
تَنْجَابُ مِنْ أَنْوَارِهِ ظَلَمَ الْعَمَى
فِيضَى مِنْهَا شَرْقُهَا وَالْمَغْرِبُ
مَنْ يَوْمَ مَبْعَثِهِ تَصَعَّدَ تَارَةً
فِي الْعَالَمِينَ لِيُبْصِرُوا وَتُصَوَّبُ
تَمْتَدُّ حَتَّى لَا يُرَى أَفُقٌ بِهَا
إِلَّا وَفِيهِ نُورٌ أَحْمَدٌ يَلْهَبُ
إِنَّ الْإِلَهَ أَمَدَهُ بِعُلُومِهِ
فَاللَّهُ يُمْلِيهَا وَأَحْمَدُ يَكْتَبُ
مَهْمَا يَطَّلُ عَهْدَ الْوَرَى بِوَجُودِهِ
لَا تَنْقُضِي أَبَدًا وَلَا هِيَ تَنْضُبُ
مَنْ كَانَ مِثْلُ مُحَمَّدٍ فِي نُورِهِ
وَصَفَاءُ جَوْهَرِ عِلْمِهِ لَا يَذْهَبُ
أَفَلَا تَرَاهُ وَإِنَّ مَقُولَ آيِهِ
مَا انْفَكَّ يَصْدَعُ فِي الْأَنَامِ وَيَخْطُبُ
فَتَرَى الْقُلُوبَ لَدَى بَلِيغِ بَيَانِهِ
سَكْرَى تَعَبُّ مِنَ الْكَلَامِ وَتَشْرَبُ
وَتَرَى الْعِبَادَ تَكَادُ أَلْسُنُ حَالِهَا
عَمَّا بِهَا مِنْ حُبِّ أَحْمَدَ تُعْرَبُ
لَا مِنْ جِهَاتِهَا بِأَحْمَدَ تَلْتَوِي
كَلَا ، وَلَا مِنْ ضِدِّ أَحْمَدَ تَرْهَبُ
لَكِنَّمَا غَشِمَ السِّيَاسَةَ قَدْ لَوَى
عَنْهُ وَلَيْسَ مِنَ السِّيَاسَةِ مَهْرَبُ
إِنَّ السِّيَاسَةَ أَسْعَرَتْ فِي قَوْمِهِ
نَارًا تَشِيبُ وَأُمَّةً تَتَذَبذبُ

لم يُطفها طولُ الزمان ولا يدُ
 إنَّ السياسةَ لا تزولُ ولم تنزلُ
 لا تستقيلُ ولا تُقيلُ ولا الذي
 يا ليتَ أبناءَ الشريعةِ مثلهم
 فتنافسوا في يومٍ مبعثِ أحمدٍ
 ودعوه يُشرقُ في الأنامِ فإنه
 ودعوا اليراعَ يسيلُ من قطراته
 ودعوا المنابرَ في فضائلِ أحمدٍ
 ودعوا نفوسَ الجاحدين من الورى
 إن كان يُرهبها الحسامُ فإنها
 إنَّ الخطابَ يقودُ أفئدةَ الورى

تقوى عليها في الأنامِ فتذهبُ
 تُذكي العداوةَ والورى يتعذبُ
 يُذكي مساعيرَ السياسةِ يتعبُ
 أيديَ معاونةً وعينُ ترقبُ
 في ذكرِ أحمدَ أوجزوا أو أطنبوا
 كالشمسِ ، إلا أنه لا يغربُ
 بحرُ يفيضُ وماءُ مُزنٍ يُسكبُ
 تهتزُّ من وقعِ المقالِ وتُطربُ
 تهفو كما يهفو الوليدُ ويرغبُ
 من وقعِ طارقةِ الخطابةِ أُرهبُ
 في حيثُ أنَّ عن الحسامِ تنكَّبُ (48)

أبياتُ كتب بها للشيخ عبد اللطيف إبراهيم من رسالة :

يا مَنْ تبوأَ في قلبي مكانتهُ
 أنتَ الجدِّيُّ بشكري حيثُ تكتبُ لي
 تحيةَ الحبِّ والإخلاصِ أشكرها
 وذكره لم يكذب يوماً يفارقني
 وصاحبُ الفضلِ قبلي حيثُ تسألني
 وما أراني ذا فضلٍ فتشكرني(49)

" الدِّين "

الدينُ ليس قولاً لم يُلحُ
 الدينُ منهاجُ اللبيبِ وشرعُه
 الدينُ عهدُ الله منه لخلقِه
 لم يفتضحْ مَنْ رُبُّه مقصودُه
 منه عليك دلائلُ ولوائحُ
 الهادي وعهدُ صادقٌ ونصائحُ
 والناسُ فيه خاسرٌ أو رابحُ
 لكنَّ قصْدَ سواه عيبٌ فاضحُ

(48) أيضاً : السنة الرابعة : 3 / 399 - 401 .

(49) أيضاً : السنة الثالثة : 1 / 42 .

الدينُ تبتسّمُ البلادُ بجنّةٍ منه يُماسيها الهنا ويُصباحُ
الدينُ تزدهرُ البلادُ بطهره إن نورَ الهادي وبان الصّالحُ
الدينُ شمسٌ هدىً وشمسُ معارفٍ يتجاريان طوافحُ ونوافحُ (50)

أبياتٌ افتتح بها كتابه " ذكرى الحسين " :

ألا إنّم الإنسانُ نفسٌ وصورةٌ بدا بهما للعارفين التوسّمُ
وهذا كتابي إن نفسي وصورتي تمثلتا فيه لمن يتوسّمُ
فإن تجدوني باسم الثغر إنني بوجه صديقي لم أزل أتبسّمُ
وإن تلاحظوا منّي السامةَ فالفتى إذا مرّ في ذكرى حسينٍ ليسأمُ (51)

بيتان بخطّه على قُصاصة ، يبدو من الخط المضطرب أنه كتبهما بع د أن

شُحّ بصره . والظاهرُ أنّهما آخرُ ما نظمه :

إلهي ترى ما بي وإن كنتُ لا أرى سوى أنني عبدٌ إليك مصيرهُ
فإن ترضَ عني يا إلهي فطالما استجار بمرضاة الإله فقيرهُ

(50) أيضاً : 4 / 427 .

(51) ذكرى الحسين / 3 .

خ ت م

صرفتُ في كتابة الصفحات السابقات سبعة أشهر، بمعدل ثمان ساعاتٍ عملٍ يوميًا .
والآن إذ أرجعُ بالبصر إلى الوقت الذي عشتُهُ معها ، فإن الشعور الذي يغمرنِي هو أنها كانت من
أسعدِ أيامِ حياتي . لقد كانت الكتابةُ دائماً سببَ سعادةٍ لي . ولكن سعادتي في هذا كانت من نمطٍ
مختلفٍ تماماً . ذلك أنها أتاحتُ لي أن أكتشفَ كبيراً ، كنتُ أزعُمُ لنفسي أنني أعرفه ، بما له عليّ
من حقِّ الأب والمُرَبِّي والرائعِي . ولكنني أثناء عملي في هذا الكتاب كنتُ كلِّما غصتُ في تفاصيل
سيرته وأعماله ، كلِّما وجدتُ أنني بحاجةٍ إلى استنفار كلِّ ما لديّ من مقدرةٍ على الكشفِ
والاكتشافِ ، عَجِبَرُ أدوات البحث المنهجية ، من جمع المعلومات ، فوضعها في إطارها الحدثيِّ
وعناصره ، فتركيبتها من هذين . لنصلِ في نهاية المطاف إلى ما نُسَمِّيهِ عمارة السيرة . هنا كلِّما
كانت شخصيةُ صاحبِ السيرة أعمقَ نفاذاً في مسامِرِ زمنه ، وأبعدَ أثراً فيما عمل عليه ، كلِّما
كانت مهمّةُ الكاتب وهو يتتبعُ خطاه أكثرَ صعوبةً . ولكن سعادته بالكشفِ أعظم وأحلى .

إذا نحن شئنا أن نصِفَ الشيخ حبيب بأقلِّ ما يُمكن من الكلمات ، لقلنا أنه كان من طراز
الرجال المرابطين . همَّه أبدأ الثغورُ المُستباحةُ أو المُهدّدة . غايته أن يرفعَ رايته على المُستباحة ،
وأن يحرسَ المُهدّدة . دون أن يملك سوى قوّة حضوره وصفات المُثابرة والصبر والاخلاص في
العمل والاستهانة بالصعاب .

ومع أنه عاش حياةً شخصيةً في غاية البساطة ، وفي ع لاقةٍ حرجةٍ ويوميةٍ مع مرضٍ
مُزمن ، ولم يملك يوماً جهازاً مُساعداً ، كما أنه لم يستند يوماً إلى جهةٍ سياسيةٍ داخليةٍ أو
خارجيةٍ ، بل كانت السياسةُ وأهلها أبدأ تُعكس جهوده ومقاصده ، - مع كلِّ ذلك فإنه خلال ما
يزيدُ على النصف قرن من حياته المديدة ، التي انتزعها انتزاعاً من وضعه الصحيّ الدقيق بقوّة
الإرادة فقط ، خاض ثلاث معارك كبرى في ثلاثة أماكن مُتباعدة :

- معركةٌ ضدَّ الوافد الاستعماري ، الذي اتخذ شكل حملةٍ تنصيريةٍ مُنظمةٍ ومُجهّزة ،

على جنوب " العراق " .

- معركةٌ ضدَّ تخلفِ مُزمن وشرس في " بعلبك " ومنطقتها الشاسعة . أنجبَ وضعاً

اجتماعياً في الغاية من التعقيد ، من مظاهره انعدام الأمن ، وسيطرةُ ثالوث الجهل والفقر والمرض .

- معركةٌ ضدَّ ظلمٍ تاريخيٍّ مُزمن وشرس هو الآخر . أدى إلى تهيش وانعزال قومٍ

عريقين في الإيمان والثقافة والجهاد . هم الشيعةُ التاريخيون المعروفون باسم العلويين .

يمكن القول أن الش إخ حبیب قد انتصر في معاركه الثلاث جميعها ، وإن نكُن انتصاراته مُتفاوتةً في حجمها وتأثيرها . بسبب من عوائق اجتماعية أو سياسية . ومهما يكُن فإن ممّا لا ريب فيه أن انتصاره الأكبر والتاريخي والحاسم ، هو في دحُر الحملة التنصيرية الاستعمارية الكبرى على جنوب " العراق " . بعد أن بدا لأربابها أنهم قد كسبوه إلى جانبهم نهائيًا . وممّا لا ريب فيه أيضاً أنه لو أنهم تركوا وشأنهم ، يرتعون كما يشاؤون كما كانوا قبل أن يبدأ حملته المضادة ، لكننا اليوم أمام عراقٍ مُختلف تماماً . وما أنموذجُ جنوب " السودان " عنّا ببعيد . حيث كانت حملةً مماثلةً ، نظمتها المؤسسة التبشيرية نفسها بادئاً لمُسلسلٍ إحباطيٍّ ما يزال يتفاعل حتى اليوم . نقولُ هذا دون أن نُه وّن من شأن أعماله في " بعلبك " وشمال " سورية " وساحلها . ولكن قيمة الانتصارات كثيراً ما تتأتى من فداحة الخسارة لولاها .

ولقد بذلتُ غايةَ الوسع في كتابة ما رميتُ منه إلى أن يكون سيرةً شاملةً لصاحبها . مع التركيز على ميادين أعماله وانتصاراته الثلاثة . وها إنّي أراني الآن قد فُزتُ بأكثر ممّا كنتُ أرجو حين بدأتُ . وأرجو أن لا أكون واهماً بهذا . ومع ذلك فإن شعوراً مُعاكساً ما يزالُ يملّكني . ذلك أنني تعاملتُ في تركيب عناصر الكتاب مع مصادر للمعلومات اجتمعت لديّ ظرفياً ، وبفضل سلسلةٍ من المصادفات الموفقة . اعني أنها لم تكن مُنظمةً سبجاً وسلفاً تنظيمياً منهجياً مقصوداً من أحدٍ قبلي . وعليه : فما الذي يضمنُ لي أنني قد استوفيتُ كلَّ إمكانات البحث ؟ إن أيّ قارئٍ حصيف لا بدّ أن يكون قد لاحظَ أنني لم أظفر بأجوبةٍ مؤكدةٍ على بعض الإشكاليات التي طرحتها فيما فات . من ذلك السبب أو الأسباب الحقيقية لمغادرته غير المُتوقعة لمدينة " العمارة " ، ولفشل البعثة العلوية إلى " النجف " ، وللنجاح الناقص لأعماله ذات الصفة النهضوية في ربوع العلويين . هي ذي أسئلةٌ سأتركها للزمان . عسى أن يأتينا بما يحلّ هذه الإشكاليات . ما يُرضيني وحده أنني قد بدأتُ . وعلى الله سبحانه قصدُ السبيل .

مكتبة البحث

(الكُتُب مطبوعةً ومخطوطةً)

- آغا بُزُرْكَ الطهراني :
 " طبقات أعلام الشيعة " (نقباء البشر في القرن الرابع عشر) . دَوَّته وحققه السيد محمد الطباطبائي . ط. طهران 1430 هـ .
- آداموف ، ألكسندر:
 " ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها " . ترجمه هاشم التكريتي ، ط . البصرة 1402 هـ / 1982 م .
- آل إبراهيم ، الشيخ حبيب :
 " الإسلام في معارفه وفنونه " . كتابٌ متسلسل طُبعت أجزاءه في سنواتٍ متفاوتة ، ابتداءً من السنة 1367 هـ / 1948 م .
- " أنا مؤمن " ط. بعلبك 1375 هـ / 1955 م .
 " الانتصار " ، ط. بعلبك 1353 هـ / 1934 م .
 " الإيمان في أصوله وفروعه " ط. بعلبك 1377 هـ / 1957 م .
 " الجواب النفيس على مسائل باريس " ، ط. مطبعة العرفان في صيدا 1352 هـ / 1934 م .
 " حديث النعم " ، ط. ضمن مجموع لعددٍ من كُتُبِه في بيروت 1417 هـ / 1996 م .
 " الحقائق في الجوامع والفوارق " ، ط. بعلبك 1375 هـ / 1956 م .
 " خطابُ النبي في شهر رمضان " ، ط. بعلبك 1378 هـ / 1958 م .
 " ذكرى الحسين " ، ط. مطبعة العرفان في صيدا 1354 هـ / 1936 م .
 " سبيل المؤمنين " ، ط. بعلبك 1368 هـ / 1948 م .
 " الصراط المستقيم " ، ط. مطبعة العرفان في صيدا 1350 هـ / 1936 م .
 " فصول الكلام في تاريخ الإسلام " ، ط. مطبعة العرفان في صيدا 1352 هـ / 1934 م .
 " المثل الأعلى في الصبر والصلاة " ، ط. مطبعة العرفان في صيدا 1362 هـ / 1934 م .
 " المحاضرات العِمَارِيَّة " ، ط. العِمارة في سنواتٍ متفاوتةً ابتداءً من الستة 1346 هـ / 1928 م .
- " محمد الشفيع " ، ط. العِمارة 1347 هـ / 1928 م .

- " المطالب المُهمّة " ، ط. مطبعة العرفان في صيدا 1354 هـ / 1936 م .
- " منهج الحق " ، نسخة الأصل بخط المؤلف ، محفوظة في مكتبة مؤلف هذا الكتاب .
- " المولد والغدير " ، ط. مطبعة العرفان في صيدا ، لات .
- " الهدى " ، مجلة شهرية صدرت في العِمارة على ثلاث سنوات ابتداءً من السنة 1347 هـ / 1928 م .
- " اليتيمة في الكُتب الحديثة والقديمة " ، ط. مطبعة العرفان في صيدا 1352 هـ / 1934 م .
- ألوف ، ميخائيل :
- " تاريخ بعلبك " ، ط. بيروت 1904 م .
- الأميني ، محمد هادي :
- " معجم رجال الفكر والأدب في النجف في ألف عام " ، ط. النجف 1413 هـ / 1992 م .
- بطاطو ، حنا :
- " العراق ، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العراق العثماني حتى قيام الجمهورية " ، ط. بيروت 1990 م .
- الحربي : علاء :
- " رجال العراق الملكي " ط. لندن 2004 م .
- خسرو شاهي ، السيد هادي :
- " قصة التقريب " ، نشره " المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية " ط. إيران 1428 هـ / 2007 م .
- عثمان ، هاشم :
- " تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام الشمالي " ط. بيروت 1414 هـ / 1994 م .
- العلوي ، حسن :
- " التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي في العراق " ، ط. قم ، منشورات الشريف الرضي ، لات .
- عوآد ، كوركيس :
- " معجم المؤلفين العراقيين ، ط. بغداد 1969 م .
- غنيمة ، يوسف :
- " الدرّة اليتيمة في تاريخ أسرة غنيمة " ، نسخة مطبوعة على الحاسوب ، بغداد 1991 م .

– لجنة من الباحثين :

" أعمال المجمع الشرقي " ط. بيروت ، لات .

– المهاجر ، جعفر :

" التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية " ، ط. بيروت 1413 هـ / 1992 م .

" ستة فقهاء أبطال " ، ط. بيروت 1418 هـ / 1994 م .

– نوّار ، عبد العزيز :

" تاريخ العراق الحديث " ط. مصر 1388 هـ / 1968 م .

– اليونس ، د. عبد اللطيف :

" ثورة الشيخ صالح العلي " ، ط. دمشق 2005 م .

(الدوريات)

– " آفاق نجفية " . فصلية تصدر في النجف .

– " بين النهرين " شهرية كانت تصدر في بغداد .

– " الثقافة " شهرية كانت تصدر في بغداد ، اطلعنا عليها على موقع :

w.w.w. Al – Bayan – magazin . com . Iraq

مُلْحَقٌ بِالْكِتَابِ

وَتَائِقُ وَصُورَ



طلاب مدرسة الهدى الأولى سنة ١٩٤٦م في "بعلبك" مع عدد من مدرّسيهم . ويبدو المؤلف الأول من يسار الصورة



في جمع من أعيان " بعلبك " سنة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٥ م تخميناً



مع المرجع السيّد أبو الحسن الإصفهاني في بعلبك سنة 1365 هـ / 1945 م



مع السيّد الإصفهاني أيضاً في بعلبك بالتاريخ نفسه . ويبدو السيّد محسن
الأمين إلى يمين الصورة







مدينة " بعلبك " في وداع الشيخ



صورتان للاحتفال بأربعين الشيخ في " رأس العين " بـ " بعلبك " بتاريخ 8 جمادى الأولى
1385 هـ / 4 أيلول 1965 م .



أستاذنا المرحوم السيد محمد تقي الحكيم يُلقى كلمته في الإحتفال بأربعين الشيخ .



في منزله بـ " بعلبك " وسط جمعٍ من الضيوف أكثرهم من العراقيين صيفَ سنة 1380 هـ

1960 / م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
دَامَ الْبَيْتُ (بَيْتِي) فِيهِ الْمَلَائِكَةُ تَحْرُسُ
سَفَاةَ دَامِ مِهْرَهَا

محمد علي الغروي الأوروياكي

تفانيك العلم الفضل بالهنا
وأذيت من شهر النيا مرفونه

علي الشفي الثوري الكهنوي

بوركت (بالصد) فقد
وأصبت لب العيا ما

عم الورى سرور

أشرف فينا نوره

محمد حفي الغري العلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
دَامَ الْبَيْتُ (بَيْتِي) فِيهِ الْمَلَائِكَةُ تَحْرُسُ
سَفَاةَ دَامِ مِهْرَهَا

يا من خلق داني وحو نورا وحر

الصيغ ان لاراني صغبي الى حياك النظر

الارايها التسم الهام بك سعيد تهل نور

بسم الله

تقيا واحتراما

مولاي علم الالهة بعد الذي لم تخد بيتك برين منكم واعلم مولانا الربيب
لا يتبع فخلصه الفلق كزمن عند الاربوة نانا تعرف الوجه في عدم نشر
(شهر النور) في العدد الثاني من سنة ١٤١٥ هـ وان حضرت السيد محمد صادق
كان قد بعثت لكم سطر في كتابات زبير العلوم (لكنه لم يشتر ولم يعرف
الوصفي ذلك ان كان قد بعثت فليعلم حتى بعث مرة اخرى واللام على
السيد الوهب بن السيد هاشم والسيد عبد المطلب ولا يتبع من فلكم

محمد علي محمد علي

الثوري

رسالة جماعية جميلة ، اشترك في تحريرها للشيخ ، كل منهم بخط يده ، ثلاثة من
معارف علماء النجف اذراك هم : الشيخ محمد علي الغروي الأوروياكي ، السيد محمد مصدق
بحر العلوم ، والسيد علي الشفي الكهنوي ، يتأخر فيها بالعيد سنة ١٢٤٨ هـ .

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلوة على محمد وآله

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء من دون المؤمنين
 ومن يتولىهم فانه منهم
 لم يخف على لغا فطر البوتنا نيه بالتعامل على المسلمين وابتغاء الوقعة
 فيهم هذه كتبهم ومجانبهم المضمنة انواعا من الافتراء على المسلمين بالتم يقولوا
 به وتجاهرهم على قدس القرآن الشريف والنزل عليه محمد صلى الله عليه وآله ~~لولا~~
~~على حد ما يجمع الرحلة الحجازية [ا] وغيرها من مؤلفاتهم يجد صدق ما قلنا~~
~~تلك ومن راجع الرحلة الحجازية وغيرها [ا] من مؤلفاتهم يجد صدق ما قلنا~~
~~لذا انما اضطررنا الخارج عن حدود الآداب الخارج لمواظفة~~
~~لا تكاد تخفى على احد ومن راجع الرحلة الحجازية [ا] وغيرها من مؤلفاتهم يجد صدق~~
 ما قلناه لنا انك اضطررنا الى اظهار الحق وتبيان ما هو الصدف ~~لئلا يتخذ~~ ~~بعضنا~~
 ضعفاء المسلمين البشر ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~
 فانهم لم يقنصروا في نردج ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~
 المسلمين الكاتب ونبوا فيها التسغيات ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~ ~~بعضنا~~

من مسودة كتابه " منهج الحق " بخطه

القانون الأساسي والنظام الداخلي

لـ " المكتبة المحمدية " في " العمارة "

في السنة السادسة من حكم صاحب الجلالة ملك العراق فيصل الأول أعزّ الله نصره ، وفي اليوم الأول من شهر ربيع الأول سنة 1346 هـ [28 آب 1927 م] اجتمعت الهيئة المؤسسة وقررت ما يأتي :

المادة الأولى : تأسست في العمارة مكتبة باسم المكتبة المحمدية .

المادة الثانية : لا تتداخل المكتبة في الأمور السياسية بيتاً .

المادة الثالثة : غاية هذه المكتبة نشر المعارف والعلوم وتوليد الثقافة وتهذيب الأخلاق .

المادة الرابعة : تقبل المكتبة كل من أحب الانتساب إليها من المسلمين بصفته عضواً

معاوناً .

المادة الخامسة : تتألف الهيئة المؤسسة من أعضاء لا يزيدون على تسعة أشخاص .

المادة السادسة : للهيئة مجلسان ، عام من المنتميين والمؤسسين على رأس كل سنة ،

وخاص مؤلف من الهيئة التأسيسية فقط على رأس كل شهر .

المادة السابعة : لا حقوق تأسيسية للأعضاء المؤسسين .

المادة الثامنة : لا يقبل أي شخص للانتماء إلا بعد موافقة الهيئة التأسيسية على قبوله

بالأكثرية . وإذا تساوت الآراء ، فالمعتبر من انضم إلى صوت الرئيس (1) .

1 - للمكتبة هيئة مؤسسة مؤلفة من سبعة أشخاص ، ولها مجلس خاص على رأس كل

شهر ، ومجلس عام مؤلف من المنتميين والمؤسسين على رأس كل سنة .

2 - يُنتخب من قبل الهيئة المؤسسة رئيس وأمين صندوق ومدير لها .

3 - على المدير القيام بإدارة المكتبة ، من فتحها في أوقات الدوام الرسمية ، ووضع

جدول لأوقات الدوام ، وتسجيل أسماء الكُتُب وأرقامها وأسماء المُتبرِّعين بها من سجل

خاص ، ومراقبة دفاتر المكتبة ، وتوقيعها بإمضائه . ويُعيَّن سجلاً خاصاً للزائرين الذين

يحبون تسجيل أسمائهم ، ممن يرى المدير مناسبتهم لذلك .

- 4 - على المدير أن يُعيّن سجّلات للمكتبة حسب الحاجة المُقتضية . وعليه أن يُقدّم للهيئة عند جلستها الرسمية السجلات للإشراف عليها .
- 5 - تُحفظ التبرّعات عند أمين الصندوق . وعليه أن يُقيّد كلاً من التبرّعات والمصروفات ضمن سجلٍ خاصٍ ، ويُقدّمه أمام الهيئة المؤسسة عند جلستها الرسمية .
- 6 - يأخذ المُتبرّع قبضاً من أمين الصندوق بما تبرّع به ، ويُقيّد تبرّعه مرقماً بإمضاء المُتبرّع ضمن سجلّ المُتبرّعين .
- 7 - تفتح المكتبة في الأوقات التي تعينها الإدارة حسب المناسبات الوقتية ، وتُعلنُ بذلك جدولاً .
- 8 - يُسمحُ للزائرين بالمطالعة واستنساخ بعض المطالب من الكُتُب ضمن وقت الدوام وداخل المكتبة . ولا يُسمح بإخراج أيّ كتابٍ من المكتبة .
- 9 - يُسمح للزائرين بالسؤال عن أي سؤال من المدير بصورةٍ تحريريةٍ . والمدير غير مسؤول عن الإجابة عليها ، بل هو مُختارٌ بذلك .
- 10 - لا يجوز التحادث داخل المكتبة بالأمر السياسيّة والمذهبيّة ، ولا رفعُ الصوت بصورةٍ تدعو إلى تشويش المطالعين .
- 11 - تُبيّن في الجلسات العامّة الأعمال التي قامت بها المكتبة ، والتبرّعات التي جاءت بها ، والمصروفات التي صرفتها . وتُنتخب من جديد هيئةً مؤسّسةً أُخرى إن اقتضت الحاجة .
- 12 - للهيئة أن تمنع مَنْ ظهر منه المخالفة للنظام من الدخول إلى المكتبة بصورةٍ تحريريةٍ توّعت بها إلى المدير . وعلى المدير أن يرفع أسماء المخالفين للنظام ، وله إخطار مَنْ يُخالف النظام من المطالعين والزائرين قبل الطرد بصورةٍ رسميةٍ .
- حُرر ذلك في اليوم الأوّل من شهر ربيع الأوّل 1346 هجرية . وصودق عليه من قِبَل وزارة الداخلية الجليلية بتاريخ 17 كانون الأوّل 1927 وعدد 08/5-7876 (2)

القانون الأساسي للجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية
في " اللادقية "

المادة الأولى : في تأسيس الجمعية

تأسست في اللادقية بتاريخ 21 رجب عام 1370 الموافق في 27 نيسان 1951
جمعية باسم " الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية " .

المادة الثانية : في صفة الجمعية وغايتها

الجمعية هي دينية علمية إصلاحية ، بعيدة عن السياسة والحزبية . وغايتها :
أ - نشر الثقافة الإسلامية ومُراعاة الفضيلة .
ب - ترميم وتشبيد المساجد والمدارس الدينية العلمية .
ج - تعميم التعليم الديني في مدارس العلويين على مذهبهم الجعفري .
د - تعليم الطلاب الفقراء مجاناً حسب إمكانيات الجمعية .
هـ - العمل على إنشاء مستشفيات وملاجئ خيرية .
و - بث فكرة التقارب بين المذاهب الإسلامية والتآلف مع الطوائف الأخرى .

المادة الثالثة : في تأليف الجمعية

تتألف الجمعية أولاً من الهيئة العامة ، وثانياً من الهيئة العاملة . وكيفية تشكيل
كلٍ منهما موضحة في النظام الداخلي للجمعية .
المادة الرابعة : في تمويل الجمعية ونفقاتها

تموّل الجمعية من الاشتراكات والتبرعات والإعانات الحكومية وغير ذلك من
الموارد المشروعة . ويُصرف دخلها على تحقيق غايات الجمعية .
المادة الخامسة : في مركز الجمعية وفروعها

مركز الجمعية مدينة اللادقية . ولها الحق في إنشاء فروعٍ منها في سائر أنحاء
الجمهورية السورية ، على أن تُعلم الحكومة بذلك .

المادة السادسة

للجمعية الحق بإصدار جريدة يومية أو أسبوعية ومجلة شهرية . ويمكن أن تكون
هذه أيضاً أسبوعية ، وعلى شكل نشراتٍ وفق الأنظمة المرعية .

وثبةٌ مُباركةٌ للمسلمين العلويين في محافظة اللاذقية

تداعى عددٌ كبيرٌ من علماء ووجهاء الطائفة الإسلامية العلوية في المحافظة ، لاجتماع عقده ، عصارى يوم الجمعة ، في منزل سيادة الشريف عبد الله بك . حيث استعر ضوا احوال الطائفة العلوية الشقيقة ، وأوضاعها الاجتماعية والدينية ، بكثيرٍ من التفصيل والاسهاب .

وقد تكلم في الاجتماع المذكور سيادة الشريف عبد الله وعددٌ من الحاضرين . مُنوهين بما لحركتهم الرامية إلى النهوض بالأمور الروحية ، والسّموم بالمرافق الدينية الإسلامية للطائفة العلوية من أثرٍ في تبلور حياتها وسُموم مستواها .

وبعد مناقشات ومُحاورات طويلة ، استقر رأي الحاضرين على تأليف جمعيةٍ خيريةٍ ، لتحقيق الأغراض الرامية إلى رفع شأن الطائفة ، وتسييرها في السبيل الديني ، الذي ضعفت آثاره ودرست معالمه بسبب التراخي والإهمال وعدم الاستقرار .

أما الجمعية التي تقرر تأليفها ، فقد سُميت بالجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية . دلالة على المذهب الإسلامي الجعفري الذي يتبعه إخواننا العلويون ، باعتبارهم من شيعة آل البيت .

وأما الأعضاء المؤقتون لهذه الجمعية فهم أصحاب الفضيلة السادة : الشيخ عيد الخير (قرداحة) ، الشيخ محمد حامد (صافيتا) ، الشيخ عبد اللطيف إبراهيم (صافيتا) ، الشيخ حسين سعود (جبلة) ، الشيخ يونس حمدان (بانياس) ، الشيخ حيدر محمد (جبلة) ، الشيخ أسعد حسن الحارة (الحفة) ، الشيخ محمود سليمان الخطيب (جبلة) ، الشيخ رجب سعيد (الشير) ، الشيخ يونس على الجبيلية (جبلة) ، الشيخ كامل حاتم (البهلوية) ، الشيخ أحمد حسن (البهلوية) .

وقد كُلِّفَ الأستاذ عبد الرحمن الخير بأمانة السرّ ، والوجيه السيد محمد رشيد سليمان بأمانة الصندوق .

أما رئاسة الجمعية ، فقد رأى الحاضرون أن يُبقوا مقامها شاغراً ، حتى يتم الاتفاق والاهتداء إلى الشخصية العلوية التي يقع الاختيار عليها لإشغال هذا المنصب الدقيق . ولكنهم أجمعوا على إسنادها مؤقتاً إلى سيادة الشريف عبد الله ، اعترافاً بفضله لجمع كلمة الطوائف الإسلامية ، وتقديراً لجهوده في ميدان الإصلاح الديني والإخاء المُحمّدي . فنزل

سيادته عند رغبة الحاضرين واضطلع بأعباء الرئاسة .
وقد توجه رئيس وأعضاء الجمعية إلى دار الحكومة ، ظهر السبت ، حيث قابلوا عطوفة
المحافظ الأستاذ عاصم الرافي . وشرحو له مهمتهم ، وأبانوا غايتهم . فرحبَ بهم عطوفته
أجملَ ترحيب . وبارك خطواتهم الطيبة ، التي تُبشِّرُ بالخير واليمن والبركة . ووعدهم
بإنجاز جميع المعاملات القانونية ، لإعطاء جمعيتهم الصفة الشرعية ، في أسرع وقت .
فخرجوا من عنده شاكرين مُمتنين ، مُقدِّرين فيه الوطنية الصادقة والإيمان الراسخ .
والذي تجدرُ الإشارةُ إليه ، أن الأوساط الإسلامية قاطبةً استقبلت هذه الخطوة بالتأييد
والتشجيع ، ولا سيما وهي ترمي إلى إشادة المعابد في القرى والأرياف ، ونشر المبادئ
الإسلامية في الجهات الجبلية ، على أيدي إخواننا العلويين ، الذين هم فرقةٌ قيِّمةٌ تدين
بالإسلام الصحيح وتطبيق تعاليمه السمحة وفق المذهب الجعفري الكريم . بعد إهمالٍ دام أمداً
طويلاً ، وتغافلٍ امتدَّ زمناً طويلاً .
إن هذه الحركة المبروكة ستقوي الروابط الأخوية بين السنة والعلويين ، أو بالحري
الجعفريين . وهي ستفسح المجال لتبادل الشعور الأخوي الصحيح ، وتدشين عهدٍ من التعاون
والتآزر ، يعود نفعه على الأمة بالخير العميم ، و على الوطن ، وخاصةً هذه المحافظة ،
بالنفع الجزيل والربح الوفير .
حقَّقَ الله آمالَ هذه الكوكبة المخلصة من العلماء الأفاضل والوجهاء الغيارى على الدين
والفضيلة . وسدَّدَ خطاهم لما فيه مرضاة الله والوطن . وجزى سيادة الشريف عبد الله بك
خير الجزاء لسعيه المبرور وعمله المشكور . إنه نعم المولى ونعم النصير (1) .

(1) جريدة "الاتحاد" السورية ، العدد 329 ، الصفحة 2 / .

العلويون طائفةٌ تجنّى عليها المستعمرون

تعليقُ كاتبٍ كبيرٍ على النهضة الجعفرية الجديدة

على أثر النهضة المباركة ، التي تمخّضت عنها جهودُ السّادة الأفاضل علماء الطائفة العلوية الشقيقة ، المؤيّدّة بمجهود سيادة الشريف عبد الله بك الفضل ، في تأليف الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية . الرّامية إلى نشرِ تعاليم الدين الإسلاميّ الكريم ، وفقّ المذهب الجعفريّ السّمح . عقدَ الكاتبُ الكبير الأستاذ عمر الطيبي في الزميلة " الكفاح " المقال الهامّ التالي . ننشره لأهمّيته . مُغتنمين هذه الفرصة لنؤكدَ من جديد الصّدق البعيد الذي تركته الهيئات في المحافظة . سائلين المولى أن يأخذ بناصر القائمين عليها إلى ما فيه خير هذه الطائفة الشقيقة العزيزة وخير هذا الوطن المُفدّى . قال الأستاذ الطيبي :

أرجو أن يكون هذا الأسبوع ، أسبوعَ خير تشهده البلاد السورية جمعاء ، وتجنّي ثمارَ الخير يانعة شهية في عهدٍ قريب . ويترك فيه أبناء العصر لأحفادهم وأولادهم ما يجعلهم يذكرونهم في كل مناسبةٍ بخير .

فقد قرأتُ في أبناء اللاذقية خيراً فرحتُ به فرحاً بالغاً ، واغتبطتُ به اغتباطاً كبيراً ، وعلقتُ عليه آمالاً أرجو ألا تخيب . وجئتُ أتحدّثُ عنه إلى المراجع المختصّة المس وولة ، وإلى أبناء الأمّة ، لتقوم تلك المراجع ، وليقوم الشعبُ بواجبهم من مدِّ يدِ المعونة والمساعدة .

خلاصةُ الخبر أن جمعيّةً أُلّفتُ باللاذقية باسم " الجمعية الإسلامية الجعفرية " ، غايتها جمعُ كلمة المسلمين ، وإنشاء المدارس والمساجد في القرى الكبيرة ، وإقامة الشعائر الدينية ، إلى آخر ما هنالك . والجمعيّة تضمُّ فريقاً من خير رجالات العلويين . والطائفة العلوية الكريمة طائفة تجنّى عليها المؤرخون ورجال السياسة . فحاولوا أن يُخرجوها عن دينها . وزعموا أنها حربٌ على الإسلام . والأجنبيّ المُستعمر عندما جاء إلى البلاد وجزأها ، حاول إيجاد دولةٍ علويةٍ لحماً ودماً . وأراد أن يُذكي نار الخلاف بينها وبين الطوائف المسلمة الأخرى ففشل . ولمس وعرف وتحقق أنه مخدوع . وكانت ثورةُ الشيخ صالح العلي أكبر صفةٍ للمستعمرين .

ولمّا حاول المستعمر ، والمفاوضات تجري على قدم وساق لعقد مُساعدة تجعل العلوية ديناً من الأديان ، لا مذهباً من المذاهب الإسلامية ، ففشل أيضاً . وصادر شيوخ العلويين

منشورهم المأثور يُعلنون فيه ما لا يُرضي المستعمر . كما حاول أحدُ المحامين في دعوى زوجية أن يعترض على صلاحية المح كمة الشرعية ، بداعي أن العلويين دينٌ من الأديان غير الإسلام ، ثارتُ ثائرةُ العلويين ، واستنكروا هذا القول . وأصرّوا على تحكيم المحكمة الشرعية ، وعلى النزول على حكمها .

وقد كان الولاءُ في سورية في العهد العثماني يواصلون الحملات العسكرية على بلاد العلويين . حتى جاء مدحت باشا رحمه الله فأكد للعلويين أن الحكومة ستعنى بهم . وجاء ضيا باشا متصرفاً على اللاذقية ، فأنشأ بعض المساجد والمدارس في قراهم . ولكنه لم يُحسن التفاهم مع شيوخهم وزعمائهم . فبقيت تلك المنشآت معطلة مهملّة . ومن سنوات أخذ الجعفريّون في دمشق بإنشاء مدرسةٍ أو أكثر في الأصقاع العلوية (2) . وفتحوا صدورهم لإخوانهم العلويين ، باعتبار مذهبهم من مذاهب الإمامية . فصقّق لهذا التفاهم والتضامن من يحرص على وحدة كلمة المسلمين . وصعق منه من يُحبّ الاصطياد في الماء العكر . وإنّ نسيّ فلا ننسى أن الدعاية خلقت بين العلويين أرباباً ورُسلًا لغاياتٍ استعمارية . ولكنّ الرغبة تمخّضت عن الصريح . وانهزم أعداءُ الإسلام ، والحمد لله . وتبيّن أن ليس هناك من آلهةٍ ولا من مُرسلين .

والعلويون بحاجةٌ ماسّةٍ إلى نهضةٍ علميةٍ واسعة . والمدارس الابتدائية تنشأ في مراكز الأقضية . والآن تُفتح أمامهم أبواب المدارس الدينية ، سنيةٌ ملنت أم جعفرية . فينتسب من يشاء من طلابهم إلى أيّها شاء . كما أنهم بحاجةٌ إلى مُدرّسين وواعظين ، وإلى كل ما أنشئ لتعليم بقية الطوائف الإسلامية في البلاد . ورحم الله الشيخ صالح العلي . فقد وقف كل ما يملك لإنشاء مدارس لتعليم بني قومه .

وقد أعربَ علماءٌ وأدباءٌ ورجالٌ فكر من العلويين ، عن حاجتهم الماسّة للتعليم ، وعن أنهم جعفريّو العقيدة في كثير من المناسبات ، ولكنّ السياسة لم تترك لوزارات المعارف وقتاً لأن تُلبي فيهم طلبهم ، وتحولت دون محاولة أعداء الإسلام استغلال هذا الإهمال . ومن جملة الوسائل التي أعربَ فيها العلويّون عن عقيدتهم ومطالبهم ، ما نشره الشاب

(2) يبدو أنه يقصد بهذه العبارة أعمال السيد محسن الأمين وجمعيته . ولكنه ، رحمه الله ، صبّ عنايته على أبناء الشيعة في دمشق ، فأنشأ مدرستي " المحسنية " و " اليوسفيّة " . ولم يمدّ نشاطه إلى ما يُسميه الكاتب " الأصقاع العلوية " .

النشيط السيّد عارف الصوص في كتابه " مَنْ ه و العلوي ؟ " من مقالاتٍ وقصائد بعث بها إليه فريقٌ من علمائهم وزعمائهم وأدبائهم ورجال الفكر منهم . وقد أدّى السيّد الصوصُ في كتابه هذا واجبه الديني والقومي . ونحن ننتظر أن تُلبّي وزارة المعارف طلبَ الجمعية ، فتتمدّد إليها يدَ العون ، وتُنشئُ لها المدارس في كل قريةٍ من القرى . وأن تقوم الوزاراتُ الأخرى والأوقافُ بواجبها ، فتُنشئُ المساجد والجوامع ، وتوفد الخطباء والأئمة والوعاظ .

أمّا الإخوان من علويين وغير علويين ، الذين يُقيمون في المهاجر ، فإنهم لن يُقصرُوا في هذا المضمار . لا سيّما وقد سبق له م أن تبرّعوا لبعض المدارس الطائفيّة الإسلاميّة وأزروها لتواصل عملها المشكور (3) .

(3) الجريدة نفسها ، العدد 335 ، الصفحة الأولى .

توحيد الطائفتين العلوية والسنية

تأليف جمعية لتنفيذ هذا المشروع

لا يترك سيادة الشريف عبد الله بك الفضل مناسبة لخدمة الإنسانية أو المصلحة العامة إلا ويغتنمها ، للقيام بما يفيد البلاد .

وقد رأى في هذه الآونة أن يقوم بجهود للتقريب بين السُنن والعلويين ، وإزالة هذه الفوارق . فدعا لاجتماع في منزله . وقد لَبّي دعوته عددٌ كبيرٌ من الشيوخ وذوي الكلمة والوجاهة من العلويين . وبحث معهم هذا الأمر . وشرح الموضوع وفائدته بتوحيد الطائفتين . فلاقى كل ارتياح من المجتمعين . وأكبروا بسيادة الشريف عمله وشكروه عليه .

وبالحال تألفت جمعيةٌ باسم " الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية " مهمتها تنفيذ هذا المشروع . وانتُخب رئيساً لها سيادة الشريف عبد الله بك . وتتألف من السادة عبد الرحمن الخير لأمانة السرّ ، ومحمد رشيد سليمان لأمانة الصندوق ، والمشائخ : عيد الخير ومحمد حامد وعبد اللطيف إبراهيم و وحسين سعود ويونس حمدان وحيدر محمد وأسعد الحارة ومحمود سليمان الخطيب وكامل يوسف الخطيب ورجب سعيد ويونس علي الجبيلية وكامل حاتم وأحمد حسن أعضاء .

و " الخبر " التي تُسجّل بهذه المناسبة الإعجاب للقائمين بالأمر ، وعلى رأسهم سيادة الشريف ، ترحو للمشروع التوفيق والنجاح (4) .

سماحة مُفتي البقاع

قدِمَ اللاذقيّةَ من بعلبك يوم أمس الأوّل حضرة صاحب السماحة العلامة المفضال الأستاذ حبيب آل إبراهيم مفتي البقاع . وقد حلّ ضيفاً على سيادة الشريف عبد الله بك آل الفضل . وما كاد نبأً وصول سماحته يعمّ حتى توافد إليه كبار رجال الدين والعلماء من المدينة والجبل ، يُرحّبون بمقدمه ، ويُهنّئونه بسلامة الوصول .

والجدير بالذكر أن سماحة الضيف الكبير من كبار علماء الإسلام ، وناشري مبادئه وتعاليمه ، ومن ألمع المؤلفين الدينيين وأكثرهم إنتاجاً .

وسيغتنم سماحته فرصة وجوده في اللاذقيّة ليُذكي روح التآلف الديني بين الطوائف الإسلاميّة ، وخاصةً بين السنّين وإخوانهم العلويين . كما سيعمل على تشجيع وتنشيط الحركة الجديدة المباركة التي ظهرت بين صفوف إخواننا العلويين والرامية إلى تطبيق مبادئ المذهب الجعفري ، ونشر الوية الإسلام بشكلٍ عمليّ في قرى الجبل ودسآكره .

و " صدى الاتحاد " التي ترى في سماحة الأستاذ حبيب آل إبراهيم رجلَ الفضيلة والتقوى ، وعاملَ التآخي والتقارب والتعاطف ، تُرحّب بمقدمه الميمون أجملَ ترحيب راجيةً له طيبَ الإقامة في هذه الربوع التي تُكبره وتُجلّه (5) .

المرسوم التشريعي رقم (3)

بتنظيم التزوي بالزوي الديني بين الجعفرين

إنّ رئيس الدولة

بناءً على الأمر العسكري رقم 2 ، المؤرّخ في 1952/13/3 . وبناءً على المرسوم التشريعي رقم 277 تاريخ 8 حزيران 1952 . وبناءً على قرار مجلس الوزراء رقم 3 تاريخ 14 / 6 / 1952 . وبناءً على المرسوم التشريعي رقم 23 المؤرّخ في 2 ربيع الثاني 1371 و 30 كانون الثاني 1952 ، وعلى وجود عددٍ كبيرٍ من أهالي اللاذقية على المذهب الجعفري ، وعلى اقتراح المفتي العام ، يرسم ما يأتي :

– المادة الأولى : يُضاف إلى المادة الثالثة من المرسوم التشريعي رقم 33 الفقرة التالية :

تولّف لجنة خاصّة للجعفرين من علمائهم ، في مركز محافظة اللاذقية . قوامها ثلاثة أشخاص من العلماء الجعفرين . ويُضاف إليهم شخصٌ واحد من كل قضاء ، عندما يتعلق البحث في قضائه . ويُسمّى أعضاء هذه اللجنة بقرار من المفتي العام من العلماء الأكفاء . مهمتها فحص حالة المتزوين بالكسوة على المذهب الجعفري ، والذين يرغبون في ارتداء هذه الكسوة . وإقرار من يحق له الاحتفاظ بها ، ومنع من تتحقق اللجنة أنه دخيلٌ على سلك رجال الدين من ارتدائها .

– المادة الثانية : يُنشر هذا المرسوم ويُبلّغ من يلزم .

الزعيم فوزي سلّو

دمشق في 15 حزيران 1952

(تعليق) : هذا المرسوم التشريعي ذو قيمة تاريخية . وذلك بالنظر إلى أنه تضمّن أول اعترافٍ

رسمي من قبل الدولة السورية بـ " المذهب الجعفري " الذي يضمّ المعروفين منهم باسم العلويين . وصدوره من ثمار الحالة الانقلابية التي ترتبت على تأسيس " الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية " .

القرار التنفيذي للمرسوم السابق

وبناءً على المرسوم السابق أصدر المفتي العام للجمهورية السورية القرار التالي :

إنّ المفتي العام للجمهورية السورية

بناءً على المرسوم التشريعي رقم 3 ، المؤرخ في 15 تموز 1952 يُقرّر ما يلي :

– المادة الأولى : تُؤلف لجنة فرعية في مركز محافظة اللاذقية من السادة :

حضرة صاحب السيادة الشريف عبد الله رئيساً ، الشيخ علي حلّوم مفتي قضاء اللاذقية

عضواً ، الشيخ عيد ديب الخير عضواً .

يشترك مع هذه اللجنة الفرعية المذكورة عضواً واحداً ليُمثّل القضاء المذكور حذاء اسمه

كلّ من السادة :

– كامل حاتم ، عن قضاء اللاذقية .

– عبد الله عابدين ، عن قضاء الحقة .

– حيدر محمد أحمد ، عن قضاء جبلة .

– يونس ياسين سلامة ، عن قضاء بانياس .

– عبد الهادي حيدر ، عن قضاء مصيف .

– محمود سليمان الخطيب ، عن قضاء طرطوس .

– عبد اللطيف إبراهيم ، عن قضاء صافيتا .

– علي صالح حسن ، عن قضاء تلّ كلخ .

مُهمّةً هذه اللجنة فحص كفاءة المُتريين بالكسوة الدينية على المذهب الجعفري ، والذين

يرغبون في ارتداء هذه الكسوة ، وإقرار من يحق له الاحتفاظ بها ، ومنع من تتحقق اللجنة

أنه دخيلٌ على سلك رجال الدين من ارتدائها .

– المادة الثانية : يُنشر هذا القرار ويُبلّغ من يلزم لتنفيذ أحكامه .

دمشق في 17 شوال سنة 1371 ، في 9 تموز 1952

المفتي العام للجمهورية

محمد شكري الاسطواني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله والصلوة على محمد وآله أئمة الهدى والعروة الوثقى (وإب
فقد شكى لي بعض معلمي المدارس التي تحت إدارتي في (بعلبك) ونواحيه
صعوبة كتابي (الضراط المستقيم) و (سبيل المؤمنين) على صغار الناشئة
والتمس مني وضع مؤلف في هذين الموضوعين يتخصص للصغوف التمهيد
في مدارس الأبتدائية فاجبت الى ذلك مستعينا بالله سبحانه وجعل
في ثلاثة مواضع (الأول) في (أصول الدين) (الثاني) في (فروع ال
العملية) (الثالث) في (فروع الدين) الاخلاقي (وهو الحلقة الأولى) في الت
الديني (والحلقة الثانية) تتألف من (الضراط المستقيم) و (سبيل المؤمنين) و
المتين) في الأخلاق الذي بعد لم يخرج للطبع وهذه مع (أصول الكلام
في احتجاج تاريخ الأسماء كافيته وافية والحمد لله رب العالمين

المؤلف

حبیب آل ابراهيم
المهاجر العلي

المقدمة التي كتبها لمشروع سلسلة تعليمية لم يتمها



آية الله لفضل الله وعلما، ومفسر

وألقي الشيخ جواد محمد جواد في سوريا قصيدة شعريا تناولت شخصية وعلم الشيخ حبيب السيد منير مرتضى قد، مداخلة جاء فيها: «إن الشيخ حبيب كان مشعلا وعنوانا ومثلا أعلى للعالم الرباني الكبير. أما الشيخ جعفر المهاجر فقد تحدث في مداخلته عن الشيخ حبيب الرجل الذي هزم الاستعمار مرتين ثم تحدث الشيخ علي عزيز ابراهيم عن الشيخ حبيب والقضية الطلوية وتحدث الدكتور كامل حاتم عن الاطلالة على حياة الشيخ حبيب. وتحدث الدكتور محمد علي العريبي عن فلسفة علم الكلام. أما محمد علي اسبر فقد تحدث عن الشيخ حبيب في كتابه الاسلام في معارفه وفنونه.

الجلسة الخامسة

افتتح أعمال الجلسة الختامية السيد محمد حسن الامير قاضي شرع صيدا الجعفري موضحاً ان المرجعية الدينية في النجف اختارت الشيخ حبيب داعية لله في تلك الفترة لعلمه وقدرته العالية. من جهته د. محمد طي قدم مداخلته عن الشيخ حبيب والوحدة الاسلامية أما الدكتور طراد حمادة فقد قدم مداخلة حول العقائد عند المسلمين والشيخ حبيب، ويعدده ألقى الشيخ نبيل حلباوي من سوريا قصيدة شعرية تناول فيها الشيخ حبيب وعظمته. وفي اختتام الجلسة الاخيرة تحدث الشيخ حيدر حبيب، آبراهيم المهاجر العاملي عن لمحات من حياة والده الشيخ حبيب وشدد على أن والده كان مضرب المثل في العلم والتقوى والورع والعمل الدؤوب في مواجهة الظلم والانحراف والاستعمار والجهل وفي ذلك شواهد يتناقها أهل البلاد وخارج لبنان. واستعرض سيرة والده في علاقته مع الناس خصوصاً أولئك الفقراء والمستضعفين. والجدير ذكره ان المستشارية التي عملت على جمع كل ما له علاقة بالشيخ حبيب من خلال الملحق الثقافي الحاج عباس خاميار وهي عبارة عن صور فوتوغرافية له تظهر بعض نشاطاته ورسائل متبادلة من مراجع كبار وبعض منشورات وتصريحاته ونشاطاته وخطبه وشيابه وبعض حاجياته الخاص قامت بوضع كل هذه الامور في المعرض الذي رعته الى جانب المؤتمر في الحوزة وعلى مدى يومين بالاضافة الى توزيع بعض الكلمات والمقالات التي كتبت حول الشيخ حبيب والخاص بالمؤتمر بكتاسات بالاضافة الى الكتاب الخاص الذي أشرفت عليه المستشارية وحمل عنوان (المهاجر العاملي الشيخ حبيب آبراهيم/ حياته وبعض مؤلفاته) ■

هاج في فخر الدين

في الذكرى الثلاثين لرحيله:

المهاجر العاملي موضوعاً للتكريم

أقامت المنشارة الثقافية للجمهورية الاسلامية الايرانية في لبنان مؤتمراً تكريمياً للشيخ حبيب آل ابراهيم ورعته على مدى يومين ٢٥-٢٦ / ٧ في قاعة حوزة الامام المنتظر (عج) في عين بوزاضي - بعلبك شارك فيه عدد كبير من رجال العلم والفكر والمعرفة والدين والثقافة.

اليوم الاول

بعد آيات من الذكر الحكيم للاخ يوسف الحاج حسن وكلمة قيّمة لمدير المؤتمر الشيخ يونس العباس افتتح آية الله السيد محمد حسين فضل الله الجلسة الاولى للمؤتمر بكلمة وصف فيها الشيخ المرحوم بالعالم العالم بامور السياسة والدين والذي حاور المسيحيين بعقل منفتح وعميق وعجل من أجل الوحدة بين المسلمين والاحرار في مواجهة كل التحديات ودعا الى الاستفادة من تجاربه ومواقفه. ثم تحدث مفتي الهرمل الشيخ موسى شرارة الذي رافق المرحوم الشيخ حبيب فاكد على عظمته وتحركه بوعي الانبياء والاولياء.

أما المستشار الثقافي الشيخ محمد سالار فقد ألقى كلمة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري مستعرضاً آراء العلماء المجتهدين بالشيخ حبيب وأكد على دور الجمهورية الاسلامية الدائم والمستمر في تكريم العلماء الافاضل من خلال المؤتمرات الفكرية وغير ذلك.

اليوم الثاني

ورفعت الجلسة لتستكمل عند الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم الثاني للمؤتمر (الجمعة) حيث افتتحها الوكيل الشرعي العام لآية الله الخامنئي في البقاع والشمال الشيخ محمد يزبك بمداخلة تحت عنوان «الشيخ حبيب العالم المقاوم المجاهد» لفت فيها الى أن الشيخ كان حركة مقاومة وجهاد وقال: لقد كان صاحب رؤية نافذة وعلم واسع وفكر مبدع وروح عامرة بالتقوى والايمان والاخلاص.

المحقق السيد حسن الامين قال في مداخلته ان الشيخ حبيب جاء الى بعلبك في فترة هامة ورفعتها فكرياً وثقافياً ودينياً. الدكتور علي زيتون قال عن البعد النهضوي في شعر الشيخ: «إن المرحوم لم يكن رجل دين عادي لأن تجربته كانت غنية وواسعة تجاوزت حدود العالم الى حد مشاركة الناس في كل موموم الحياتية والانسانية».

وتحت عنوان «الشيخ حبيب في بعلبك» قال الدكتور حسن عباس نصر الله ان جناح العلم في بعلبك قد خُفّق بقدم الشيخ حبيب إليها «ولقد انهزمت أمام علمه مشاريع الاستكبار وأحدث نهضة فكرية ودينية مهمة جداً من خلال أساليب علمه».

مؤتمراً

No.296

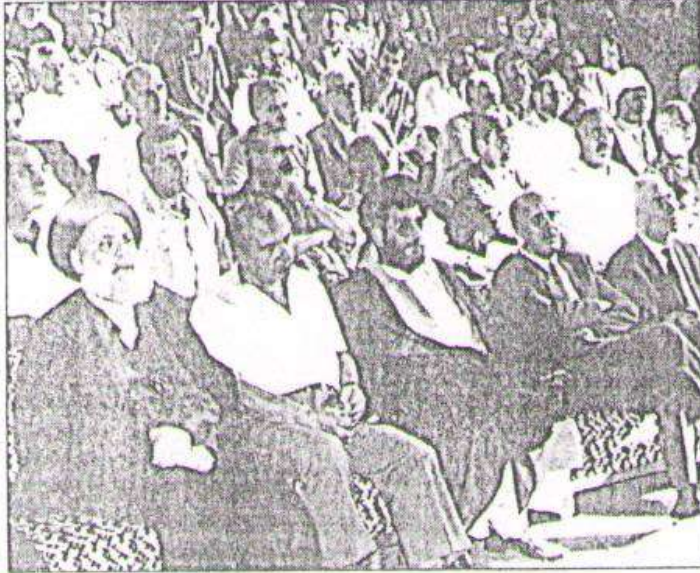
البلاد

٥٤

أصداء المؤتمر التكريمي الذي انعقد بمناسبة الذكرى الثلاثين لوفاته كما عكستها الصحافة

اللبنانية (مجلة البلاد)

اختتام مؤتمر الشيخ آل ابراهيم في بعلبك



الحضور في الحفل

قصيدة بالمناسبة.
وألقى الدكتور حسن عباس نصرالله محاضرة ركز فيها على دور الشيخ حبيب آل ابراهيم في بعلبك. وقال: انطلق من بعلبك يرسل بفكره وقلمه الى الأقطار الإسلامية تطلعا الى الوحدة الضائعة.

وتحدث السيد منير مرتضى عن سيرة حياة الشاعر وفقهه وعلومه. وفي الجلسة الثالثة توالى على الكلام: الدكتور محمد طي، السيد محمد حسن الأمين، الدكتور طراد حمادة، وختاماً كلمة الشيخ حيدر المهاجر الذي اعطى لمحة شاملة من حياة العلامة الشيخ حبيب آل

همودها وقامت نشطة، وانطلقت بعلبك بفضلها في الميدان العلمي والفقهي.

وتطرق الدكتور علي زيتون في بحثه الى البعد النهضوي في شعر الشيخ حبيب من خلال مسألتين: رؤيته ولغته الشعرية.

وقال: كان الشيخ حبيب شاعراً نهضوياً مهماً، تراءت في نصوصه كغيره من شعراء النهضة العربية، لغة البداوة التي لم تكن حائلاً دون بروز لغة واضحة النضارة توميء الى الحدائث التي نتفياً ظلالها بغير اشارة واضحة.

ه القم، الشيخ نبال، الحلما،

بعلبك - محمد ابو اسبر :
اختتم المؤتمر التكريمي للشيخ حبيب آل ابراهيم اعماله في قاعة الحوزة العلمية في بعلبك امس بدعوة من المستشارية الثقافية الإيرانية، إثر ثلاث جلسات، بحضور فعاليات دينية وسياسية وثقافية واجتماعية من لبنان والبلاد العربية والإسلامية. ترأس الجلسة الختامية السيد عيسى طبطبائي (إيران) الشيخ نبيل الحلباوي (سوريا) والشيخ حسين عبيد (لبنان) وادار اعمال المؤتمر الشيخ حسن عباس.

الشيخ محمد يزبك قال: المقاومة من المفردات التي استأثر بها هذا القرن وتجلت باروع صورها في مواجهة المحتل الغاصب لفلسطين والمنتك لكراماتنا واعراضنا وكل قيمنا الانسانية والاسلامية في مواجهة الاستكبار العالمي والغزو الثقافي. وتناول دور الشيخ حبيب آل ابراهيم في بداية القرن الحالي وقال: برز دوره في مقاومة الغزو الثقافي وجهاده في العراق. واذاف: الشيخ كان حريصاً على الوحدة الوطنية والتعايش.

الأمين

وتكلم السيد حسن الأمين فقال: اتى الشيخ حبيب الى بعلبك بعد فترة هامة من فترات حياتها العلمية التعليمة فحركها ونفخ فيها من تقواه حتى انبعثت من

أصداء المؤتمر نفسه في جريدة " الأنوار " اللبنانية

كشافٌ تحليليٌّ

للأعلام عموماً أشخاصاً وأماكن ومعالم وفرقاً وجماعاتٍ
ومذاهباً ومؤسّسات

وهو منسوقٌ أُبثِّثياً على نحو ما وردتْ الأسماء في الكتاب. ولم نُراعِ في
نسقِ أسماء الأشخاص الصفات والكنى إلا أن تكون صيغة الكنية اسماً .
وقد أثبتنا الصفة الأساسيّة لكلٍ منهم بعد اسمه مفصلاً بفاصلة .

- 178 ، 171 ، 44 - آغا بُزْرُك الطهراني :
- 36 . - آغا رضا الهمداني ، الشيخ :
- 55 - آغا نجفي ، السيد :
- 23 - إبراهيم ، آل :
- 163 - إبراهيم الجبهان :
- 101 - إبراهيم حسن ، الشيخ :
- 207 ، 27 ، 25 : - إبراهيم بن حسن عز الدين ، الشيخ :
- 26 - إبراهيم خاتون :
- 157 ، 78 ، 77 ، 73 ، 71 ، 54 ، 43 ، 40 ، 39 ، 38 / - أبو الحسن الإصفهان ي ، السيد / السيد الإصفهاني :
- 239 - أبو الفتح الكراكي :
- 66 - أبو القاسم الخوني ، السيد :
- 101 - أحمد زكي تفاحة :
- 88 ، 80 . - أحمد بن معقل الحمصي ، الشيخ :
- 36 ، 31 . - أحمد كاشف الغطاء ، الشيخ :
- 183 - أحمد كنج :
- 91 - أدلب (منطقة في سورية) :
- 83 - أديب مرتضى :
- 50 - الإرسالية العربية (إرسالية تبشيرية أميركية عملت في العراق) :
- 52 ، 50 . - الأرمن :
- 158 - الأزهر ، الجامع :
- 263 - أ سادور (طبيب لبناني عمل مع الشيخ في ال عمارة . ولا نعرف تمام اسمه) :
- 133 - أسعد حسن الحارة ، الشيخ :
- 52 ، 50 . - الأشوريون (فرقة مسيحية في العراق) :
- 38 ، 32 . - إصفهان :
- 185 ، 79 ، 26 . - إفريقية :
- 107 ، 92 . - ألبانيا :
- 34 - ألمانيا :
- 89 - أم العمدة (قرية في سورية) :
- 34 ، 14 . - الإمبراطورية العثمانية / الدولة العثمانية :
- 107 ، 92 . - الأناضول :
- 149 - الإنكليز :
- 185 ، 163 ، 54 ، 44 ، 39 ، 38 ، 13 - إيران / الجمهورية الإسلامية الإيرانية :
- 22 - إيعات (قرية في لبنان) :
- 175 ، 148 - باريس :
- 31 - باقر بن علي الجواهري ، الشيخ :
- 140 ، 138 ، 136 ، 133 ، 112 ، 110 - باتياس (مدينة في سورية) :
- 185 - البحرين :
- 175 . - بحيرا ، الراهب :
- 80 - بخعون (قرية في لبنان) :
- 174 ، 56 ، 52 / - البروتستانت/المذهب البروتستانتى / البروتستانتية :

- 140 - بسيسين (قرية) :
 50 ، 63 ، 68 .
 البصرة :
 بعليك :
 13 ، 22 ، 39 ، 43 ، 44 ، 46 ، 64 ، 77 ، 78 ، 79 ، 80 ،
 81 ، 82 ، 83 ، 85 ، 89 ، 91 ، 109 ، 116 ، 118 ، 119 ،
 121 ، 122 ، 167 ، 169 ، 171 ، 175 ، 180 ، 181 ،
 183 ، 184 ، 212 ، 249 .
 25 ، 76 ، 146 .
 بغداد :
 البقاع البعلبي :
 البكتاشيون :
 بلفور :
 بنت جبيل (قرية في جبل عامل) :
 79 ، 84 ، 85 .
 26 - البهاني ، الشيخ :
 البهلونية (قرية في سورية) :
 133 - البو محمد (عشيرة في العراق) :
 41 ، 70 .
 بيت الشيخ يونس (قرية في سورية) :
 112 :
 بيروت :
 34 ، 43 ، 46 ، 69 ، 79 ، 100 ، 109 ، 121 ، 130 ،
 147 ، 148 ، 149 ، 150 ، 175 ، 183 .
 92 ، 139 .
 تركيا :
 91 - تقي الدين الفوعي ، الشيخ :
 22 ، 126 - تمنين (قرية في لبنان) :
 79 ، 81 - توفيق الصاروط ، الشيخ :
 43 ، 79 - الثانوية / المدرسة العاملية (في
 بيروت) :
 139 - جامع الإمام الصادق (ع) (في
 اللاذقية) :
 12 - جامعة الحضارة الإسلامية :
 25 ، 27 ، 78 - جبّاع (بلدة في جبل عامل) :
 22 - جبال الظنيين / الضنية :
 14 ، 22 ، 23 ، 24 ، 25 ، 26 ، 27 ، 29 ، 35 ، 78 ، 79 ،
 80 ، 82 ، 83 ، 85 ، 88 ، 110 ، 128 ، 148 ، 169 ،
 185 ، 191 ، 195 ، 197 .
 44 ، 110 ، 128 ، 136 ، 150 - جبل العلويين :
 100 ، 110 ، 112 ، 133 ، 138 ، 140 .
 92 - جبلة (بلد في سورية) :
 الجزيرة الفراتية :
 78 - جزين (قرية في جبل عامل) :
 181 - جعفر المرعشي ، السيد :
 209 - جعفر النقدي ، الشيخ :
 84 - جمال الدين الكلبايكاني ، السيد :
 140 - جمعية الإمام علي الرضا (ع) :
 131 ، 134 ، 137 ، 138 ، 139 - الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية
 (في اللاذقية) :
 43 ، 79 ، 130 - الجمعية الخيرية الإسلامية العاملية :
 129 - الجمعية الفرنسية العلمانية (اللايك) :
 91 - جواد الست ، الشيخ :
 80 ، 81 ، 121 - جواد مرتضى ، السيد :
 68 - حارث غنيمة :
 232 - حافظ طوقان :
 حبيب آل إبراهيم ، الشيخ :
 يردُ اسمه كثيراً جداً في الكتاب .

- 36 - حبيب الله الرشتي ، الشيخ :
- . 195 ، 191 - حبيب محمد علي عز الدين ، الشيخ :
- 25 - حدانثا (قرية في جبل عامل) :
- . 192 ، 147 - الحجاز :
- 40 - الحجاج بن يوسف :
- 22 - حُجيرة (قرية في سورية) :
- 86 - حربتا (قرية في لبنان) :
- 81 - الحرفوش ، آل :
- 22 - الحسن (ع) ، الإمام :
- 86 - حسن إبراهيم المولى :
- . 138 ، 110 - حسن بن عبد الله الفضل ، الشريف :
- 206 - الحسن العسكري (ع) ، الإمام :
- 204 - الحسين (ع) ، الإمام :
- . 152 ، 128 - حسين البروجردي ، السيد :
- 84 - حسين الحمّامي ، السيد :
- 91 - حسين زغيب ، الشيخ :
- 133 - حسين سعود ، الشيخ :
- 199 - حسين عبد الله ، الشيخ :
- 110 - حسين بن عبد الله الفضل ، الشريف :
- . 148 ، 147 - الحسين بن علي ، الشريف :
- 25 - حسين مروّة :
- 204 - حسين مُغنيّة ، الشيخ :
- 136 - حسين ميهوب ، الشيخ :
- 138 - الحصنان (قرية في سورية) :
- 133 - الحفة (قرية في سورية) :
- . 147 ، 65 ، 35 - حكومة الشرق العربي :
- . 150 ، 147 ، 93 ، 92 ، 90 ، 35 ، 34 - حلب :
- 50 - الحلة :
- . 95 ، 92 ، 44 - حماة :
- 92 - حمدان ، بنو :
- 227 - حمزة بن عبد المطلب :
- . 95 ، 94 ، 92 ، 91 ، 90 ، 89 ، 88 ، 80 ، 43 ، 22 - حمص :
- 88 - حمير :
- 156 - الحنفية :
- . 78 ، 71 ، 43 ، 36 ، 34 ، 28 ، 25 ، 24 ، 23 ، 22 - حنويه (قرية في جبل عامل) :
- 32 - حيدر علي الإصفهاني ، الشيخ :
- 133 - حيدر محمد ، الشيخ :
- 24 - حيرام ، الملك :
- 26 - خاتون ، آل :
- 90 - خالد بن سعيد بن العاص :
- 90 - خالد بن الوليد :
- 149 - الخراب (محلة في دمشق) :
- 119 - خليل حسين العميري ، الشيخ :
- 25 - خليل الطهراني ، الشيخ :
- . 160 ، 159 ، 158 ، 151 - دار التقريب بين المذاهب الإسلامية :
- 40 - دجلة :
- . 138 ، 134 ، 131 ، 130 ، 129 ، 112 ، 109 - الدريش (قرية في سورية) :
- ، 150 ، 148 ، 147 ، 90 ، 89 ، 80 ، 79 ، 65 ، 35 ، 22 - دمشق / الشام :
- . 190 ، 151

- 15 - الدولة البريطانية :
- . 150 ، 14 - الدولة الفرنسية / فرنسا :
- 86 - الديراني ، آل :
- . 111 ، 107 - الرابطة العلوية (في طرابلس) :
- . 160 ، 44 - رأس العين (في بعلبك) :
- 158 - راضي آل ياسين ، الشيخ :
- 40 - ربعة (قبيلة) :
- 133 - رجب سعيد ، الشيخ :
- . 138 ، 130 ، 121 ، 78 ، 43 - رشيد بيضون :
- . 13 ، 12 - رضا مختاري ، الشيخ :
- 88 - الروم :
- 88 - الري :
- . 183 ، 147 - ريات (بلد في لبنان) :
- 183 - زحلة (مدينة في لبنان) :
- 212 - الزهراء (ع) :
- 91 - زهرة ، بنو :
- . 151 ، 149 - زيد بن علي ، الشريف :
- . 150 ، 140 ، 128 ، 127 ، 116 ، 112 ، 109 - الساحل السوري :
- . 53 ، 34 ، 31 - سامراء :
- 52 - السريان (فرقة مسيحية في العراق) :
- 175 - سليم حيدر ، الدكتور :
- 101 - سليم عباس ، الشيخ :
- 101 - سليمان أحمد خضر ، السيد :
- . 204 ، 101 ، 90 ، 34 - سليمان حبيب آل إبراهيم :
- 133 - سليمان الخطيب ، الشيخ :
- 24 - سليمان بن داود (ع) :
- 101 - سليمان صالح عبد الله ، الشيخ :
- . 182 ، 160 ، 155 ، 152 - السنة :
- . 169 ، 126 ، 122 ، 121 ، 82 - سهل البقاع (في لبنان) :
- . 118 ، 151 - السودان :
- 111 ، 95 ، 93 ، 92 ، 90 ، 88 ، 82 ، 80 ، 37 ، 22 ، 16 - سورية :
- . 185 ، 184 ، 151 ، 147 ، 139 ، 138 ، 133 ، 128 ، 245 - السيد الحميري :
- . 147 ، 108 ، 107 ، 88 ، 35 ، 22 - الشام / المنطقة الشامية :
- 69 - شاهين صليبا ، الدكتور :
- 31 - شحور (قرية في جبل عامل) :
- 50 - الشرق الأوسط :
- . 197 ، 31 - شريف شرف الدين ، السيد :
- 27 - شقرا (بلد في جبل عامل) :
- شمّر (قبيلة) :
- 44 - شهاب الدين المرعشي ، السيد :
- 83 - الشهيد الأول :
- 80 - الشهيد الثاني :
- . 146 ، 36 ، 32 - شيخ الشريعة الإصفهاني (محمد جواد النمازي) ، الشيخ :
- 133 - الشير (قرية في سورية) :
- . 108 ، 93 ، 92 ، 91 ، 89 ، 88 ، 81 ، 79 ، 52 ، 41 - الشيعة / شيعة أهل البيت :
- . 156 ، 155 ، 154 ، 152 ، 138 ، 128 ، 127 ، 111 ، 157 ، 160 ، 179 ، 180 .

- الشيعة العلويون / العلويون :
 44 ، 89 ، 92 والصفحات التالية كثيراً ، 109 ، 111 ، 112 ،
 136 ، 137 ، 138 ، 180 ، 181 ، 185 ، 234 .
 96 ، 113 ، 133 ، 140 .
 130 ، 137 .
- صافيتا (بلد في سورِيّة) :
 - صالح العلي (مدير مدرسة في
 بانياس) :
 - صالح العلي (قائد ثورة علي
 الفرنسيين) :
 - صالح ميهوب ، الشيخ :
 - صبري حمادة :
 - صنعاء (قرية دارسة قرب دمشق) (22) :
 24 - صور :
 175 ، 176 ، 178 ، 180 ، 181 .
 22 - صيدا :
 - الضنّية / جبال الظنّيين :
 - طرابلس (مدينة في لبنان) :
 - طرطوس (مدينة في سورِيّة) :
 - طهران :
 - طبر دبا (قرية في جبل عامل) :
 - ظفار (منطقة في الخليج) :
 - عارف الصوص :
 - عباس شبر ، السيد :
 - عبد الجواد السبزواري ، الشيخ :
 - عبد الحسين شرف الدين ، السيد :
 - عبد الحسين صادق ، الشيخ :
 - عبد الحسين نور الدين ، السيد :
 - عبد الرحمن الخير ، الشيخ :
 - عبد العزيز الفاطمي :
 - عبد الكريم شرارة ، الشيخ :
 - عبد الكريم صادق ، الشيخ :
 - عبد الكريم مغنية ، الشيخ :
 - عبد اللطيف إبراهيم ، الشيخ :
 - عبد اللطيف الخير ، الشيخ :
 - عبد الله السبّيتي :
 - عبد الله الفضل الحسني ، الشريف :
 - عبد الله نعمة ، الشيخ :
 - عبد المطلب الأمين ، السيد :
 - عبد المطلب الهاشمي ، السيد :
 - العثمانيون :
 - العراق :
 13 ، 15 ، 16 ، 23 ، 32 ، 35 ، 37 ، 39 ، 40 ، 41 ، 44 ،
 50 ، 52 ، 53 ، 54 ، 60 ، 61 ، 65 ، 75 ، 77 ، 79 ، 81 ،
 83 ، 93 ، 116 ، 118 ، 122 ، 126 ، 144 ، 146 ، 147 ،
 150 ، 151 ، 168 ، 169 ، 173 ، 185 ، 190 .
 93 - عُقيل ، بنو :
 - علي (ع) ، الإمام / أمير المؤمنين :
 - علي إبراهيم ، السيد :
 - علي أحمد صالح ، الشيخ :
 - علي اسعد بسما :
 - علي حبيب آل إبراهيم :

- 26 - علي خاتون ، الشيخ :
- 110 - علي سليمان الأحمد ، الدكتور :
- 85 - علي شرارة ، الشيخ :
- 65 - علي الغربي (قرية في العراق) :
- 86 - علي كركبا ، الشيخ :
- 192 - علي مهدي شمس الدين ، الشيخ :
- 176 ، 175 . - علي النقي زغيب ، الشيخ :
- 184 ، 183 ، 126 . - علي النهري (قرية في لبنان) :
- 13 ، 16 ، 41 ، 42 ، 43 ، 44 ، 50 ، 53 ، 54 وما بعدها في هذا الفصل ، 79 ، 116 ، 118 وكثيراً في الصفحات التالية ، 126 - 149 ، 167 ، 171 ، 172 ، 174 ، 175 ، 209 .
- 80 - عيتا الزط (قرية في جبل عامل) :
- 133 ، 110 . - عيد الخير ، الشيخ :
- 22 - عين ثرما (قرية في غوطة دمشق) :
- :
- 84 ، 78 . - عيناتا (قرية في جبل عامل) :
- 22 - الغوطة :
- 34 - فاطمة الصانغ :
- 128 - فضل غزال ، الشيخ :
- 152 ، 95 . - فلسطين :
- 91 ، 90 . - الفوعة (بلد في سورية) :
- 151 ، 150 ، 149 ، 148 ، 147 ، 76 ، 75 ، 65 ، 35 / فيصل بن الحسين / الأمير فيصل الملك فيصل الأول :
- 190 . - قانا (بلد في جبل عامل) :
- 77 ، 71 ، 43 . - القاهرة :
- 158 ، 151 . - القدس :
- 178 . - القرداحة (بلد في سورية) :
- 138 ، 133 ، 112 ، 111 ، 110 . - القرنة (في العراق) :
- 32 - قشاقش ، آل :
- 192 . - قصرنبا (بلد في لبنان) :
- 126 ، 86 . - قلعة سكر (بلد في العراق) :
- 66 - قَمَم :
- 128 ، 44 ، 38 ، 12 . - كاظم عز الدين ، الشيخ :
- 192 . - الكاظمية :
- 52 ، 34 ، 29 ، 28 . - كامل حاتم ، الشيخ :
- 138 . - كامل يوسف الخطيب ، الشيخ :
- 133 . - كتابشناسي شيعه :
- 12 . - كربلاء :
- 189 ، 146 ، 53 ، 29 ، 28 . - الكرك :
- 169 ، 83 ، 80 . - كَسَب (بلد في سورية) :
- 112 . - كفره (بلد في جبل عامل) :
- 25 . - الكلدانيون (فرقة مسيحية في العراق) :
- 52 ، 50 . :
- 50 - الكنيسة الأنكليكانية :
- 231 ، 171 ، 79 ، 54 ، 42 ، 40 . - الكوت (مدينة في العراق) :
- 244 ، 32 ، 22 . - الكوفة / مسجد الكوفة :
- 128 ، 112 ، 111 ، 110 ، 109 ، 100 ، 96 ، 95 ، 90 . - اللاذقية :
- 139 ، 133 ، 131 . - لبنان / دولة لبنان :
- 107 ، 95 ، 92 ، 80 ، 52 ، 44 ، 39 ، 37 ، 22 ، 16 ، 15 ، 109 ، 111 ، 112 ، 116 ، 121 ، 124 ، 126 ، 128 ،

- 147 ، 150 ، 152 ، 184 ، 185 .
 156 - المالكيّة (أتباع مذهب مالك) :
 158 ، 163 . - المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب
 الإسلامية :
- 60 ، 65 ، 149 ، 151 . - محسن الأمين ، السيّد / السيّد
 الأمين :
- 96 ، 98 ، 100 ، 102 ، 104 ، 105 . - محسن الحكيم ، السيّد :
 25 - محسن خنفر ، الشيخ :
 98 ، 101 . - محسن يوسف عيد ، السيّد :
 155 ، 172 ، 179 ، 181 ، 185 ، 214 . - محمد (ص) / النبي :
 92 - محمد بن إبراهيم بن موسى
 الخراساني / حاجي بكتاش :
 152 ، 154 ، 178 ، 179 . - محمد إسعاف النشاشيبي :
 38 - محمد أبو المعالي الكرباسي ، الشيخ
 :
- 44 - محمد باقر الصدر ، السيّد :
 32 - محمد باقر بن محمد تقي الإصفهاني
 ، الشيخ :
- 202 - محمد بسما ، الشيخ :
 28 - محمد تقي حبيب آل إبراهيم :
 32 ، 146 . - محمد تقي الشيرازي ، الشيخ :
 201 - محمد تقي صادق ، الشيخ :
 66 - محمد تقي الفقيه ، الشيخ :
 155 ، 157 ، 162 ، 163 . - محمد تقي القمي ، الشيخ :
 55 - محمد جواد البلاغي ، الشيخ :
 34 - محمد بن حسن إبراهيم (والد الشيخ)
 :
- 146 - محمد حسن الشيرازي ، السيّد :
 26 - محمد حسن مروّة :
 36 - محمد حسن النجفي ، الشيخ :
 36 - محمد حسين الكاظمي ، الشيخ :
 48 ، 159 . - محمد حسين الكيشوان ، الشيخ :
 38 ، 39 . - محمد حسين النانيني ، الشيخ :
 134 - محمد رشيد سليمان :
 55 - محمد رضا المظفر ، أئشيخ :
 89 - محمد رفيق مندو :
 90 - محمد سالار ، الشيخ :
 204 - محمد سعيد فضل الله ، السيّد :
 210 - محمد صادق بحر العلوم ، السيّد :
 31 - محمد الطباطبائي ، السيّد :
 36 - محمد طه نجف ، الشيخ :
 25 ، 26 ، 78 ، 191 . - محمد علي عز الدين ، الشيخ :
 159 - محمد علي علوبه :
 84 - محمد علي قبلان ، الشيخ :
 193 - محمد قعيق ، الشيخ :
 38 - محمد الكاشي ، الشيخ :
 31 ، 36 ، 146 . - محمد كاظم الخراساني ، الشيخ :
 31 ، 36 . - محمد كاظم اليزدي ، السيّد :
 131 ، 138 . - محمد اليوسف ، الشيخ :
 138 - محمود صالح ، الشيخ :

- 88 - محمود بن علي الحمصي ، سديد الدين :
- 31 - محمود محمد مُغْنِيَه ، الشيخ :
- 12 - مُخلص الجذّه ، الدكتور :
- 130 ، 137 . - مدرسة التجهيز في طرطوس :
- 51 - مدرسة الرجاء العالي للبنات (في العمارة) :
- 51 - مدرسة الرجاء العالي للبنين (في العمارة) :
- 158 - المدرسة العليانيّة للآداب (في طهران) :
- 122 - مدرسة الغري الأهلية :
- 204 - مدرسة القطب (في النجف) :
- 126 - مدرسة الهدى (في بعلبك) :
- 64 ، 70 ، 122 . - مدرسة الهدى (في العمارة) :
- 38 - مديسيّه (من قرى إصفهان) :
- 85 - مرتضى شراره :
- 93 - مرداس ، بنو :
- 34 - مرقد الإمام الحسين (ع) :
- 46 - مرقد الإمام علي (ع) :
- 15 ، 171 . - المستشاريّة الثقافيّة للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة في لبنان :
- 51 - مستشفى لنسج التذكاري (في العمارة) :
- 140 - مستشفى المجتبي الخيري :
- 140 - مسجد الإمام الحسين (ع) :
- 140 - مسجد السيّد الزهراء (ع) :
- 34 - مسكنة (قرية في سورية) :
- 172 ، 173 ، 175 . - المسيح (ع) :
- 169 - مشغرة (بلد في لبنان) :
- 152 ، 158 ها ، 159 . - مصر :
- 10 ، 112 . - مصيف (مدينة في سوريا) :
- 88 - معاوية :
- 140 - معهد الإمام الحسين (ع) :
- 81 - المغول :
- 63 ، 70 . - المكتبة المحمديّة (في العمارة) :
- 80 ، 81 . - ابن ملّي الأنصاري :
- 204 - موسى بن جعفر (ع) ، الإمام :
- 84 ، 85 . - موسى شرارة ، الشيخ :
- 84 - موسى مُغْنِيَه ، الشيخ :
- 151 - موسكو :
- 50 ، 92 . - الموصل :
- 80 - ميخائيل ألوف :
- 78 - ميس (قرية في جبل عامل) :
- 35 - ناصر المدني الحسيني ، الشريف :
- 5 ، 53 ، 68 . - الناصريّة (مدينة في العراق) :
- 85 ، 126 . - النبي أيلّا (قرية في لبنان) :
- 40 - نجد :
- 16 ، 25 ، 28 ، 29 ، 31 ، 34 ، 35 ، 36 ، 37 ، 38 ، 39 ،
43 ، 44 ، 46 ، 53 ، 54 ، 65 ، 66 ، 77 ، 83 ، 84 ، 87 ،

، 122 ، 109 ، 107 ، 102 ، 101 ، 100 ، 98 ، 97 ، 96
 ، 171 ، 167 ، 151 ، 149 ، 146 ، 135 ، 128 ، 127
 . 193 ، 190 ، 184

- 41 - النسطوريون (فرقة مسيحية) :
 - النصارى : . 55 ، 42
 25 - النميرية (قرية في جبل عامل) :
 89 - نور الدين السكاف :
 50 - نيو جرسى (ولاية أميركية) :
 163 - هادي خسرو شاهي ، السيد :
 40 - هادي كاشف الغطاء ، الشيخ :
 213 - هاشم الاشتياني ، الشيخ :
 135 ها . - هاشم عثمان :
 157 - هبة الدين الشهرستاني ، السيد :
 75 - الهدى (مجلة) :
 . 119 ، 91 ، 84 - الهرمل :
 . 88 ، 81 - الهمدانيون / همدان :
 . 152 ، 39 - الهند :
 40 - واسط (مدينة دارسة في العراق) :
 22 - ياسين ، آل :
 . 95 ، 52 ، 50 - اليهود :
 81 - يونس الحرفوش ، الأمير :
 133 - يونس حمدان ، الشيخ :
 133 - يونس علي الجبيلية ، الشيخ :
-